تاريخ الفكر المسيحي

بقلم

الدكتور القس حنا الخضري

الجزء الثاني

تاريخ الفكر المسيحى

الجزء الثانى

بقلم

الدكتور القس حنا الخضرى



هــذا الكتــاب

هذا هو الجزء الثانى من « تاريخ الفكر المسيحى » .

وقد ركز هذا المجلد على الفترة من سنة ٣٨١ إلى سنة ٤٣١ ميلادية ومع أنها فترة قصيرة جداً فى عمر الزمن والفكر الا أنها تميزت بكم هائل من الأفكار عن شخص السيد المسيح . والمتتبع لهذه الأفكار سيكتشف مدى غيرة قادة الكنيسة الأول وإخلاصهم فى الدفاع عن العقيدة المسيحية السليمة ومقدار الجهد الذى بذله كل منهم فى الدرس لإثبات فكره ودحض مارآه هرطقة تمس سلامة العقيدة .

لكن المدهش أن بعض هؤلاء القادة وصلوا فى دفاعهم عن آرائهم لدرجة التطرف .

فبعد آريوس مثلا قام الاسقف أبولوناريوس ليدحض هرطقة آريوس وبذل جهداً هائلا حتى وصل إلى فكره اعتبرته الكنيسة هرطقة جديدة وإن كانت أقل شهرة من هرطقة آريوس . وهكذا الحال مع ديودوريوس ونسطوريوس .

ولا شك أيها القارىء انك عندما تنتهى من دراسة هذا الكتاب – ولا أقول قرأته لأن مادته ليست للقراءة السطحية بل للدراسة المتأنية العميقة – عندما تنتهى منه ستقول « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » نعم عظيم هو سر التجسد حتى حارت فيه هذه العقول الجبارة وتاهت وسقطت فى هرطقات مختلفة .

كما أنك ستقدر أيها القارىء الدور الكبير الذى قامت به الكنيسة للحفاظ على وحدتها وعلى سلامة عقيدتها . نعم كم من ضحايا وصفتهم المجامع بالهرطقة وحرمتهم من شركتها رغم اخلاصهم الكامل لكن سوء الفهم أو اختلاف المفاهيم جعل بعض القادة لا يفهمون بدقة ما قصده هؤلاء الضحايا لكننا نشكر الله أخيرا لسلامة الكنيسة رغم كل هذه العواصف التى هبت عليها .

الا أننا نلاحظ أيضا أن الكنيسة عندما تهتم بالبحث العقيدى والجدلى فقط وتفقد المحبة فانها تنقسم . ولو اهتم القادة بالتطبيق العلمى للمحبة لتخطت الكنيسة كثيرة من مشاكلها ولكسبت إلى صفوفها كثيرين ممن نذكرهم باكين مع انهم من جهابذة الفكر .

وقد بذل المؤلف جهدا كبيرا فى تحقيق كل رأى كتبه واسناده لمراجعة حتى يرجع إليها من يريد التعمق فى البحث كما أنه كان محايدا فى ابداء رأيه فى المواقف المختلفة فلا تحس أنه يريد أن يقنعك بفكرة مسبقة عنده لكنه يعرض كل الآراء لتظهر الحقيقة دون تحيز .

نأمل أن يفيد هذا المرجع المتخصصين من الخدام والباحثين وطلبة كليات اللاهوت وكل عضو فى الكنيسة يريد أن يعرف كيف وصل إلينا الايمان السليم .

دار الثقافة

فــى هـــذا الكتــاب

الجـــزء الثـــالـث :

الجـــزء الرابـــع :

تمهيـــــد

موضوع هذا الكتاب هو تطور الفكر عن شخص ربنا يسوع المسيح عبر الأجيال . وسأحاول أن أواصل ما قدمته فى الجزء الأول من دراسة عقائدية تاريخية علمية على قدر الامكان ، عن المفاهيم والتعاليم والمعتقدات والهرطقات التى ظهرت فى القرنين الرابع والخامس عن شخص الرب يسوع المسيح . ومع أننى سوف أركّز بحثى هذا على الفترة الواقعة فى الجزء الأخير من القرن الرابع والجزء الأول من القرن الخامس ؛ إلا أننى سأتعرض فى عدة أجزاء لتلخيص التعاليم الكرستولوجية (الخاصة بشخص المسيح) فى القرون السابقة .

وهنا أطرح نفس السؤال الذى بدأت به المجلد الأول وهو : ما هو الغرض من كتابة هذا الكتاب عن تاريخ الفكر المسيحى ؟

كان البحث فى الجزء الأول مركزاً على سؤال السيد الرب يسوع لتلاميذه فى قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » (مت ١٦ : ١٧) ثم على قول النبى سمعان « .... ها أن هذا (يسوع) قد وضُع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) . وبما أن البحث تناول الموضوع الخاص بشخص الرب يسوع المسيح فى الفترة الواقعة قبل مجىء المسيا إلى القرن الرابع ، وبالتحديد إلى سنة ٣٨١ ب . م « مجمع القسطنطينية الأول » لذلك فقد تعرضنا لدراسة الانتظارات المسيانية قبل وبعد مجىء المسيا ، ثم لمفهوم الكنيسة الأولى لشخص الرب يسوع المسيح . ولقد رأينا أن نفس السؤال طرح نفسه على عدة أجيال وفى أماكن كثيرة . ولذلك فقد حاول الكثيرون فى القرون الأربعة الأولى الاجابة على هذا السؤال « من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان » . وفى محاولاتهم للاجابة عليه تفرقوا شيعاً وانقسموا أقساماً . ومن هنا ظهرت التعاليم الكثيرة المتنوعة المختلفة عن شخص الرب يسوع المسيح . فقد رأى فيه البعض إلهاً ، وإلهاً فقط ، والبعض الآخر رأى فيه إنساناً ، وإنساناً فقط ، وآخرون اعتقدوا بانه الله — إنسان .

وكانت هذه الآراء مصدر التعاليم المنحرفة أو الهرطقات التى ظهرت وانتشرت . وقد قاوم الآباء الأرثوذكسيون(*) فى الرأى والعقيدة بتفنيد تعاليم الهراطقة ورفضها . إن الآباء الأرثوذكسيين الذين قاوموا الهرطقات والتعاليم المنحرفة المضلّة وقاموا بحمل المشعل ونشر الإنجيل ، أمثال اغناطيوس الأنطاكى ، واكليمندوس الرومانى وبوليكاربوس وأريناوس ، ويوستينيوس الشهيد واكليمندوس الإسكندرى وترتليانوس وإريجانوس وأثناسيوس العظيم واغسطينوس وكيرلس الإسكندرى وآخرون أيضاً ، هم أباء الكنيسة كلها شرقاً وغرباً وهم أيضاً ملك الكنيسة العامة ومن حق وواجب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية والكنيسة الإنجيلية البروتستانتية والكنيسة العامة فى العالم كله ان تفخر بهم وبشجاعتهم وامانتهم وشهادتهم للرب يسوع المسيح .

ولقد حاولنا فى عرضنا لهذه التعاليم – أرثوذكسية كانت أم منحرفة – أن نقدم بحثاً تاريخياً علمياً نشرح فيه : مَن الذى نادى بهذه التعاليم ؟ وأين ومتى وكيف انتشرت ؟ وسوف نتبع هذه الطريقة لدراسة التعاليم المستقيمة والتعاليم المنحرفة التى ظهرت فى الجزء الأخير من القرن الرابع والجزء الأول من القرن الخامس .

ففى هذه الفترة ظهرت مشاكل عقائدية كرستولوجية(*) جديدة فى تاريخ الفكر المسيحى : مثل مشكلة الاتحاد : أى مشكلة إتحاد الطبيعتين اللاهوت والناسوت . ففى القرون الأربعة الأولى واجهت الكنيسة مشكلة الغنوسية والابيونية ومشاكل أخرى . وكان النقاش الكرستولوجى يدور حول الأسئلة الآتية :

من هو يسوع المسيح ؟ هل هو إنسان أم إله ؟ وما هى علاقته باللوغوس ؟ وما هو اللوغوس ؟ وهل من علاقة بين اللوغوس ويسوع الناصرى ؟ وهل اللوغوس هو ابن الله منذ الأزل أم خُلِقَ مع الخليقة أم خلق قبلها ؟ وما هى علاقة اللوغوس بالله الآب ؟ وهل هو من جوهر الآب أو من جوهر آخر ؟ وهل هذا اللوغوس حلّ فى جسد بدون روح بشرية أم فى إنسان يدعى يسوع الناصرى ؟

كانت هذه الأسئلة وغيرها محوراً للنزاع الكرستولوجى فى القرون الأربعة الأولى . أما معلمو القرنين الرابع والخامس فلم يتنازعوا على مشكلة وجود اللاهوت فى الناسوت ؛ أو على حقيقة ناسوت المسيح ، بل أن النزاع العقائدى الكرستولوجى بدأ يدور حول

★ كلمة ارثوذكس تعنى ذو الرأى المستقيم : فعندما نستعمل هذا الاصطلاح نقصد به الذين نادوا وعلموا بتعاليم صحيحة مستقيمة .

★ كرستولوجية Christology أى التعاليم الخاصة بشخص المسيح وسنستخدمها دائماً فى هذا الكتاب للدلالة على هذا المعنى .

موضوع كيفية وطريقة إتحاد الطبيعتين فى يسوع المسيح : كيف يمكن أن يكون ابن الله وابن الإنسان فى آن واحد ؟ كيف تمّت عملية الإتحاد ؟ هل توجد طبيعتان أم طبيعة واحدة فى شخص المسيح يسوع ؟ ثم ظهرت مشكلة أخرى فى القرن الخامس : وهى لقب أم الله للقديسة العذراء مريم ، هل لقب أم الله يتفق وتعاليم الكتاب المقدس ؟ وهل يجوز لنا أن ندعوها أم الله ؟ وما رأى كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكيا وكنيسة رومه فيما يخص هذه الأسئلة وغيرها مما سنتعرض له فى هذا البحث ؟ ولكن قبل أن نبدأ فى دراسة هذا الموضوع نود أن نلفت نظر الدارس إلى النقاط الآتية :

١ – إن الذين يدرسون ويتخصصون فى تاريخ الفكر المسيحى ، يجدون صعوبات كثيرة وعديدة منها ، اللغات التى استخدمت فى كتابة هذه الكتب . فأغلب هذه الكتب كُتبت باللاتينية واليونانية ؛ وحتى معظم ما ترجم منها إلى الإنجليزية والفرنسية .. إحتفظ مترجموها فى كثير من الأحيان بالاصطلاحات اللاتينية أو اليونانية دون ترجمة . واتبع نفس الطريقة عدد كبير من العلماء فى كتابة النصوص الأصلية لاتينية أم يونانية ، دون ترجمتها ، كما لو كان كل الدارسين يجيدون هاتين اللغتين . وهذا ما أسميه بمرض العلماء . ولهذا السبب فقد حاولت جاهداً أن أترجم هذه الاصطلاحات التى سوف نتعرض لها فى بحثنا هذا إلى العربية مع الاحتفاظ بكتابة النص الأصلى فى بعض الأحيان ، حتى يستطيع الباحث العربى أن يتعرّف عليها . إذ أن الآباء ومعلمو العقائد إستعملوا إصطلاحات معينة ليعبروا بها عن معانٍ خاصة ومحددة . ولذلك يجب على كل دارس لتاريخ العقائد أن يتعرّف عليها . وسوف نتعرّض لكثير من هذه الاصطلاحات والعبارات فى هذا البحث .

٢ – ربما يلاحظ الدارس لهذا الكتاب نوعاً من التكرار من حين لآخر . إلا أنه تكرار مقصود . وذلك يرجع إلى حقيقة أن هذا الموضوع الذى نعالجه هنا جديد على البعض فى عالمنا العربى بنوع عام ، وعلى البعض فى كنائسنا الإنجيلية بنوع خاص . ولهذا فقد حاولنا أن نقدم المعلومات الخاصة بهذا الموضوع بعبارات مبسطة وبطريقة سهلة على قدر الإمكان . كما نضطر إلى التكرار فى بعض الأحيان ، حتى يستطيع الدارس أن يتابع الدراسة بطريقة منطقية ومنظمة .

٣ – إن دراسة تعاليم الآباء وكتاباتهم وحياتهم ، تعد من العلوم الأساسية المهمة التى تدرس فى الخارج ، ليس فقط فى كل كليات اللاهوت الكاثوليكية أو الأرثوذكسية ، بل فى كليات اللاهوت البروتستانتية أيضاً ، الأمر الذى نحتاج إليه فى كلياتنا فى الشرق .

٤ – لقد تعوّد البعض على ترجمة أو إستعمال بعض الاصطلاحات والعبارات المستعملة فى اللغات الاجنبية بطريقة حرفية وغير صحيحة ، لا بل مخلة تماماً من الناحية العقائدية عند ترجمتها واستعمالها فى اللغة العربية مثل :

paull's Theology, John's Theology, Father's Theology, Calvin's Theology, Karl Barth's Theology. etc....

ولقد ترجم أو إستعمل البعض هذه العبارات فى اللغة العربية كالآتى : « لاهوت بولس ، لاهوت يوحنا ، لاهوت الآباء ، لاهوت كلفن ، لاهوت كارل بارت » .. الخ . وإننا نعتقد بأن هذه الترجمة أو هذا الاستعمال لاصطلاح « لاهوت » هنا خطأ بل وخطر .

والخطأ كامن فى حقيقة أن المترجم أو الذى يستعمل كلمة Theology التى تذكرها المراجع الأجنبية ، لا يفرّق أو لا يميز عند ترجمتها إلى العربية بين كلمة Theology التى يقصد بها تعاليم أو مفهوم ، وبين كلمة Divinity التى يقصد بها لاهوت . فالاصطلاح اليونانى لكلمة Theology الإنجليزية هو θεολογος ويعنى الكلام عن الله ، والذى يتكلم عن الله يدعى زيولوجيان (أنظر A. Greek - English lexicon of the N.T. and other early christians literature. Walter baver's P.350) فإن كلمة « Theology » لا تعنى إذن « لاهوت » كما تعوّد البعض على إستعمالها ، بل تعنى الكلام عن الله ، أو التعليم ، أو العقائد ، أو المفهوم الدينى ، وهنا يظهر الفرق بين كلمة « Theology » التى تعنى عقائد أو تعاليم أو مفهوم وبين كلمة « Divinity » التى يقصد بها لاهوت .

ولذلك لا يليق ، لا بل أنه من الخطأ بأن نقول لاهوت بولس أو لاهوت يوحنا ... الخ . عندما نريد أن نستعمل كلمة « Theology » التى يقصد بها تعاليم بولس أو تعاليم يوحنا أو تعاليم الآباء أو تعاليم بارت أو بولتمان .. أما إذا أردنا أن نتكلم فعلاً عن اللاهوت : فإننا نترجم الجملة الآتية « The Divinity of Christ » إلى العربية بالقول « لاهوت المسيح » . ولكن إذا أردنا أن نتكلم عن تعاليمه وأفكاره فعندئذ نقول : « Jesus - christ's theology or teaching » تعاليم يسوع المسيح ..

والخطر فى هذا الخلط أننا عندما نقول : لاهوت بولس أو لاهوت بارت أو لاهوت بولتمان .. الخ . فقد يفهم البعض أننا نؤله بولس ويوحنا ، أو غيرهم من اللاهوتيين المعاصرين .

ومع اننا لم نفرق بين الاصطلاحين فى المجلد الأول ولكننا حاولنا فى هذا البحث أن نتجنب إستعمال الاصطلاح « لاهوت » لكلمة « Theology » بل نقول تعاليم أو مفهوم أو عقيدة .. الخ ... وفى بعض الأحيان وضعنا كلمة (لاهوت) بين قوسين لكى نلفت نظر القارىء إلى معناها الحقيقى .

٥ – إن أحد الأهداف التى يريد كاتب هذا الكتاب الوصول إليها هو حث الدارس العربى على دراسة تعاليم الآباء وتاريخ الفكر المسيحى . ولذلك فقد حاول أن يقدم للدارس كثيراً من المراجع الخاصة بكل موضوع يتعرض لمعالجته حتى يستطيع القارىء بدوره البحث والتنقيب والتوسع فى هذا الموضوع .

٦ – لا نقصد بهذا الكتاب أن نهاجم أى كنيسة ، بل نود أن نقدم بحثاً تاريخياً علمياً محايداً لكى نستطيع بنعمة الله أن نعرف ما هى التعاليم الصحيحة والمستقيمة التى تتفق مع الكتاب المقدس ، ومع تعاليم الآباء الذين رجعوا إلى الكتاب وإلى بعض نصوص التقليد التى تتفق مع الكتاب .

فى هذا البحث سوف نتعرض لدراسة بعض العقائد الخاصة بشخص ربنا يسوع المسيح ثم لبعض المجامع وقراراتها . وهنا نلتمس من القارىء المحبوب بأن يكون واسع الصدر ومرناً ، حتى نستطيع أن نناقش بروح المحبة والصلاة ، النقاط التى لا نتفق فيها معاً . ولتكن دراستنا موضوعية وأمينة ومخلصة ومجردة من كل نزعة طائفية ، بل هدفها البحث العلمى والحياد النزيه .

٧ – إن كنيسة اليوم تمرّ فى فترة عصيبة وحرجة للغاية . فإن المادية والإلحادية ؛ والهجمات المتشنجة نريد أن نلاشيها من الوجود . أمام هذه الأبواب الجهنمية التى تريد سحق الكنيسة وملاشاتها ؛ يدعونا رب الكنيسة بأن نكون وحدة واحدة ويداً واحدة مهما إختلفت أفكارنا وتنوعت تفسيراتنا ، ولكن إيماننا واحد لأننا نؤمن جميعاً برب واحد وسيد واحد يسوع المسيح الذى يريدنا أن نحقق على إختلاف طوائفنا ، صلاته : « ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وانا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك ارسلتنى » (يو ١٧ : ٢٠ – ٢٢) .

المؤلف

الجــزء الأول

الفصـــل الأول

هرطقة أبولوناريوس

L'hérésie d'Apollinaire

من هو أبولوناريوس ؟ هل يعتقد بوجود روح بشرية فى المسيح ؟ هل كان يرى فى يسوع من الناحية البشرية إنساناً كاملاً مكّوناً تكويناً بشرياً أو نتولوجياً كاملاً ، أى من نفس بشرية وروح عاقلة وجسد ؟ أو إنه إعتقد بأن اللوغوس الكلمة حلّ محل الروح البشرية فى الجسد ؟ .

إن أبولوناريوس أنكر فى تعاليمه الكرستولوجية وجود روح بشرية فى المسيح وهو يعتقد بأن الكلمة ، اللوغوس ، ابن الله ؛ قد حلّ أثناء عملية التجسد فى جسم أو فى جسد بدلاً من الروح البشرية . وقبل أن ندخل فى صميم الموضوع من الناحية التعليمية العقائدية ، لدراسة أفكار أبولورناريوس ، يستحسن أن نلقى نظرة ولو سريعة على تاريخ الرجل والوسط الذى نشأ فيه .

حيـــاتـــه

وُلِدَ أبولوناريوس حوالى سنة ٣١٠ ب . م على ما يعتقد تيكسيرونت[1] . أما فوازن Voisin فيظن بأنه من الصعب أن نحدد بالضبط تاريخ ميلاده ، ولذلك فهو يقول وُلِدَ أبولوناريوس فى سنة ما من العشرات الأولى من القرن الرابع[2] ولقد نشأ وتربى فى عائلة

---

1. J. Tixeront, Précis de Patrologie 4e Edi.. Paris. Librairie Lecoffre.
2. Guillaume Voisin: L'apollinarisme: étude Historique Litteraire, et Do gmatique. Surle dé but des controveres Christologiques Au 4e siecle ... p.32.

مثقفة جداً ، فان أباه ويدعى أيضاً أبولوناريوس ، وهو من أصل مصرى ، كان يدّرس علم القواعد والخطابة فى بريت (بيروت Beryte) ومنها إنتقل إلى مدينة لاودكّية أو اللاذقية فى سوريا حيث وُلِدَ ابنه أبولوناريوس . كان أبولوناريوس الأب كاهناً لمدينة لاودكّية ، ولقد إمتاز كل من الأب (الكاهن) والابن القارىء فى الكنيسة باجادة علم الخطابة والقواعد والفلسفة والشعر . لا بل أن أبولوناريوس الابن كان يدّرس هو أيضاً فن الخطابة فى مدينته فى عهد الأسقف ثيودوتوس (Theodote) كما يعلمنا ذلك المؤرخ سقراط[٣] وكان كل منهما شغوفاً بالإستماع للفيلسوف الحكيم الوثنى أبيفانيوس (Epiphane) وخاصة عندما كان ينشد أشعاراً لباخوس ، وعلى ما يظن بأن هذا الفيلسوف أصبح تلميذاً لأبولوناريوس[٤] ولقد ثار أسقف اللاذقية ثيودوتوس ، (توفى سنة ٣٣٥) ضدهما وقطعهما من الكنيسة بسبب علاقتهما بابيفانوس . وعندما تولى جورجيوس خلافة كرسى اللاذقية قُطِعَ أبولوناريوس ، ولكن هذه المرة لسبب آخر ، لأنه قد إستقبل بحفاوة عظيمة أثناسيوس عند مروره بمدينة اللاذقية فى سنة ٣٤٦[٥] ومن هذا التاريخ أصبح هذان الرجلان صديقين عظيمين . فمنذ هذه المقابلة ، أصبح هذا الخطيب الشاعر العالم مناضلاً جنباً لجنب مع القديس أثناسيوس ضد الذين رفضوا قانون الإيمان النيقوى . إذ أنه تمسك مدافعاً بشدة وإيمان عن إقرارات الإيمان التى أقرها مجمع نيقية (فى سنة ٣٢٥) والتى دافع عنها أيضاً القديس أثناسيوس . كانت روابط الصداقة والاحترام بين الرجلين قوية وعميقة لدرجة أن أبولوناريوس كان يقدم أثناسيوس معجباً وفخوراً به[٦] كمعلمه .

وعلى ما يبدو أن الحزب الأرثوذكسى المؤيد لقرارات مجمع نيقية هو الذى إختار أبولوناريوس الصغير أسقفاً عليهم فى سنة ٣٦٠[٧] ومع أن الأسقف كان مقيماً فى لاودكية إلا أنه كان يذهب كثيراً إلى مدينة أنطاكية ، لا بل قام بتأسيس مدرسة تفسير هناك . فإن الانطاكيين يُعتبرون من الأوائل الذين قبلوا تعليمه ونادوا بها . والذى ساعد أبولوناريوس على تأسيس مدرسة تفسير فى أنطاكية ونجاح هذه المدرسة ، هو إنقسام الكنيسة وشهرة الأسقف ومقدرته على تفسير الكتاب . وبالرغم من أن تعاليمه كانت تخالف تعاليم أنطاكية من الناحية العقائدية ، إلا أنه كان يتفق معها فى الناحية الفلسفية والتفسيرية . فلقد إستطاع أن يجذب إليه وإلى مذهبه الكثيرين عن طريق تمكّنه من الفلسفة وتعمقه فى الشرح والتفسير ، وممارسته لحياة التقوى والزهد والتقشف[٨] .

---

3 Socrate Hist... eccl.. 1.11,46

4. G. Voisin Op. Cit. P 32-40

5. G. Voisin Op. Cit. P 32-40

6. Athanase. Ep. Ad. Dioca. Es. Epp. Ed. Lietzmann. P. 255 - 256.

7. Philostorge. Hist. Eccl. V.1

8. Voisin. P. 70 - 82

كما كان يتمتع أيضاً بصفات الشجاعة والإقدام فى الدفاع عن المسيحية . فلقد كتب بالاشتراك مع أبيه عدة مؤلفات ، شعراً ونثراً لشرح العقيدة المسيحية التى منع الإمبراطور يوليانوس الجاحد التبشير بها فى عصره . وكان يعتبر من المدافعين الباسلين عن المسيحية فى عهد هذا الإمبراطور المرتد عن الإيمان ، والذى حكم من سنة ٣٦١ – ٣٦٣[٩] .

ومن المعروف أن هذه المؤلفات ساعدت عدداً كبيراً من المؤمنين فى تقوية إيمانهم وتثبيتهم فى المسيحية ؛ وفى الإيمان المسيحى .

كان أبولوناريوس شيخاً عندما كان القديس جيروم شاباً وطالباً فى مدرسة أنطاكية (سنة ٣٧٤ – ٣٧٩)[١٠] ويقول بانه تتلّمذ على يديه[١١] وكما أن العلماء لم يتفقوا على تحديد تاريخ معين لميلاده ، فإنهم لم يستطيعوا الوصول أيضاً إلى تحديد تاريخ موته . ولا نملك بخصوص هذا الموضوع إلا معلومات غير دقيقة . على أن جيروم يعرفنا بأنه مات أثناء حكم الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩ – ٣٩٥)[١٢] ، كما أن كل من كاسيارى Caspari والعالم درَزيسك Draesesk يعتقدان بأن أبولوناريوس عمّر حتى سنة ٣٩٠ ب . م[١٣] .

البيئة التى نشأ فيها أبولوناريوس

رأينا فيما سبق الجو الثقافى الذى نشأ فيه أبولوناريوس الابن ، والتأثير العلمى والفلسفى الذى طبع شخصيته . هذا من الناحية العلمية والفلسفية ، على أن أبولوناريوس مرّ فى إختبارات أخرى من الناحية الدينية . فإنه كان يعرف جيدّاً التيارات التعليمية (اللاهوتية) العقائدية التى تنادى بها كل من مدرسة الإسكندرية ومدرسة أنطاكية . فقد كان أبوه مصرياً ، كما كان هو نفسه صديقاً حميماً للقديس أثناسيوس وحليفاً مؤيداً له فى الدفاع عن قانون إيمان وقرارات مجمع نيقية : ولأنه كان أيضاً من المتمسكين بقانون إيمان نيقية وقراراته ؛ إختارته كنيسة لاودكية اسقفاً عليها .

9. M.E. Haag Histoire des Dogmes Chretiens Pre Partie.. Hist. Générale.
10. Epistala Ad Panmachoum Et Oceanum. Dans Migne. P.L.T. 22 Lettre 84e
11. J. Danielou Et H. Marron. Op. Cit. 381
12. Jerome. De Viris Illustibus 104.
13. G. Voisin P. 112

وقبل أن ندخل فى تفاصيل هرطقة أبولوناريوس الخاصة بإنكاره لوجود روح بشرية فى المسيح ، يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة على التيارات التعليمية (اللاهوتية) التى كانت منتشرة فى عصره .

لقد ظن البعض بأن أسقف لاودكية كان الأول الذى أثار مشكلة وجود روح بشرية فى المسيح ، وبإنكاره لوجودها إخترع بدعة جديدة واختلق هرطقة لم تكن معروفة ، وكانت الكنيسة فى غنى عنها وخاصة فى هذا الوقت الذى إنقسمت فيه إلى أحزاب وشيع ومذاهب . وفى حقيقة الأمر ، إن أبولوناريوس لم يكن الأول الذى أنكر وجود روح بشرية فى المسيح ، على أنه كان الأول الذى طرح هذه المشكلة بطريقة واضحة ومنطقية وصريحة . وبناء على ذلك فإنه كان من الضرورى بأن تحدد الكنيسة موقفها من تعاليمه . وعندما ندرس تاريخ الكنيسة وتعاليم الآباء نلاحظ بأن أبيفانيوس (Epiphane) وآخرون يرجُعون أصل هذه البدعة إلى لوقيانوس[١٤] الذى أسس مدرسة تفسير فى أنطاكية . إذ أن أبيفانيوس يعتقد بأن لوقيانوس كان ينكر وجود روح بشرية للمسيح . وجاء بعد لوقيانوس مجمع نيقية ولم تُثر هذه المشكلة العقائدية فيه .

وكان هدف مجمع نيقية هو الوصول إلى عقيدة ثابتة أو قانون إيمان مُعترف به من الكنيسة كلها . وكان من المنتظر أن نرى الكنيسة بعد هذا المجمع ، واحدة فى إيمانها وعقيدتها . ولكن حدث العكس . فبعد إنفضاض المجمع رجع الأساقفة إلى أبرشياتهم وعلّم كل منهم بما كان يعلّم به سابقاً . لا بل أن الأحزاب الطائفية إزدادت وكُثرت ، فقد إنقسمت الكنيسة بعد مجمع نيقية إلى أحزاب ثلاثة وهى :

١ – حزب أثناسيوس أو حزب الأرثوذكسيين المتمسكين بقانون إيمان نيقية .

٢ – حزب الأريوسيين ، وكان على رأس هذا الحزب فى بدايته إسابيوس النيقوميذى ، قبل أن يغير اتجاهه جزئياً .

٣ – ومن هذين الحزبين نشأ الحزب الثالث الذى يُدعى الحزب النصف الأريوسى . وكان يرأس هذا الحزب يوسابيوس القيصرى ، ولقد تكّون هذا الحزب من الذين رفضوا عقيدة وتعاليم أثناسيوس . ولقد حاول أتباع هذا الحزب أن يجدوا حلاً وسطاً للمشكلة الكرستولوجية . ولذلك فقد علّموا بأن الابن هو صورة الله ، بل هو الله بالطبيعة ، ولكنه ليس من طبيعة الله الآب . ولقد رفضوا – متبعين فى ذلك الأريوسيين – إصطلاح « مساو للآب فى الجوهر »[١٥] . هومووسيوس (Homoosios) .

---

14. Epiphane.. Ancoratus 33. (Edi K. Holl, GCS, 1,42, PG. 43.

١٥ – الدكتور القس حنا جرجس : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الاول ٦٣٦ – ٦٢٨

إن الأريوسيين لم يرفضوا إصطلاح « مساو للآب فى الجوهر » فحسب ، بل رفضوا أيضاً عقيدة وجود روح بشرية فى المسيح . وهنا ربما يسأل القارىء ، هل كان أبولوناريوس أريوسياً ؟ كلا فإن أبولوناريوس كان من الذين يتمسكون بقانون إيمان نيقية ويدافعون عنه مع القديس أثناسيوس ، وسوف نرجع إلى هذه المشكلة فيما بعد عند الكلام عن عقيدة أبولوناريوس فى الروح .

أنكر الأريوسيون منذ ظهورهم وجود روح بشرية فى المسيح . والغريب أن الكنيسة ظلت طوال هذه المدة دون أن ترفع صوتها ضد هذه التعاليم . فلقد قاومت عقيدة بولس السموزاطى ولوقيانوس وعقائد أخرى كثيرة ، إلا أنها إلتزمت الصمت إزاء هذه العقيدة ، مدة طويلة . والقديس أغسطنيوس نفسه يندهش هو أيضاً من صمت الكنيسة على هذه العقيدة الخطيرة ؛ فإن كان بعض الآباء ذكروها ، فإنهم لم يقاوموها بالطريقة التى كان يجب أن تُقاوم بها . فإن ديديموس (Didyme) الإسكندرى وهيلير (Hilaire) وامبرواز (Ambroise) وثيودوروس بعد ذلك يذكرون بأن الأريوسيين ينكرون وجود روح بشرية فى المسيح . ولقد ظهرت هذه العقيدة بطريقة أوضح فى الجيل الثانى لأريوس . ففى إقرار الإيمان الذى قدمه إنوميوس (Eunomius) وهو أحد أتباع أريوس (سنة ٣٢٠ - ٣٩٢) إلى الامبراطور ثيودوسيوس فى سنة ٣٨٣ ، يقول فيه « وفى آخر الأيام جاء فى جسد ... ولم يكن إنساناً (Man - Homme) مكّونا من روح وجسد .. »(١٦) .

هذا القول يدل على أن الأريوسيين كانوا لا يعترفون بوجود روح بشرية فى المسيح ، وهو نفس التعليم الذى علّم به لوقيانوس الأنطاكى بحسب شهادة إبيفانوس الذى يقول « إن لوقيانوس وأتباعه ينكرون أن ابن الله أخذ روحاً ويقولون بأنه لم يأخذ إلا جسداً .. »(١٧) . والتاريخ يسجل لنا إقرار إيمان آخر علّم به ادوكسيوس (Eudoxiux) أسقف إنطاكيا من سنة ٣٥٧ - ٣٥٩ وأصبح أسقفاً للقسطنطينية من سنة ٣٦٠ - ٣٦٩ وكان صديقاً لأنوميوس ويقول فى هذا الإقرار : « الابن صار **جسداً** ولكنه لم يصر **إنساناً** ، ولم يأخذ **روحاً بشرية** . فلا يوجد فى المسيح طبيعتان بل طبيعة واحدة مركبة » إن ادوكسيوس يستعمل التعبير صار جسداً ولم يصر **إنساناً** . هو نفس التعبير الذى استعمله فيما بعد أبولوناريوس . فهو يعتقد بأن الابن أخذ جسداً مجرداً من الروح البشرية : أى مجرد من جسد : وهذا الجسد لا يمكن أن نسميه

---

16. J. Liebaert. Hist. des Dogmes. L'incarnation 1 des Origines au concile de chalce doine les Editions du cerf. P. 114.

17. A grillmeier 215.

انساناً . لأن الإنسان يتكون من روح بشرية عاقلة وجسد . ولهذا السبب فإننا نجد أبولوناريوس يقول فيما بعد فى تفسيره ليوحنا ١ : ١٤ « والكلمة صار **جسداً** » أن الكتاب لا يقول والكلمة صار **إنساناً** . بل صار **جسداً** وهذا الجسد بدون روح بشرية لأن الكلمة = اللوغوس حلّ فى هذا الجسد محلّ الروح البشرية العاقلة . ثم توجد شهادة أخرى تبيّن لنا بما لا يدع مجالاً للشك بأن الأريوسية كانت تنكر وجود الروح البشرية فى المسيح . وهى شهادة أستاثيوس الأنطاكى (Eustathe d'Antioche) فهو يقول عند حديثه عن الأريوسيين « لماذا يحاولون جاهدين إثبات أن المسيح أخذ جسداً بلا روح ؟ »[١٨] وفى مكان آخر يقول عندما يتكلم عن الطبيعتين فى المسيح : عن لاهوته وعن ناسوته « يجب أن ننسب هذه الأشياء إلى الإنسان المركّب من الروح والجسد »[١٩] . وجدير بالذكر أن إستاثيوس كان من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية وهو أيضاً ضد الأريوسية .

والغرض من الاقتباسات السابقة هو توضيح فكرة أن إنكار وجود روح بشرية فى المسيح قد ظهرت قبل ظهور أبولوناريوس وتعاليمه . وهنا يمكن القول بأن الأبولوناريوسية ظهرت قبل ظهور أبولوناريوس نفسه . ولهذا السبب يقول غريغوريوس النازياترى فى خطابه الثانى إلى كلَدونيوس بان الهرطقات الأبولوناريوسية رأت النور منذ ثلاثين سنة قبل هذا التاريخ[٢٠] أى قبل أن تبدأ المناداة رسمياً بالأبولوناريوسية . فقبل أن يعلّم أبولوناريوس بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، كانت هذه التعاليم معروفة ومنتشرة جزئياً وكل ما عمله أبولوناريوس هو أنه درس هذه الأفكار التى كان البعض منها معروفاً ومنتشراً فى الكنيسة ، ثم المناداة بها علانية . ومن المدهش كما يقول القديس أغسطينوس بأن الكنيسة المتمسكة بقانون إيمان نيقية التزمت الصمت هذه المدة الطويلة دون أن تقاوم هذه البدعة . صحيح أن أستاثيوس (Eustathe) الأنطاكى قد بدأ مهاجمتها فى وقت مبكر معلناً خطورتها ، ولكن بالرغم من ذلك لم تتنبه الكنيسة لهذه البدعة قبل سنة ٣٦٢ . ومن الغريب أيضاً أن القديس أثناسيوس الذى يعتبر بطل هذه الفترة التاريخية والذى قاوم بإيمان وثقة أباطرة وأساقفة منادياً بالتعليم الصحيح ضد الهرطقات الأريوسية ، لم يتكلم عن هذه الهرطقة . وإن الذى يدرس كتاباته وخاصة كتابه الذى يدعى « ضد أريوس » (Contra

---

18. A Grillmeier. 220

19. Eustathe d'Antioche de Anima ced. M. Spanneut Recherches 100,Is. Frag. 41. 108.

20. A. Grillmeier P. 257.

Arianos III) والذى فند فيه الآراء الأريوسية الخاطئة ورفضها ، لا يلاحظ لا تصريحاً ولا تلميحاً أى هجوم أو إنتقاد لعقيدة إنكار وجود روح بشرية فى الـ ... ـى كان يعلم بها الأريوسيون . ولم يذكر لا من قريب ولا من بعيد فى هجو ... ـى تعاليم أريوس وأتباعه هذه العقيدة . والانتقادات التى وجهها أثناسيوس ضد التعاليم الأريوسية كانت مركزة على حقيقة أن هذه البدعة تنكر مساواة جوهر الآب بجوهر الابن . لا بل أكثر من ذلك . فإن القارىء لكتاباته يشعر كما لو كان متفقاً معهم فى فكرة أن المسيح مثل الآخرين . وما انتقده فى تعليمهم هو أنهم رأوا فى المسيح إنساناً وإنساناً فقط: أى أنه ليس مساوياً للآب فى الجوهر ويقول م . ريشارد M. Richard : « إن (أثناسيوس) لا يتكلم فى كتاباته – ضد الأريوسية – عن روح المسيح ، كما لم ينتقد البتة تجاهل الأريوسيين لوجود روح فى المسيح »[٢١] . والسؤال الذى يفرض نفسه فرضاً هو : هل كان أثناسيوس لا يؤمن فعلاً بوجود روح بشرية فى المسيح ؟

إن الدارس المدقق لتاريخ الفكر المسيحى لهذه الحقبة يلاحظ بلا عناء أن الخطر الظاهر الذى كانت تتعرض له الكنيسة هو إنكار لاهوت الابن أو بالمعنى الدقيق عدم إعتراف الأريوسيين بمساواة الآب والابن فى الجوهر . فلقد علّم الأريوسيون بأن :

١ – الابن ليس أزلياً وأنه وجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه .

٢ – الابن هو خليقة الله مثل كل الخلائق الأخرى ؛ إلا أنه سابق لها .

٣ – الابن ليس من جوهر الآب .

٤ – الابن متغير وليس ثابتاً .

٥ – وصل الابن إلى درجة اللاهوت عندما رفعه الله لهذا الدرجة «وليس ابناً بالطبيعة[٢٢] .

ثار الآباء المحافظون وعلى رأسهم القديس العظيم أثناسيوس . الذى هاجم هذه التعاليم التى كانت تخالف الكتاب المقدس والتقليد القديم الموروث من الرسل ومن الكنيسة ومن الآباء . ولهذا فإن هجوم أثناسيوس كان مركزاً كلياً وجزئياً على هذه المشكلة الحساسة جداً ، وهى مساواة الابن للآب فى الجوهر : منادياً بأن الابن من نفس وذات جوهر الآب . ولأن هذه المشكلة كانت أحد الأسباب الأساسية التى من أجلها إنعقد مجمع نيقية

---

21. J. Liebaert P. 131

٢٢ – انظر كتابنا تاريخ المسيحى المجلد الاول ص ٦١٨ – ٦٢١

فى ٣٢٥ فقد إنشغل بها المعلمون أكثر من أى مشكلة عقائدية أخرى فى ذلك الوقت . فلا غرابة إذا إن كنا نرى القديس أثناسيوس يتكلم كثيراً عن هرطقة الأريوسيين الخاصة بلاهوت الابن دون أن يذكر إنكارهم للروح البشرية فى المسيح . فلم تكن هذه المشكلة منتشرة ومعروفة على نفس مستوى التعاليم الخاص بمساواة ابن الله بأبيه فى الجوهر .

فمع أن القديس أثناسيوس لم يتكلم بطريقة واضحة وصريحة عن وجود روح بشرية فى المسيح إلا أنه لم يتكلم قط بطريقة واضحة وصريحة أيضاً ، كما فعل الكثيرون عن عدم وجود روح بشرية فى المسيح . ومن المعروف بأن المجمع الذى عقد فى الإسكندرية فى سنة ٣٦٢ ، ويحتمل أن الذى رأسه هو القديس أثناسيوس العظيم ، قد سجل جملة مهمة جداً بخصوص هذا الموضوع . « لا يخلص فى الإنسان إلا ما قد أخذه المسيح من الإنسان[٢٣] فبغض النظر عن كل ما حدث فى هذا المجمع وعن غموض بعض قراراته ، فإن هذه الجملة كما يقول دانيالو (Danielou) ضد التعاليم الأبولوناريوسية التى تنكر وجود روح بشرية فى المسيح . ومع أن المجمع لم يصدر حكماً رسمياً بإدانة أبولوناريوس ، فإننا نجد أن المجمع – وعلى رأسه القديس أثناسيوس – يعترف بهذه العقيدة (وجود روح بشرية فى المسيح) : فقوله « لا يخلص فى الإنسان إلا ما قد أخذه المسيح من الإنسان » يعنى بأن الكلمة أخذ روحاً وجسداً : أى أخذ الإنسان كله ، ولم يأخذ جسداً فقط بدون روح . وإلا لأصبح الفداء الذى قدمه المسيح بموته ، للأجساد فقط وليس للأرواح . وبما أن الإنسان تكّون من روح وجسد فالمسيح يخلص الروح والجسد أيضاً .

ومن هنا يتضح بأن معلم الإسكندرية العظيم لم ينكر وجود هذه الروح البشرية فى المسيح كما اتهمه البعض بذلك بل أنه لم يعر اهتماماً كافياً لبعض النقاط فى تعاليم الأريوسيين الخاصة بهذا الموضوع . ولا ننسى الإشارة إلى أنه قد نبّر فى تعليمه على أن صيرورة الكلمة إنساناً ، لا تتحقق عندما يأخذ الكلمة أو يلبس الكلمة إنساناً ما ، بل تتحقق هذه العملية عندما يصبح الكلمة نفسه فعلاً إنساناً[٢٤] .

مما سبق شرحه نريد أن نلفت نظر الدارس إلى نقطتين هامتين :

١ – إن أبولوناريوس لم يكن الأول الذى أثار هذه المشكلة الكرستولوجية .

٢ – إن أثناسيوس لم ينكر وجود روح بشرية فى المسيح العقيدة فى كتاباته ، كان القديس أثناسيوس لا يجهل ولا ينكر ، كما ظن البعض ، وجود روح بشرية فى المسيح ، بل أنه لم يعر إهتماماً كافياً لبعض النقاط فى تعاليم الأريوسيين الخاصة بهذا الموضوع .

23. Dañielou C.P. Cit. P. 382.

24. St. Athanase. Contra Arianos 3,30, P.G. 26,388A, 3,47.

الفصـــل الثـــانى

تعاليم أبولوناريوس

« من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » هذا هو محور كتابنا هذا . وقد حاول الأشخاص والجماعات والكنيسة أن يعطوا جواباً لهذا السؤال . ولقد كانت الإجابات العديدة المختلفة التى أجاب بها البعض على هذا السؤال سبباً فى « سقوط وقيام الكثيرين » فإن أبولوناريوس أسقف لاودكية ، قد حاول هو أيضاً بدوره أن يجاوب على هذا السؤال الذى طرحه السيد على تلاميذه . كان أسقف لاودكية رجلاً تقياً عالماً ، لا بل أنه كان يتألم أيضاً للانشقاق الذى مزّق الكنيسة العامة فجعلها أحزابَ وطوائفَ يتمسك كل منها بتعاليم معينة ويهاجم تعاليم الحزب الآخر . ولقد سبق أن أشرنا إلى الثلاثة أحزاب المنتشرة فى الكنيسة بعد الإنقسام الأريوسى وهو :

١ - حزب أثناسيوس .
٢ - حزب الأريوسيين .
٣ - حزب نصف الأريوسيين .

وكان أبولوناريوس من أتباع حزب المحافظين أو المتمسكين بقانون وقرارات مجمع نيقية . فهو يؤمن ويعلّم بأن ابن الله أو الكلمة مساو للآب فى الجوهر ، وهو الذى يقول عنه الرسول « ... عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح .. » (اتيمو ٣ : ١٦) فلقد رفض أبولوناريوس مثل صديقه القديس أثناسيوس العقيدة الأريوسية ونصف الأريوسية . إذ نادت الأريوسية بأن الابن ليس أزلياً . فقد وجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه وهو أول خلائق الله (كو ١ : ١٥) لقد علّموا بأن المسيح إله ، ولكن هذه الألوهية لم تكن إلا منحة من الله للمسيح . فإن كان الله قد رفّعه وأعطاه اسماً فوق

كل اسم (فى ٢ : ٩) فهذا يرجع إلى تدخل الله الذى رفعه إلى هذه الدرجة وليس لطبيعة المسيح أصلاً ، ومساواته للآب فى الجوهر . فإن الابن أصبح ابنا بالتبنى وليس بالطبيعة .

أما أتباع حزب النصف الأريوسية فقد حاولوا أن يجدوا حلاً وسطاً للمشكلة الكرستولوجية . ولذلك فقد علّموا بأن الابن هو صورة الله . بل هو إله بالطبيعة ، ولكنه ليس من طبيعة الله الآب ، كما أنهم رفضوا كما فعل الأريوسيون المتطرفون إصطلاح « مساو للآب فى الجوهر = هومووسيوس » (Homoosios)[١] . فإن أتباع هذا الحزب قبلوا فكرة أن الابن هو إله بالطبيعة ، ولكنه ليس من طبيعة الآب . وهذه العقيدة تعتبر حلاً وسطاً للنزاع الذى كان قائماً بين المتمسكين بقانون إيمان نيقية وبين الرافضين له . ومع ذلك لا تعتبر الحل الصحيح . لأن الفرق شاسع وواسع بين فكرة أن الابن هو إله بالطبيعة وبين فكرة أنه من طبيعة وجوهر الله الآب : هذا يعنى بأن الابن هو إله أى من طبيعة إلهية مثل الآلهه الأخرى . ولكنه ليس من نفس الطبيعة التى منها الآب . ولهذا فقد رفضوا إستعمال إصطلاح مساو لله فى الجوهر . ورفض أبولوناريوس بشدة عقيدة الأريوسيين المتطرفين والمعتدلين معاً واتفق مع القديس أثناسيوس فى عقيدة مساواة جوهر الابن وازليته بجوهر وازلية الآب .

إذا كان أسقف لاودكية متفقاً فى هذه النقطة مع القديس العظيم أثناسيوس ، وإذا كان قد نادى بها ، فأين الخطأ إذاً ؟ وما هى هرطقته ؟ كان أبولوناريوس كما سبق الإشارة إلى ذلك رجلاً تقياً متمسكاً بتعاليم وقرارات مجمع نيقية ، وكان يريد مخلصاً أن يجد حلاً صحيحاً للمشكلة الكرستولوجية التى قسمت الكنيسة فى عهده . ولحل هذه المشكلة فقد نادى بتعاليمه الخاصة بتجسد الكلمة فى جسد بدون روح بشرية . إذ أن اللوغوس ، الكلمة يحل محل الروح البشرية فى الجسد . فهو يعتقد بأن الكلمة المُتجسد ، اللوغوس ، ابن الله قد تجسّد فى بطن مريم العذراء وأخذ جسداً . على أن هذا الجسد الذى أخذه الكلمة هو جسد فقط بدون روح بشرية . لأن الكلمة أو اللوغوس حلّ محل الروح البشرية فى المسيح . فالمسيح بحسب المفهوم الأبولوناريوسى مكّون من الكلمة ، اللوغوس ، ثم الجسد أو جسد بدون روح بشرية . وفى بعض الأحيان كان يرى فى المسيح : الكلمة والنفس الحيوانية ، الجسد . طبعاً بدون روح عاقلة . لأن الكلمة أو اللوغوس أخذ مكان الروح العاقلة . ولقد كتب يقول « إنه من المستحيل أن كائنين روحيين ومتمتعين بالحرية ، يسكنان معاً ، لأن رغبات وطاقات الواحد تتعارض مع رغبات وطاقات الآخر . وبناء على ذلك فإن الكلمة لم يأخذ روحاً بشرية[٢] ولقد إتفق

١ - دكتور حنا جرجس المجلد الاول من ص ٦١٨ - ٦٣٣

2. Cité Par J. Liebaert P. 145

معظم العلماء على أن أبولوناريوس تأثر تأثيراً كبيراً وواضحاً بالأفلاطونية ، فلا يغيب عن البال بأنه كان واسع العلم ومطلعاً على فلسفات مختلفة وعديدة . ومن المعروف بأن الفلسفة الأفلاطونية نادت بأن الإنسان مكّون من ثلاثة عناصر : الجسد ، النفس ، الروح . وأمام الإنقسام حول مشكلة المسيح . أراد أبولوناريوس إستخدام هذه النظرية الفلسفية . وبناء عليه فقد علّم بأن للمسيح ثلاثة عناصر : الجسد والنفس واللوغوس . ولكى يثبت أن الإنسان مكّون من ثلاثة أجزاء روح ونفس وجسد رجع إلى الكتاب المقدس « وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء ربنا يسوع المسيح » (اتسا ٥ : ٢٣) . فبالرجوع إلى هذه الآية الفريدة فى العهد الجديد ، وبالاعتماد على الفلسفة الأفلاطونية الثلاثية ؛ إستنتج أبولوناريوس نظريته . وعندما حاول تطبيق هذه النظرية على شخص المسيح ، فقد رأى أن المسيح **مكّون هو أيضاً من هذه الأجزاء** : الجسد والنفس = التى يسميها النفس الحيوانية أو السفلى ثم اللوغوس . فإن اللوغوس حلّ فى الجسد محل الروح . فالمسيح بحسب المفهوم الأبولوناريوسى هو إذن مكّون من الكلمة ، الذى أخذ مكان الروح العاقلة فى المسيح ومن النفس الحيوانية ثم من الجسد . والشذرات التى وصلت إلينا من كتاباته تبيّن لنا بوضوح بأن أسقف لاودكية كان ينكر وجود روح بشرية فى المسيح ، فلا يمكن القول إذن بأن المسيح كان إنساناً من الناحية الانثروبولوجية : أى من ناحية التكوين البشرى ؛ لأن الروح البشرية الموجودة فى كل إنسان غير موجودة فى المسيح . فالكلمة المتجسد لم يصر **إنساناً** بل صار **جسداً** . لأن الإنسان مكّون من روح ونفس وجسد وبما أن المسيح خالٍ من الروح البشرية فلا يمكن أن نقول بأنه صار إنساناً ، بل بحسب المفهوم الأبولوناريوسى يجب القول بأن الكلمة صار **جسداً** ولبس **إنساناً** ، ولكى يؤيد هذه الفكرة فقد رجع إلى قول الرسول يوحنا « والكلمة صار جسداً » فعندما يشرح هذه الآية يقول بأن الرسول يوحنا لا يقول بأن الكلمة صار جسداً[٣] فإن اللوغوس ابن الله الأزلى قد اتحد بنفسه عند التجسد ، جسداً بدون روح بشرية عاقلة . وفى اتخاذه هذا الجسد فقد حلّ محل الروح البشرية العاقلة . فالمسيح إذن بلا روح بشرية عاقلة لأن الكلمة يقوم بهذا الدور فى المسيح .

وفى شرحه للميلاد العذراوى حاول أن يبيّن أن الروح الإلهى أو الكلمة هو الذى حلّ محل النطفة الذكرية التى هى مصدر الحياة أو التى يُخلق منها الجنين[٤] . إن هذا التعليم يقود إلى تجريد المسيح تماماً من الناسوت ويقود أيضاً إلى الاعتراف بأنه لم يكن إنساناً

---

3. G. Voisin P. 365 - 367, 401

4. J. Kelly 303 - 304

حقيقياً كاملاً بل كان شبه إنسان[٥] فمع أنه أخلى نفسه ... (فى ٢ : ٥ – ١١) ولكنه لم يتخل لا عن اللاهوت أو عن الناسوت[٦] .

إن هرطقة أبولوناريوس كامنة إذاً فى رفضه لوجود روح بشرية فى المسيح .. ولقد سبق أن رأينا بأن أبولوناريوس نشأ وتربى فى جو أريوسى ، فبالرغم من أنه رفض تعاليمهم وقاومها بشدة ، إلا أنه تأثر بها وهذا واضح فى تعاليمه وأفكاره لوجود زوح بشرية فى المسيح . فهو ينادى بنفس التعاليم التى علّم بها أنوميوس أحد أتباع أريوس فى قوله « وفى آخر الأزمان جاء فى جسد .. » .

والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو : لماذا أنكر أسقف لاودكية وجود روح بشرية فى المسيح ؟ وما خطورة هذا التعليم من الناحية العقائدية ؟ لقد اتفق كل المعلمين تقريباً على أن أبولوناريوس – أنكر وجود روح بشرية فى المسيح وأن الكلمة قام بهذا الدور فيه[٨] إلا أن البعض يرى بأنه علّم بهذه التعاليم فى بدء حياته ثم ترك التشديد عليها فيما بعد ، وخاصة بعد أن قبل النظام الثلاثى . وهذا رأى فوازن (Voisin) الذى يظن بأن أبولوناريوس علّم فى بداية حياته بأن المسيح لم يأخذ فى التجسد إلا جسداً ، ولكنه عندما قبل عقيدة الثلاثية (Trichotomisme) = (أى أن الإنسان يتكّون من الروح والنفس والجسد) قَبِلَ وجود الروح فى المسيح . ففى بداية كتاباته لا يذكر إلا عنصرين وهما النفس السفلى والجسد . والنفس السفلى بالنسبة له تعنى فى أحيان كثيرة جزءاً من المادة[٩] . على أى حال إن إنكار أبولوناريوس لوجود روح بشرية فى المسيح أمر مسلم به حتى الآن . وهنا نرجع إلى السؤال السابق وهو لماذا لم يقبل معلم لاودكية وجود روح بشرية فى المسيح ؟

كانت التعاليم المختلفة المتنوعة التى إنتشرت فى الكنيسة قبل وبعد مجمع نيقية سبباً من الأسباب المهمة جداً فى إنقسام الكنيسة فى عصره . لأن هذه الطوائف والأحزاب ، حاولت بأن تجاوب على السؤال الذى سأله السيد فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » (متى ١٦ : ١٣) وأبولوناريوس حاول هو أيضاً أن يقدم جواباً على هذا السؤال ، أو بالمعنى الأصح أنه فى غيرته وأسفه على الكنيسة المنقسمة ، أراد أن يقدم شرحاً أو حلاً لهذه المشكلة الشائكة المعقدة ؛ فهو لا يتفق مع الأريوسيين فى خفض الابن

---

5. Liebaert 146, 6 Kelly 302 - 307

٦ – مجموعة الشرح الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة . جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنانيا الياس كسّاب ص ب ١١٢٩٦٦ لبنان ص ٢٥٩ – ٢٦١ ، علم اللاهوت النظامى . دار الثقافة المسيحية ص ٤٣٢ . القاهرة ص ٧٨٧

8. Kelly 300 - 305, Voisin 288 - 290.

9. G. Voisin 288 - 290

إلى درجة مخلوق – أو أول الخلائق – وعدم مساواته فى جوهر الآب ، كما أنه لا يتفق أيضاً مع الأرثوذكسيين الذين يقبلون مسيحاً من روح بشرية وجسد بشرى . كما أنه لا يتفق مع بعض الانطاكيين الذين يقسمون المسيح إلى إثنين . ولقد إنتقد هذه الأحزاب فى خطاب ، يُحتمل بأنه كُتِبَ فى سنة ٣٧٦ أو فى سنة ٣٧٧ .[١٠] فلهذه الأسباب ولأسباب أخرى حاول أن يجد حلاً لهذه المشكلة الكرستولوجية . والحل الذى اقترحه على الكنيسة المنقسمة الممزقة فى ذلك الوقت أن الكلمة اللوغوس قد اخذ جسداً أو جسماً بدون روح بشرية .

لماذا رفض وجود عقيدة روح بشرية فى المسيح

١ – تجنباً للصراع الداخلى فى شخص المسيح :

إن أمر وجود روح بشرية عاقلة فى المسيح ، يفترض بأنه إنسان كامل وإله كامل : وهذا يعنى بأن الناسوت أو الإنسان الكامل = أقصد الكامل فى التكوين ، يتمتع بالحرية والإرادة فى التصرف وفى العمل وفى السلوك . لأن كل إنسان مكّون تكويناً طبيعياً كاملاً ؛ يتمتع بهذه الأشياء التى لا تتفق وإرادة وميول اللوغوس فى أحيان كثيرة عند إستعمالها . وهنا يبدأ الصراع والنضال وعدم التوافق وعدم الإنسجام بين اللوغوس كلمة الله ابن الله ؛ وبين الناسوت الذى حلّ فيه هذا اللوغوس . وهذا الأمر لا يمكن قبوله بأى حال من الأحوال فى شخص المسيح . وكيف يمكننا أن نقبل صراعاً ونضالاً وتناقضاً فى داخل شخص المسيح ؟!! لهذا السبب علّم أبولوناريوس بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . فإن الإنسان المكّون من روح عاقلة ونفس حيوانية ، وجسد ، يشبه الإنسان الذى يتكلم عنه الرسول بولس (رو ٧ : ١٤ – ٢٥ ؛ غلا ٥ : ١٧) وهو الإنسان الذى يصارع ويناضل بطريقة مستمرة : الروح ضد الجسد والجسد ضد الروح . ويقول بونيفاس فى شرحه لتعاليم أبولوناريوس « إن الاعتراف بوجود روح بشرية للمسيح ، يسبب مشكلة صعبة . فإذا إحتفظت هذه الروح بحريتها وإرادتها ، فإنها ستكون فى صراع مع اللوغوس ، ومخالفة لإرادته . الأمر الذى لا يمكن قبوله فى شخص المسيح[١١] . والدارس المدقق لبعض كتابات أسقف لاودكية يلاحظ بلا عناء بأنه نّبر هو

10. Draeseke P. 381.

11. Bonifas T. 2. P. 90 - 92

وأتباعه على فكرة عدم وجود روح بشرية فى المسيح . وحجتهم فى ذلك بأن الروح تتمتع هى أيضاً بإرادة وحرية ، وبناء عليه فإنه من المستحيل جمع إرادتين : إرادة الإنسان الكامل التكّوين من روح ونفس وجسد ، ثم إرادة اللوغوس الساكن فيه . فإن وجود ناسوت كامل فى المسيح : أى وجود روح ونفس سفلى وجسد ، من ناحية ، ثم وجود الكلمة من ناحية أخرى ، قد يؤدى إلى الانحراف والانزلاق والابتعاد ، لا بل إلى الصراع الداخلى العنيف . ولهذا السبب ، وتجنباً للصراع الداخلى ، ينادى أبولوناريوس مشدداً بأنه لا توجد فى المسيح إلا إرادة واحدة وطبيعة واحدة مكّونة من روح واحدة هى الكلمة نفسه ، والإرادة الواحدة هى الإرادة الإلهية التى لا تتغير[١٢] . فتجنباً للصراع الداخلى بين الناسوت وبين اللاهوت : يعتقد أبولوناريوس أنه من الضرورى لا بل من المحتم بأن يحل الكلمة ابن الله أو اللوغوس فى جسد فقط بدون روح .

٢ – عصمة المسيح من الخطية

يرجع أسقف لاودكية عصمة المسيح وسمّوه وترفّعه وإبتعاده عن الخطية إلى عدم وجود روح بشرية فيه . فهو يقول ، لو قبلنا فكرة وجود الطبيعتين فى المسيح ، نقبل بالتالى وجود إرادتين متناقضتين ، كما نقبل أيضاً وجود الخطية الأصلية والخطية الفعلية فيه[١٣] ، ويقول بونيفاس بخصوص هذه النقطة ما ملخصه : لو كان فى المسيح روح بشرية ، لأصبح من المستحيل أن يكون قديساً ، لأن الخطية مرتبطة بنفس الإنسان البشرية . فحيث يوجد الإنسان توجد الخطية . ومصدر قداسة المسيح هو اللوغوس الذى حلّ محل الروح البشرية .. وأن الابن لم يأخذ الطبيعة البشرية الملوثة بالخطية ، ولكّنه أخذ الطبيعة البشرية الأولى . فإنه لم يصبح ابن آدم ، بل آدم الجديد[١٤] . واننا نلاحظ بأن أبولوناريوس قد ذهب أبعد من ذلك فى شرحه لعصمة المسيح عندما تكلم عن الميلاد العذراوى . فهو يعتقد بأن الروح الإلهى هو الذى حل محلّ النطفة الذكرية التى تعطى حياة للإنسان (Sperme)[١٥] . وهذا هو السبب فى كمال المسيح ؛ بحسب مفهوم أبولوناريوس . إذ أن الروح البشرية قابلة دائماً للسقوط ومعرضة للأفكار الشريرة والميول الفاسدة ، أما الكلمة فإنه غير متغير[١٦] .

والروح البشرية بحسب مفهوم أبولوناريوس هى مركز الشعور والرغبة والإرادة . فإذا كان جسد المسيح قد جُرِدَ من هذه الروح البشرية التى هى مركز الشعور والاحساس

12. G. Voisin P. 120, Kelly 306 - 307.
13. G.Voisin 354 - 455.
14. Bonifas Tome 2^em 90 -92.
15. Kelly 302
16. Apol. Ep. Ad. Diocaes 2

والخطية أيضاً ؛ فلا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقول بأن المسيح قد جُرب بالتجارب التى تُجرب بها الإنسان المكّون تكويناً عادياً وطبيعياً ، من روح عاقلة ونفس حيوانية وجسد . فإن عدم الإعتراف بوجود روح بشرية فى المسيح يعنى إزالة مركز الإرادة والسلوك والتصرف والشعور والحس . وبناء على ذلك فإن المسيح لم يتعرض فى حياته الأرضية للتجارب التى يتعرض لها الإنسان ، لأنه لم يكن إنساناً كاملاً ، ثم لأن اللوغوس كان يقوم بالدور الذى كانت تقوم به الروح البشرية فى قيادة الجسد المجرد من كل رغبة وإرادة وعمل . ومما لا شك فيه فإن هذا يتعارض مع المكتوب : فإن الله الكلمة قد ظهر فى الجسد ، ولم يكن الكلمة جسداً مجرداً من الروح البشرية كما علّم بذلك أبولوناريوس بل كان جسداً حقيقياً وكاملاً من حيث تكوينه الطبيعى البيولوجي والنفسى . ففى حزنه وفرحه وآلامه كان يضطرب بالروح . كما كان يحزن ويفرح كأى إنسان آخر مكوناً تكويناً طبيعياً وبيولوجياً ونفسياً بطريقة طبيعية كاملة . كان يشعر بهذه الأحاسيس والمشاعر والانفعالات ؛ لأنه كان إنساناً كامل التكوين . وبما أن يسوع كان فعلاً إنساناً كامل التكوين ، فقد جُرب فى بشريته كما يجرَب أى إنسان آخر . والرسول يعبر عن هذه الحقيقة بالقول « لأنه فيما هو تألم يقدر أن يعين المجربين » (عب ٢ : ١٨) لأن ليس لنا رئيس كهنه غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥ ؛ ٧ : ٢٦ ؛ ٩ : ١٤ ؛ يو ٨ : ٤٦ ، ٢ كو ٥ : ٢١ ، ١ يو ٣ : ٢٥) ويشدد كثيراً كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً : « من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شى » (عب ٢ : ١٧) فلو كان المسيح مجرداً من روح بشرية عاقلة ، التى هى مركز الحس والشعور ؛ لأصبح من المستحيل أن يكون مثل إخوته ومشابهاً لهم فى كل شىء . وربما يعترض البعض فيقول : إذا كان من الضرورى بأن المسيح يشبه إخوته فى كل شىء كان من الضرورى إذن أن يخطىء حتى تكون المشابهة كاملة . وهنا نرى عظمة يسوع وقداسته وسموه . فمع أنه كان يشبه إخوته فى كل شىء أى أنه كان مكوناً تكويناً كاملاً من الناحية النفسية والطبيعية ومعرضاً لكل أنواع التجارب التى يتعرض لها أى إنسان مثله . فهو الوحيد الذى إستطاع أن يقول ، متحدياً اليهود « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) وهذا لا يعنى بأى حال من الأحوال بأن الجسد والروح كانا لا يعملان فى المسيح كما يعملان فى أى إنسان آخر لدفعه للخطية ولارتكابها . بل أن المسيح كان مجرباً فى جسده وروحه كأى إنسان آخر . والرسول يقول : « ... فالله أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » (٨ : ٣ ؛ غلا ٣ : ١٣) .

فإنتصار المسيح على الخطية وقهره لها ، لا يرجع بأى حال إلى غياب الروح البشرية منه ، كما يعتقد ذلك أبولوناريوس ، بل يرجع إلى حقيقة واحدة ، وهى أن الذى كان

يعمل فى هذا الإنسان يسوع الناصرى الذى هو من روح عاقلة وجسد طبيعى ؛ هو اللوغوس ، ابن الله الكلمة الذى حلّ فى هذا الإنسان . فقداسة يسوع وكمال تصرفاته وسمو أخلاقه ومثالية حياته ، لا ترجع إلى غياب الروح منه ، ولا حتى لغياب العامل الذكرى فى الحمل به من عذراء . ومع أنه حُبل به فعلاً من عذراء بطريقة معجزية ، لكن السبب الحقيقى فى كماله هو « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » . يعنى أن الله نفسه حلّ فى الإنسان يسوع المسيح . فإن إنتصار يسوع المسيح على الخطية وعلى التجارب لا يرجع إذن إلى غياب روح بشرية ميّاله إلى السقوط فى الخطية ، بل يرجع بالحرى إلى وجود اللوغوس فيه ، ووجود اللوغوس فى هذا الإنسان الكامل التكوين لم يلاش الناسوت ، بل كان يوجهه ويرشده ويقوده . وفى وجوده فى هذا الناسوت كان يعمل كل ما يعمله الإنسان ما عدا الخطية . إذ أنه إستطاع فى أيام بشريته – وهو الوحيد فى ذلك – أن لا يعمل ما يقوم بعمله الإنسان فى كل حياته ؛ وهو الخطية ، وأن يعمل فى كل حياته ؛ لا بل فى كل لحظة من حياته ؛ ما لايستطيع الإنسان من ذاته القيام بتنفيذه ؛ وهو البر والقداسة .

٣ – تجنب الإزدواجية :

فقد إعتقد بأن وجودها يتطلب وجود إنسانين أو ابنين فى المسيح الواحد . إن أبولوناريوس بدأ صراعه ضد الأريوسيين ، وفيما بعد ضد ا لكنيسة نفسها ، لكى يدافع عن وحدة المسيح . فلقد اعتبر تعاليم أريوس هرطوقية ، لأنها جعلت من المسيح ابناً لله وابناً للإنسان . كما أنه لم يقبل تعاليم مارسيون (أو ماركيون) ولا تعاليم البنويين التى نادت بأن المسيح حل على الإنسان يسوع الناصرى فى وقت العماد ؛ ومن هذه اللحظة أصبح يسوع الناصرى ، ابناً لله[١٧] . ولقد رفض أيضاً تعاليم كنيسة أنطاكية التى نادت بعبارة الكلمة – إنسان (Logos - Anthropos) كما أنه رفض أيضاً تعاليم كنيسة الإسكندرية التى إستعملت فى تعاليمها عبارة الكلمة – جسد (Logos - Soma) أو (Logos - Chair) أو الكلمة ، اللوغوس جسم (Logos - Sarx) لأنه رأى فى التعليمين إزدواجية يجب محاربتها بكل وسيلة . فإنه كان يعتقد بأن المناداة بعقيدة الكلمة – إنسان = (Logos - Anthropos) خطأ خطيراً لأن قبول هذه العقيدة ، كما نادت بها الكنيسة الأرثوذكسية ، يعنى بأن الله الكلمة أو اللوغوس صار إنساناً . وإذا كان فعلاً بأن الكلمة فى تجسده أصبح إنساناً كاملاً مكوناً من روح وجسد ، يمكن القول بأنه يوجد ابنان لله وليس ابناً واحداً .

---

١٧ . الدكتور القس حنا جرجس الخضرى المجلد الاول : تاريخ الفكر المسيحى ٢٤٤ – ٢٥٥

فقد سبق أن رأينا بأن أبولوناريوس كان يعتقد بأن الإنسان يتكّون من ثلاثة أجزاء النفس السفلى والجسد ثم الروح . ويمكن أن ندعو هذا الإنسان ابناً لله . فإذا أضفنا إلى هذا الإنسان ، الكلمة اللوغوس أو ابن الله ، فإننا نجد ابنين لله بدل من ابن واحد . الإنسان الكامل التكوين أى ابن الله بالتبنى ثم ابن الله أو اللوغوس أو الكلمة أى ابن الله بالطبيعة . فلقد قبل أتباع أبولوناريوس المبدأ الفلسفى القائل إن اثنين كاملين لا يمكن أن يكونا واحداً . واعترضوا قائلين : إذا قبلنا وجود طبيعة بشرية كاملة فى المسيح ، وطبيعة إلهية كاملة فيه فيوجد إذن طبيعتان وشخصان : إذ أنه يوجد إنسان كامل وإله كامل . وبناء على ذلك يوجد شخصان وبالتالى ابنان لله . ابن بالطبيعة ؛ اللوغوس الكلمة ، ثم ابن بالتبنى الإنسان الكامل المكّون من روح وجسد ونفس سفلى[١٨] .

ولهذا السبب رفض أيضاً أبولوناريوس فكرة وجود روح بشرية فى المسيح ، وعلّم بما يدعى فى علم تاريخ الفكر المسيحى أو تاريخ العقائد بعقيدة « الكلمة – جسد أو جسم » (Verbe - Chair) . يعنى أن الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله ، حلّ فى جسد أو فى جسم بدون روح عاقلة . وبهذا المنطق أعتقد أسقف لاودكية بأنه وجد حلاً صحيحاً سليماً ضد تعاليم الأريوسية وضد تعاليم الكنيسة الارثوذكسية .

٤ – إيمانه بالطبيعة الواحدة ورفضه لعقيدة الطبيعتين :

نطق أبولوناريوس بهذه الجملة الشهيرة ، فى وصفه لشخص المسيح بعد اتحاد الكلمة الابن بالجسد ساركس ؛ وهى « واحدة هى الطبيعة »[١٩] وهذه الجملة لعبت دوراً هاماً جداً فى النزاع العقائدى الكرستولوجى فى الحقبات التالية .

فأبولوناريوس يرفض وجود طبيعتين كاملتين فى شخص المسيح ولا يقبل إلا وجود طبيعة واحدة . ولقد سبق أن قلنا إنه حاول جاهداً أن يتجنب الازدواجية التى علّم بها الأنطاكيون . ولهذا فقد رأى أن عقيدة الطبيعتين فى شخص المسيح تحتوى على خطر عظيم : وهو خطر الازدواجية ؛ أى وجود طبيعة إلهية كاملة ووجود طبيعة بشرية كاملة فى المسيح . ولذلك فقد قام بحرب شعواء ضد تعليم الكنيسة التى كانت تعترف بكمال اللاهوت وكمال الناسوت . وإتبع فى ذلك نظام الكلمة – جسد Verbe-Chair Word-Flesh أى أن الكلمة الإبن حلّ فى الجسد : أو فى جسد ولم يحل فى طبيعة بشرية كاملة . لم يحل فى إنسان مكّون من روح عاقلة ونفس سفلى وجسد بحسب المفهوم الفلسفى السائد ، بل أن الكلمة حلّ فى جسد وهذا الأخير (الجسد) لا يمكن اعتباره

18. (Verbe - Chair) Voisin. P. 290

19. Danielou 381

طبيعة كاملة ، لأنه لا يمكن له بأن يمنح من ذاته ولذاته حياة[٢٠] إذ أنه مجرد أيضاً من الروح العاقلة . فإن قبول روح عاقلة فى الجسد الذى أخذه الكلمة يعنى وجود طبيعة بشرية كاملة ثم الكلمة المتجسد لاهوت كامل . وهذا يقود إلى وجود طبيعتين كاملتين فى المسيح . الأمر الذى رفضه أسقف لاودكية لخوفه من الازدواجية التى بدأت فى الانتشار فى عصره . ألم يعلم ديودوريوس الطرسوسى فى انطاكيا قائلاً « بأن ابن الله حلّ فى ابن داود .. الكلمة سكن فى الذى هو من نسل داود .. »[٢١] . هذه هى الازدواجية التى كان يخشاها أبولوناريوس . ولذلك فإنه رأى كما سبق الإشارة إلى ذلك بأن المسيح كان الكلمة المتجسد والجسد المُتَجسد . وبناء عليه لا يوجد فيه إلا طبيعة واحدة . لأنه لو قبلنا وجود طبيعة بشرية كاملة فى المسيح فمن الضرورى قبول طبيعة إلهية كاملة أيضاً . وبناء على ذلك فإنه يوجد فى المسيح طبيعتان . وهذا الأمر كما يعتقد أبولوناريوس يقود إلى الإنقسام وليس إلى الاتحاد فى شخصية المسيح . لا بل إنه ظن أن قبول عقيدة الطبيعتين فى المسيح يلزمنا بالاعتراف بوجود أربعة أقانيم فى الثالوث وليس ثلاثة . أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس ثم أقنوم الإنسان الكامل[٢٢] .

وهنا نسأل ما هو مفهوم أبولوناريوس للتجسد ؟ إن مشكلة إتحاد اللاهوت بالناسوت ، وكيف تمّ هذا الاتحاد بين عنصرين مختلفين لم تُثر قبل ذلك بنفس الطريقة التى شرح بها أسقف لاودكية هذه المشكلة[٢٣] ففى تقديمه لهذه المشكلة حاول تطبيق النظرية الارسططالية للمادة والهيئة على المسيح . فهو يعتقد بأنه يوجد عنصران فى المسيح : الواحد روحى نشيط وهو اللاهوت أو الكلمة ؛ والثانى مادى سلبى وهو الجسد . فعندما حلّ الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله ، وهو العامل النشيط فى الجسد الذى هو الإله المحرك ، كان الكلمة هو الذى يعمل ويحرك ويقود الجسد . وهذان الاثنان : الكلمة المحُرِك والجسد المتحرك ، يكوّنان وحدة واحدة وجوهراً واحداً ومركباً واحداً . وهذا الجوهر هو اللاهوت غير المنظور ثم الناسوت المنظور[٢٤] . ووحدة الكلمة والجسد يكوّنان طبيعة واحدة لا طبيعتين . وعندما تتكّون هذه الطبيعة الواحدة من العنصر الإلهى ، الذى هو المصدر والأصل ، ومن العنصر البشرى ؛ لا يتحول أو يتغير أى عنصر منهما إلى عنصر آخر فكل عنصر من العنصرين اللاهوتى والجسدى (البشرى) يحتفظ بميزاته الخاصة به . ولكى يشرح هذه العقيدة رجع إلى التشبيه المعروف الجسد والروح .

20. A. Grillmeier 264 - 269.

21. Joseph Turmel. Hist. des Dogmes 2 La Trinité, P. Incarnation. La Vierge Marie 301.

22. Voisin 290.

23. Voisin 277 J. Liebaert 149 - 150.

24. Voisin 279.

فإن الروح باتحادها بالجسد لا تتحول إلى جسد أو الجسد لا يتحول إلى روح . وبالرغم من عدم الاختلاط أو الإندماج فى العنصرين ، فإن عملية الاتحاد تمت بين الروح غير المنظور والجسد المنظور . فإن كان الاتحاد بين الروح وبين الجسد ممكنا لتكوين وحدة واحدة طبيعية ، فكم بالحرى يكون ممكنةً بحسب مفهوم أبولوناريوس بأن الكلمة اللوغوس يتحد بجسد بدون روح بشرية لتكوين طبيعة دون أن يحدث تغيير فى الواحد أو فى الآخر[٢٥] . على أن أسقف لاودكية لا يرى أن الطبيعة الواحدة بعد الاتحاد ، هى نتيجة إتحاد العنصرين اللاهوتى والبشرى أو أن هذا الاتحاد أنتج طبيعة جديدة خليطاً من الكلمة والجسد ، بل أن الطبيعة الإلهية التى كان يملكها اللوغوس قبل مجيئه إلى العالم ، وجُدت فى حالة جديدة . فبعد إتحاد الكلمة أو اللوغوس بالجسد ، أصبح المسيح مركباً من الكلمة ومن الجسد . فإن الأول (الكلمة) هو الذى يسيطر ويحرك الثانى (الجسد) الذى أصبح آلة طبيعة . وفى هذا المركب لا توجد إلا طبيعة واحدة هى طبيعة اللاهوت الذى يعمل فى الجسد ويسيطر عليه[٢٦] . فإن الكلمة فى الجسد كالمحرك فى السيارة أو الروح فى الإنسان . وبما أن الطاقة واحدة والمحرك واحد وهو الكلمة (اللوغوس) فلا يوجد إلا جوهر واحد وطبيعة واحدة وهو جوهر الكلمة وطبيعة الكلمة[٢٧] . فإن عبارة « والكلمة صار جسداً » تعنى عنده ، أن اللوغوس اتحد بجسد : أى أن الطبيعة الإلهية إتحدت بجسد لم تتحد بطبيعة بشرية كاملة . ولهذا السبب نادى بجملته المشهورة « واحدة هى الطبيعة » أى الطبيعة الإلهية التى حلّت بدل الروح فى جسم بشرى .

فإن التجسد بحسب مفهوم أبولوناريوس ، هو إتحاد الكلمة اللوغوس بالجسد (الساركس) : والروح الإلهى والساركس (الجسد) الأرضى يكونان معاً وحدة جوهرية[٢٨] لأن جسد المسيح وحده لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون طبيعة مستقلة بذاته ومن ذاته . فلكى يخرج إلى حيز الوجود كان لابد من إتحاده بنفس عاقلة ومحركة وعاملة . والذى حلّ محل هذه الروح العاقلة العاملة والمحركة هو اللوغوس نفسه[٢٩] . فلقدكتب يقول : « إنه (المسيح) طبيعة واحدة لأنه شخص واحد بسيط وغير منقسم إذ أن جسده لا يعتبر طبيعة بذاته ، وليس بفضل التجسد أصبح اللاهوت طبيعة بذاته ... »[٣٠] .

25. Voisin 279

26. 283

27. J. Liebaert 146 - 151.

28. Grillmeier 259 - 263.

29. Alol. de laodicée. Ep. Ad. Dion. 1.8. Cité, par Kelly 300 - 303.

★ فى بعض النصوص يعتبر أبولوناريوس الجسد والنفس الحيوانية أو السفلى كشىء واحد .

30. .... 303 - 305

ولهذا فإنه يعتبر أن عقيدة الطبيعتين فى المسيح خطأ عظيم ، فهو يقول فى خطابه إلى ديونسيوس « إن قبول فكرة الطبيعتين هو تقديم أفضل برهان لهدم وحدة المسيح ، لأنه حيث توجد الازدواجية يوجد الانقسام ... »[٣١] .

رفض أبيفانوس تعاليم أبولوناريوس ، حاول الأستاذ جريلمير Grillmeier من خلال كتابات أبيفانوس أن يستخلص بعض تعاليم أسقف لاودكية الخاصة بالطبيعتين . فمثلاً يقول أبولوناريوس مجادلاً بأن الإنسان هو إقنوم أو شخصية بفضل الروح التى هى مصدر الحياة . فإن نفسه الحيوانية وجسده أصبحا إقنوماً أو شخصية بفضل – وعن طريق – الروح . فإذا قلنا بأن الكلمة كنفس إلهى وروح إلهى أخذ روحاً بشرية ، لوجد فى المسيح إقنومان وهذا الأمر مستحيل . ولكن إذا اعترفنا بأن الكلمة لم يأخذ إلا نفساً حيوانية(*) وجسداً فان هذين الأخيرين (النفس الحيوانية والجسد) يتأقنما فيه ولا يوجد إلا أقنوم واحد فردى[٣٢] .

مما سبق يتضح جلياً بأن أبولوناريوس يرفض عقيدة وجود طبيعتين فى المسيح ، وعلّم بوجود طبيعة واحدة ، ولذلك رأى فيه البعض أساساً لتعليم اتيجوس الذى يعتبر من الذين علّموا عن جهل وعن غير فهم عقيدة الطبيعة الواحدة (Monophysisme) . والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو ما هو الدور الذى يقوم به الجسد ؟

يعتقد أبولوناريوس بأن اللوغوس هو مصدر الحياة ، ومصدر القوة ومصدر الحركة والعمل والنشاط : ففى عملية إتحاد اللوغوس بالجسد حلّ اللوغوس محل الروح البشرية فى المسيح وبناء على ذلك أصبح المسيح شخصاً أو أقنوماً مركباً أو مكّوناً من اللوغوس الذى هو مصدر الحياة ، ومن الجسد وهو الآلة فى يد الكلمة يحركه ويقوده . على أن العلاقة بين الله المُتَجَسِد والجسم (الجسد) المُتَجَسَدُ أقوى بكثير جداً من العلاقة الموجودة بين العامل والآلة . فهو يقول : « وبما أن الله أخذ آلة (الجسد) فهو الله العامل والإنسان المستخدم . فالالة والمحرك لا يكونان إلا طاقة واحدة . فإذا كانت الطاقة واحدة ، فإن الجوهر واحد أيضاً . فلا يوجد إذن إلا جوهر واحد للكلمة (وللآلة) »[٣٣] . فمن الكلمة المُتَجَسِد ومن الجسد المُتَجَسَدُ يتكّون ما يسميه بالمركب : ويعنى بذلك أن المسيح يتكّون من اللوغوس الذى أخذ مكان الروح ، ومن الجسد الذى يمثل الناسوت (الناقص لأنه بدون روح عاقلة) والكلمة يعمل فى هذا الناسوت الناقص أو الجسد عمل الروح فى جسم الإنسان . مما لا شك فيه ، بأن هذا الجسد المجرد من الروح العاقلة لا يمكن أن نعتبره ناسوتاً كاملاً لأنه خالٍ من الروح البشرية .

---

31. Grillmeier P. 264.

32. Grillmeier 271.

33. Liebaert, P. 147.

والسؤال الثانى الذى يجب أن نسأله : ما هو هذا الجسد ، ومن أى طبيعة أُخذ ؟ هل هو جسد سماوى أم أرضى ؟

يرى أبولوناريوس الجسد الذى أخذهُ اللوغوس من زاويتين :

١ - الجسد البشرى :

إنه يؤمن بأن الجسد الذى أخذه الكلمة فى تجسده هو جسد بشرى مثل أجسادنا تماماً ، على أنه فى بعض الأحيان يفضل عبارة « شبه الإنسان » (فى ٢ : ٧) وخاصة فى مقارناته وكلامه عن الجسد الذى أخذه المسيح[٣٤] . ولهذا السبب فقد إتهمه البعض بالدوسيتية (docétisme) أى أنه ينكر حقيقة وفاعلية الجسد فى شخص المسيح ، ولكن الذى يدرس بالتدقيق الشذرات الباقية من كتاباته وبعض كتابات الكتّاب المحايدين فيما يخص هذا الموضوع ؛ يلاحظ بأن أبولوناريوس علّم بوجود جسد حقيقى للمسيح . فلقد قال فى كلامه عن التجسد « .... وفى إخلاء نفسه لم يتغير ... بل أخذ **جسداً** كغلاف ... »[٣٥] . فهو يرى فى المسيح المركب ، الناحية الإلهية ، اللوغوس غير المنظور ، ثم الجسد الذى يسكن فيه اللوغوس المحرك والعامل فى الجسد . ففى هذا الغلاف أو فى هذا الثوب ، حلّ كلمة الله اللوغوس بدلاً من الروح البشرية . وبعد عملية التجسد ، أصبح الجسد العنصر الملموس المحسوس أو الثوب أو الغلاف أو الآلة السلبية (نوعاً) والتى يستخدمها اللوغوس فى عملياته . فإن الجسد هو الشكل الخارجى أو الهيئة المنظورة الملموسة ، واللوغوس هو الجوهر الداخلى أو المحرك والعامل فى هذا الجسد ؛ والاثنان يكّونان شخص المسيح أو ما يسميه أبولوناريوس بالمركب . وهو يقول : « إن الكتب المقدسة تعرفنا بأن المسيح هو الله وإنسان ... ونحن نعترف بأن المسيح واحد ، فهو الذى وُلِدَ من الآب بحسب الروح ومن مريم العذراء بحسب الجسد ، لقد تألم بحسب الجسد ، كما أنه ظل غير قابل للآلام بحسب اللاهوت[٣٦] . ثم يقول أيضاً إن المسيح كله من السماء بحسب اللاهوت وكله من المرأة بحسب الجسد[٣٧] وفى حملته الهجومية ضد مدرسة إنطاكية نادى بأن الله ولد من إمرأة وتألم .. إن مجمع نيقية يؤكد هذه الحقيقة عندما يقول : بأن ابن الله نزل من السماء وصار إنساناً .. إن الله تألم مع أنه غير قابل للآلام ... فإن الكلمة تألم ومات بحسب الجسد ...[٣٨] لأن هذا الجسد هو من

34. Voisin. 288 - 290

35. 283

36. Les Fragments Dogmatiques de Diodore de Tarres et Theodore de Mopsueste dans Migne P.G. T. T 33, 66 P. 342 GG. P. 342.

37. Voisin. 294.

38. .... 295 - 96.

نسل داود وقد كُوّن فى بطن العذراء مريم .. فالجسد الذى أخذه الكلمة من مريم شبيه باجسادنا[٣٩] . فإن الله والإنسان ليسا بجوهرين ولكن جوهر واحد مركب **الله والجسد البشرى**[٤٠] .

من هذه النصوص المقتبسة أعلاه ومن نصوص أخرى كثيرة يتضح بأن أبولوناريوس لا ينكر وجود جسد بشرى للمسيح ، وأن هذا الجسد قد أخذه من مريم العذراء ، ولم ينزل من السماء ، بل جسم حقيقى ، جاع وعطش وتألم وفرح مثل كل الأجساد البشرية الأخرى . فهو « شبيه باجسادنا » وأن قانون الإيمان الذى وقّع عليه المجتمعون فى مجمع الإسكندرية فى سنة ٣٦٢ يعترف بصراحة بحقيقة جسد المسيح ، بغض النظر عما كان يخفيه إتباع أبولوناريوس والممثلون له فى هذا المجمع ، فى قلوبهم بخصوص عدم وجود روح فى المسيح . هذا هو المفهوم الأول الذى يقدمه أبولوناريوس وأتباعه لجسد المسيح . على أنه يقدم مع أتباعه جسد المسيح من زاوية أخرى .

٢ - الجسد المتأله :

إن الدارس لتعاليم أبولوناريوس يلاحظ بأنه يستعمل فى الكلام عن جسد المسيح بعض العبارات التى يشتم منها رائحة الدوسيتيه مثل « الإنسان السماوى أو جسد الله أو جسد الإله أو شبه إنسان .. » ولقد فهم الكثيرون عبارة « الإنسان السماوى » بطريقة خاطئة . ولذلك فقد انتقدوا أسقف لاودكية بشدة ، وفسرت هذه العبارة بحسب مفهومهم الخاطىء ظانين بأن أبولوناريوس كان يعتقد بأن جسد المسيح هو جسد سماوى نزل من السماء وليس جسداً بشرياً . ولقد سبق وشرحنا بأنه يؤمن بحقيقة جسد المسيح البشرى ، وأن الجسد الذى تجسد فيه الكلمة هو جسد شبيه باجسادنا . ومع أن هذا الجسد مثل أجسادنا ومولود من مريم العذراء فهو جسد بشرى كأى جسد آخر ، إلا أنه خالٍ من الروح ؛ فهو أيضاً يختلف عن أجسادنا ليس بسبب طبيعته البشرية ، بل بسبب إتحاده باللاهوت . مما جعل هذا الجسد المأخوذ من مريم العذراء جسداً إلهياً أو جسد الله[٤١] ، أو جسداً سماوياً . وينّبر أبولوناريوس فى تعاليمه على أن هذه العملية ، لا تعنى أن جسد المسيح تحوّل من جسد بشرى إلى جسد إلهى متغيراً عن أصله البشرى . فكما أن اللوغوس فى تجسده لم يترك اللاهوت لكى يصير ناسوتاً أو جسداً بشرياً ، بل ظل ما كان عليه قبل التجسد ، كذلك فإن الجسد البشرى لم يتغير أو يتحوّل إلى طبيعة أخرى غير طبيعته الأصلية . وهذا واضح مما كتبه أبولوناريوس نفسه . فبعد موته إنقسم أتباعه إلى

---

39. Kelly 304

40. Voisin 288

41. Liebaert 147.

طائفتين طائفة المعتدلين وطائفة المحافظين أو المتمسكين بتعاليمه بطريقة حرفية . ولقد كتب أحد أتباع طائفة المعتدلين خطاباً وهو الأسقف هومونيوس (Homonius) إلى تيموثاوس البيريتى أو البيروتى (Timothé de Beryte) أحد أساقفة المحافظين يطلب فيه تفسيراً لاتحاد الكلمة بالجسد . ولم يجد الأسقف تيموثاوس رداً أوضح من الرد الذى أرسله أبولوناريوس نفسه إلى سرابيون (Serapion) ويقول فيه « إن جسد المسيح مشابه لاجسادنا بالطبيعة ، ولكنّه إلهى بسبب الاتحاد[٤٢] . فمن هذا الخطاب ومن بعض الشذرات الباقية من كتاباته ، يتضح بأن أبولوناريوس لا يعتقد بأن جسد المسيح قد نزل من السماء أو هو من طبيعة أخرى غير الطبيعة البشرية ، مع أنه ليس بطبيعة بشرية كاملة . بل أن ما حدث فى جسد المسيح هو أن عملية إتحاد الكلمة رفعت هذا الجسد البشرى إلى درجة أسمى وأعلى ، لا بل ألهته . وهنا تظهر الزاوية الثانية التى يرى أبولوناريوس من خلالها جسد المسيح ، وهو الجسد المتأله بسبب إتحاده باللوغوس . فإن الجسد من ذاته وبذاته دون إتحاد مع اللوغوس هو جسد كأجسادنا . ولكن عند إتحاده باللوغوس أصبح جسد الله . فمع أنه جسد بشرى إلا أنه عن طريق الاتحاد وبفضله أصبح جسد اللوغوس وبالتالى متألهاً . ولقد عارض هذا التعليم الأسقف هومونيوس . فعندما إطلع على المكتوب الذى أرسله تيموثاوس كتب قانون إيمان يقول فيه « اعترف أنا هومونيوس بأن الكلمة أخذ جسداً من مريم يشبه أجسادنا . والذى يعترف بأن الجسد الذى إتحد به السيد مساو لله يكون محروماً »[٤٣] نادى أبولوناريوس باشتراك الصفات (Communication des idiomes) أو توصيل المميزات والصفات الخاصة بالواحدة الأخرى أى تطبيق صفات الطبيعتين على شخص المسيح الواحد . فمثلاً يمكننا أن نقول بأن المسيح هو إنسان وإله فهو يجهل بعض الأمور لكنه يعرف كل شيء وقد ولد فى وقت معين لكنه أزلى وعن طريق هذه القاعدة يمكن القول بأن كل خاصة أو طبيعة من الطبيعتين كانت تُشرك الأخرى فى صفاتها وقدرتها .. كانت هذه القاعدة مقبولة من عدد كبير من أباء الكنيسة فى القرون الأولى . على أن أبولوناريوس تطرّف فى إستخدامها وحاول إستغلالها إلى أبعد الحدود . وبناء على ذلك ، فإنه يرى بأن عملية إتحاد الكلمة بالجسد ألّهت هذا الجسد . ففى كتابه ضد ديودوريوس (Diodore) يشرح هذه المشكلة فيقول « يمكن أن نقول بأن ذرية داود هو الخالق للعالم ، لأنه إتحد بخالق العالم .. وعلى هذا المنوال يمكن القول أيضاً بأن جسد المسيح موجود سابقاً قبل وجود إبراهيم[٤٤] . وهنا يطبق أبولوناريوس نظرية « الاشتراك فى صفات الطبيعتين أو توصيل الصفات بين الطبيعتين . فعلى سبيل المثال عندما اتحد اللوغوس بالجسد أصبح الجسد يتمتع بالصفات التى يتمتع بها

---

42. Kelly 303 - 306 (Voir Apol .. de Lao.. Frag. 116, 153.160 Anaceph.

43. Voisin 125.

44. Voisin 125.

اللاهوت . فيمكن أن يقال بأن الجسد متألم وغير متألم ، وإنه إلهى وغير إلهى ، وإنه مولود من العذراء فى زمن معين وغير مولود فى الزمان والمكان وإنه قبل إبراهيم وبعده .

ويقول دانيالو بأن أبولوناريوس إستعمل هذه القاعدة بطريقة متطرفة ومتناقضة لدرجة أنه علّم بعبادة جسد المسيح[٤٥] . فبما أن جسد المسيح هو جسد الله فيجب إذن عبادة جسد الله . لأن الكلمة والجسد يكونان كائناً واحداً وهو المسيح .

حاول فالانتينوس (Valentin) وهو رئيس الحزب المصرى الأبولوناريوسى ، الدفاع عن معلمه فكتب مكتوباً حاول أن يبين فيه أن أبولوناريوس حارب فكرة مساواة جسد المسيح بالله أو أنه من نفس طبيعة الله ، ويقول بأنه هو نفسه قد حارب كلا من تيموثاوس وآخرين رافضاً عقيدة تساوى ابن الله بالجسد ، الذى إتحد به . ثم يضيف قائلاً بأن تيموثاوس أخطأ عندما ظن بأن أبولوناريوس علّم بأن الجسد ظل بشرياً بالطبيعة ، ولكنه يفضل الاتحاد أصبح مثل الكلمة مساوياً لله فى الجوهر[٤٦] . وعلى ما يبدو بأن تيموثاوس كان أقرب لآراء أبولوناريوس من فالانتينوس .

45. Voisin 296 - 300.

46. Danielou 381.

الفصل الثالث

بعض التعاليم التى نسبت إلى أبولوناريوس ولم يعلم بها

كانت تعاليم أبولوناريوس موضوعاً للنقاش والجدل فى القرنين الرابع والخامس . ولقد كتب كثير من الآباء نقداً لأفكاره وتعاليمه فى حياته وبعد موته . وفى نقدهم لأفكاره نسب له البعض منهم أخطاء وتعاليما لم يناد بها . ومن الأخطاء التى نسبت إليه :

١ – **إختلاط الجسد واللاهوت فى المسيح** : سبق أن رأينا بأن أبولوناريوس نبّر بشدة مراراً وتكراراً على أن التجسد ليس خلطاً ومزجاً للعنصرين بل هى عملية إتحاد بين اللوغوس وبين الجسد . وفى هذا الاتحاد يحتفظ كل عنصر بخواصه وطبيعته الذاتية . لا بل إنه حرم كل من يعلم بمزج أو خلط العنصرين : اللاهوت والجسد .

٢ – **جسد المسيح نزل من السماء** : إتهمه البعض أيضاً بأنه علّم بأن جسد المسيح نزل من السماء ؛ كما أنه يختلف عن أجسادنا : فهو إذن جسد سماوى وبناء على ذلك فقد الصقوا به تهمة غنوسى . فغريغوريوس النزينزى يقول فى خطاب له إلى كليدونيوس بأن طائفة أبولوناريوس تميل إلى الدوسيتية (الذين لا يرون فى المسيح إلا لاهوتاً فقط) ولقد سبق ورأينا بأنه نبّر بشدة على حقيقة وجود جسد للمسيح . وهذا الجسد لم يكن خيالاً بل كان حقيقة واقعية ملموسة ومحسوسة .

٣ – **كان جسد المسيح جسداً خاصاً من مادة خاصة** : إتهم كل من القديس أمبرواز والقديس أبيفانوس ، أسقف لاودكية بأنه علّم بأن الكلمة لم يأخذ جسداً من مريم ولكنه هو نفسه الذى صنع لنفسه جسداً من مادته الخاصة ، وليس لهذا الجسد بداية فى الزمن

وهو مساو للكلمة . إن هذا الاتهام لا يستند على أى إقتباس من تعاليم أبولوناريوس وبناء على ذلك فلا داع لمناقشتها كما يقول فوازن . ونلاحظ بأن غريغوريوس النيسى يتهم أيضاً أبولوناريوس وشيعته بنفس التهمة فى خطاب قد أرسله إلى ثيوفيلوس الإسكندرى بالقول بأن أسقف لاودكية يعلّم بأن جسد المسيح نزل من السماء . ويقول فوازن بأن غريغوريوس النيسى كتب عن هذا الموضوع دون التحقق من صحته . وأن تعاليم أبولوناريوس المعروفة لدينا حتى الآن تثبت عكس ذلك .

٤ – لم يكن جسد المسيح جسداً حقيقياً : ولقد إتهمه أيضاً غريغوريوس النزينزى بأنه كان يعلّم بأن الكلمة المتجسد لم يصر جسداً حقيقياً فى بطن مريم العذراء بل كان شبه جسد . ولذلك فعند الميلاد خرج الكلمة من رحم مريم كما يمر الماء فى قناة . على أن معظم العلماء يؤكدون لنا بأن هذه الكلمات لا توجد فى الشذرات المعروفة لدينا حالياً من كتابات أبولوناريوس بل هى بالحرى كلمات نطق بها غريغوريوس وقد يحتمل أن هذا الأخير سمعها من عامة الشعب أو من مروجى الشائعات . فلقد قص بعض تلاميذ أبولوناريوس على القديس أبيفانوس بعض تعاليم أسقف لاودكية ، ولم يصدّق أبيفانوس هذه الشائعات فطلب من فيتال توضيح هذا الأمر ولم يتردد هذا الأخير ، وهو من أتباع أبولوناريوس بالحكم على هذه التعاليم وإعلان هرطقتها وضلالها[1] .

ومما لا شك فيه بأن أسقف لاودكية إنحرف فى تعاليمه الكرستولوجية وخاصة عندما جرّد المسيح من روح بشرية . ولكن هذا الانحراف لا يبرر بأى حال من الأحوال أن ننسب إليه بعض الهرطقات والأخطاء العقائدية التى لم يعلم بها . فمع أننا لا نتفق مع تعاليمه الخاصة بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، وبعض التعاليم الأخرى ، فإننا لا نقبل الاتهامات الموجهة إليه وغير المدعمة بوثائق علمية تاريخية حقيقية ، إلى أن تظهر وثائق وأدلة علمية تاريخية تثبت حقيقة هذه الاتهامات . وإننا لا نريد الدفاع عن أبولوناريوس أو عن تعاليمه ، فإن الكنيسة قد حكمت بحق بضلال تعاليمه ، ولكننا نريد أن نقول : أنه ليس من الأمانة العلمية أو العدل أن ننسب أخطاء عقائدية أو تعاليم ضالة غير موثوق بصحتها ومصدرها إلى شخص ما حتى ولو كان هذا الشخص هو أبولوناريوس الذى حكمت الكنيسة عن حق بهرطقة تعاليمه .

---

1. Voisin. P. 127.

متى ، وكيف ، وأين ، ظهرت تعاليم أبولوناريوس ؟

وقبل أن نختم هذا الفصل نرى أنه من الضرورى أن نعرف متى ؟ وكيف ؟ وأين ؟ ظهرت هرطقة أبولوناريوس .

لقد كان أسقف لاودكية فى بداية خدمته رجلاً تقياً غيوراً شجاعاً وعلى ما يحتمل بأن الحزب الأرثوذكسى المؤيد لقرارات نيقية قد تبين فى هذا الرجل تمسكه بقرارات نيقية ، فاختاره أسقفاً وراعياً سنة ٣٦٠ . وبالرغم من أنه كان أسقفاً لمدينة لاودكية ومقيماً فيها إلا أنه كان على إتصال دائم ومستمر بمدينة أنطاكيا . ولقد رأى هناك الانقسامات والأحزاب الكثيرة الموجودة فى هذه المدينة . ولهذا السبب قام بتأسيس مدرسة تفسير فى هذه المدينة للمجموعة الصغيرة التى قبلت تعليمه . ولهذا فإن الانطاكيين هم أول من قبلوا تعاليم أبولوناريوس ، وعلى ما يعتقد كيلى (Kelly) بأن أبولوناريوس بدأ فى نشر تعاليمه فى حوالى سنة ٣٥٢[2] على أن هذه التعاليم لم تثر أى علامات إستفهام فى أذهان الشعب ، ولم يتنبه لخطورتها إلا عدد قليل جداً من قادة الكنيسة فى هذا الوقت . فإذا رجعنا إلى كتابات غريغوريوس النزينزى يمكننا أن نقول بأن الشاب اللاودوكى بدأ نشاطه التعليمى فى هذا التاريخ الذى يتكلم عنه كيلى . على أن تعاليمه لم تظهر فى هذا الوقت كتعاليم خطيرة أو هرطوقية . ويحتمل أن خطورة تعاليمه لم تجذب إنتباه القادة إلا فى سنة ٣٦٢ أثناء إنعقاد مجمع الإسكندرية .

فعندما تولى الامبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦١ – ٣٦٣) زمام الحكم وكان ميالاً للوثنية لا بل مشجعاً لها ، غيّر سياسته من ناحية المسيحية . ورغبة منه فى بث الفتنة والانقسام والانشقاق فى صفوف المسيحيين عمل على إرجاع الأساقفة المنفيين . ويقول الدكتور أسد رستم « ورغب (يوليانوس) فى عودة الأساقفة المنفيين إلى أوطانهم ليزداد الشقاق فى صفوف النصرانية . فعاد أثناسيوس الكبير إلى الإسكندرية ... »[3] ، وعندما وصل القديس العظيم أثناسيوس إلى أرض الوطن قام بعقد مجمع كنسى فى سنة ٣٦٢ وكان الغرض من هذا المجمع هو العمل على تقوية روابط الوحدة فى الكنيسة المحلية والكنيسة العامة ، ولقد جاء لحضور هذا المجمع وفود من أنطاكية ، ومن بين هذه الوفود ، وقد يمثل أتباع أبولوناريوس . ويظهر أن المعارضة لحزب أتباع الأسقف اللاودكى جاءت من المدرسة التى تدعى أتباع الازدواجية (L'école dualiste) بأنطاكيا : أى التى تعلم

2. Kelly 300

٣ – د. اسد رستم الجزء الاول ص ٢٤٠ .

بوجود طبيعتين فى المسيح ، وهم الجماعة الأرثوذكسية والتى كان على رأسها الأسقف ملاسيوس (Mélécе) ثم ديودوريوس (Diodore) وهذا الأخير صار فيما بعد أسقفا لطرسوس . وكان هذا الحزب ينادى بعقيدة الكلمة – إنسان (Verbe-Homme) . على أن المعارضة الأولى والحاسمة قامت بها مجموعة انطاكية أخرى ، وكان يرأسها الأسقف بولونيوس (Paulin) ، وقد كانت هذه الجماعة صغيرة ومتمسكة بتعاليم أستاثيوس (Eustathe) الانطاكى إحتفاظاً بذاكراه .

وعندما جاءت هذه الوفود إلى الإسكندرية كانت تنوى تصفية المشكلة والانشقاقات التى مزقت كنائسهم وجعلتها أحزابا وطوائف . ومن خلال القصة التى يرويها القديس أثناسيوس فى رسالته للأنطاكيين (Tame aux Antiochiens) والتى كان الغرض منها بث روح الصلح والمحبة بين هذه الأحزاب المتعارضة ، يمكننا أن نتصور ما حدث فى هذا الاجتماع . فمن المحتمل أن أتباع بولونيوس هم الذين أثاروا مشكلة وجود روح بشرية فى المسيح ، لأن هذه العقيدة كانت من العقائد الغالبة على أتباع استاثيوس . ولحل هذه المشكلة ، ولعدم إثارة مشاكل جديدة حاول أتباع أبولوناريوس الاجابة بطريقة دبلوماسية وكلاسيكية مقبولة تعترف بها الأحزاب الأخرى . وهذا هو ملخص قانون الإيمان الذى وقعت عليه الأحزاب المجتمعة فى الإسكندرية « إن جسد المخلص لم يكن بدون روح ، بدون إحساس ، بدون نفس . وبما أن السيد قد صار إنساناً من أجلنا ، فإنه من غير الممكن أن يكون جسده مجرداً من النفس لأن اللوغوس قد خلّص ليس الجسد فقط ، بل الروح أيضاً »[٤] . وربما يقول معترض أن أتباع أبولوناريوس يعترفون هنا بوجود روح بشرية فى جسد المسيح فهل يتنكرون لعقيدتهم ؟!! إن الأبولوناريوسيين يعترفون هنا بوجود روح فى المسيح ، ولكن مضمون هذا الاعتراف يتوقف على ما يقصده أتباع أبولوناريوس بكلمة الروح هنا . ففى إعترافهم بوجود روح فى المسيح يعنى أن هذه الروح هى اللوغوس ، الكلمة الذى حلّ محل الروح البشرية فى المسيح .

وهكذا ظلت المشكلة كما هى دون أن يُؤخذ قرار حاسم وقاطع بخصوص أبولوناريوس وأتباعه ، الذين إستمروا بنشاط واجتهاد فى نشر تعاليمهم ومعتقداتهم . فمع أن سنودس الإسكندرية أقرّ بوجود روح بشرية فى المسيح إلا أنه لم يصدر قراراً بالحكم على أبولوناريوس وأتباعه . ولهذا السبب فقد إزداد نشاط أبولوناريوس وأتباعه فى التبشير بهذه العقيدة . وتكّونت جمعيات وجماعات فى الإسكندرية وفى أنطاكية للمناداه بهذه التعاليم . وكان من بين الذين قبلوا تعاليمه ، ليس فقط بعض العلمانيين ، بل أن بعض الأساقفة إنضموا أيضاً إلى طائفته مثل فيتاليوس (Vitale) وفيما بعد بولمونيوس (Polemon) ثم

4. J. Liebaert 150 - 152.

ايوميوس (Eunomius) ويوليانـوس (Julien) وفالانتينـوس (Valentin) وهومونيوس (Homonius) وآخرون .

كان فيتاليوس من أنشط الأعضاء فى أنطاكية[٥] وكان قبل أن ينضم إلى أبولوناريوس كاهناً فى كنيسة من الكنائس الخاضعة لسلطة الأسقف ملاسيوس : أى من الذين يقبلون ويعترفون بقانون الإيمان النيقوى . ولقد سامه ملاسيوس كاهناً فى حوالى سنة ٣٦١ . فأحبه الشعب وأكرمه لتقواه وحياته المثالية وغيرته على العمل[٦] على أن ملاسيوس فصله من كنيسته ، فحاول الانضمام إلى كنيسة بولانيوس وهو من الأساقفة المُعترف بهم من الغرب ومن مؤيدى قانون إيمان نيقية أيضاً . على أن الأسقف بولانيوس شك فى صحة معتقداته فلم يقبله فى أبروشيته . ولذلك فقد ذهب رأساً إلى رومة فى سنة ٣٧٥ وقدم هناك للبابا داماسيوس (Damasse) قانون إيمان إستعمل فيه إصطلاحات أرثوذكسية دون أن يتعرض للتعاليم الأبولوناريوسية . فقد إعترف فى هذا القانون أن الكلمة المتجسد هو الله وأنه مساو للآب فى الجوهر ، كما أنه إنسان كامل ومساو للإنسان ، وهو مولود من العذراء مريم بحسب الجسد[٧] . ونلاحظ أن فيتاليوس لم يذكر لا من قريب أو بعيد شيئاً عن وجود روح بشرية للمسيح ، كما أنه لم يرفض تعاليم أبولوناريوس .

عندما قدم فيتاليوس قانون إيمانه الملتوى ، إلى البابا داماسيوس ، قبله وأعطاه خطاباً للأسقف بولانيوس لقبوله فى الشركة فى كنيسة أنطاكية . ولكن قبل أن يغادر فيتاليوس مدينة رومة ، خامرت الشكوك البابا داماسيوس فى شخصية فيتاليوس وفى قانون إيمانه ، فكتب حالاً ثلاث خطابات إلى الأسقف بولانيوس ولم يتبق لنا منهم إلا الأخير ؛ والذى يوضح فيه موقفه من المشكلة الكرستولوجية ؛ وضرورة القضاء على الهرطقة والاعتراف بأن ابن الله الحكمة قد أخذ جسداً وروحاً ونفساً . يعنى آدم كله : أخذ إنساننا كله ما عدا الخطية .. فإذا اعترف أحد بأن الكلمة حلّ محل الروح البشرية فى الجسد يكون محروماً من الكنيسة الكاثوليكية . وليكن محروماً أيضاً كل من يعترف بوجود ابنين فى المخلص الواحد قبل التجسد والآخر بعد التجسد[٨] ، إن داماسيوس يؤيد فى هذا الخطاب موقف أتباع أستاثيوس كما أنه يرفض عقيدة أبولوناريوس وأتباعه ولقد طلب البابا داماسيوس من الأسقف بولانيوس أن كل الذين يريدون الانضمام إلى كنيسة رومة سواء فيتاليوس نفسه أو أتباعه يجب أن يعترفوا بالقانون النيقوى فيما يخص شخص المسيح ورفض الهرطقات التى ظهرت . ولم يقبل فيتاليوس هذه الشروط فترك بولانيوس .

5. Danielou. P. 381.
6. Sozomene 1, 6, 25.
7. Voisin. 80 - 84.
8. J. Liebaert. 154.

وعندئذ إنتهز أبولوناريوس هذه الفرصة فسامه أسقفاً على أتباعه فى كنيسة أنطاكية[٩] .

لم تكن هذه الحادثة هى الوحيدة التى نبّهت أذهان قادة الكنيسة إلى خطورة وانتشار الأبولوناريوسية . ففى حقيقة الأمر إن الذى كشف هذه الهرطقة هو أبيفانيوس (Epiphane) أسقف قبرص الذى سماه البعض « بالمطارد المحترف للهرطقات » ولا نعلم بالضبط ، ما إذا كان خبر إنتشار التعاليم الأبولوناريوسية قد وصل إليه عن طريق بحثه الشخصى الخاص فى مطاردته للهرطقات ، أو أن بولانيوس قد طلب منه الحضور إلى أنطاكية لردع هذه البدعة . على أى حال فلقد جاء أبيفانيوس إلى أنطاكية فى سنة ٣٧٤ فوجد أن بولانيوس وفيتاليوس فى صراح عنيف مكشوف . وفى النقاش الذى دار بين ابيفانيوس وبين فيتاليوس الأبولوناريوسى ، اعترف هذا الأخير قائلاً : « إذا اعتبرنا أن اللاهوت أخذ مكان الروح فى المسيح ، وبعد ذلك يأتى الجسد والروح السفلى (النفس) فإنه يمكننا القول بأن المسيح إنسان كامل » وعندما سمع أسقف قبرص هذا الاعتراف ترك أنطاكية ، مصمما بأن يرد على هذه البدعة . ولذلك فقد كتب كتابه المشهور والذى يدعى (Ancoratus) ويعنى الثابت كالهلب ولقد شرح فيه أن اللوغوس صار إنساناً متخذاً جسداً ونفساً وروحاً لكى يخلص الإنسان كله[١٠] . إن كريلمير يرى فى قانون إيمان ابيفانيوس المذكور فى كتابه ال (Ancoratus) طريقاً وسطاً بين التعاليم التى علّم بها القديس أثناسيوس وبين تعاليم بولانيوس[١١] .

أثارت المحاولة التى قام بها الأسقف أبيفانيوس لارجاع فيتاليوس إلى التعاليم التى تعلّم بها الكنيسة ، على ما يبدو غضب أبولوناريوس ولذلك فقد قام بحرب شعواء ضد ابيفانيوس وضد بولانيوس لدرجة أنه هدد بحرم ديودوريوس أسقف صور[١٢] ، وفى مكتوب له ، يحتمل بأنه كُتب فى سنة ٣٧٦ أو فى سنة ٣٧٧ ينتقد بشدة تعاليم الانطاكيين الذين قسموا المسيح ، وتعاليم الأرثوذكسيين الذين لا يقبلون تجريد المسيح من روح بشرية[١٣] ، ولم يقف ابيفانيوس مكتوف اليدين إزاء الهجوم الذى شنه أبولوناريوس ، بل كتب كتاباً آخر غير كتاب (Ancoratus) محاولاً أن يشرح فيه الإيمان الصحيح ، كما أنه وجه دعوة لأبولوناريوس لكى يترك تعاليمه وأفكاره وأن يرجع إلى الإيمان الصحيح القويم[١٤] .

---

9. Voisin 83
10. Danielou 382.
11. Grillmeier 300 J. Liebaert 152.
12. Ancoratus. 75, 76.
13. Grillmeier 300, Liebaert. 153.
14. Voisin 83 - 84.

كانت هذه المجادلات والمحاولات والكتابات والتحديات ، سبباً فى ظهور وانتشار تعاليم أبولوناريوس ، ولفت نظر قادة الكنيسة إليها . لا بل كانت السبب أيضاً فى تقديمها لبعض الشعوب ونشرها بينهم . ولذلك فقد ظهرت وانتشرت فى أنطاكية ، ومصر وسوريا وقبرص وفلسطين .. وكان أتباع أبولوناريوس نوعين من الناس :

١ – جهلاء متعصبون مستعدون فى سبيل نشر تعاليم معلمهم .

٢ – ثم علماء مثقفون أمثال فيتاليوس .

لم تظهر خطورة تعاليم أبولوناريوس على حقيقتها إلا بعد حادثة الحوار الذى دار بين أبيفانيوس وفيتاليوس وخاصة ، عندما حاول هذا الأخير أن يحصل بطريقة ملتوية وغير أمينة على موافقة البابا داماسيوس لقبوله فى شركه الكنيسة فى سنة ٣٧٥ . كل هذه الحوادث – وحوادث أخرى – لفتت أنظار القادة والشعب إلى خطورة تعاليم أسقف لاودكية وضرورة اتخاذ موقف حاسم منها . فمع أن مجمع الإسكندرية رفض هذه التعاليم فى سنة ٣٦٢ . كما رفضها البابا داماسيوس أيضاً فى خطابه الذى أرسله إلى الأسقف بولانيوس الأنطاكى الخاص بموضوع فيتاليوس . ومع ذلك فإننا لا نجد لا فى مجمع الإسكندرية ولا فى خطاب البابا داماسيوس حكماً صريحاً وواضحاً ضد أبولوناريوس وأدانته حتى الآن !!! .

الفصل الرابع

الحكم بهرطقة أبولوناريوس

لقد ظل أبولوناريوس وأتباعه يتمتعون بحرية ، وسلطة فى التعليم فى الكنيسة بالرغم من الهجوم الذى شنه ضده وضد تعاليمه الكثيرون من الآباء . على أن هذا الهجوم الذى قام به بعض الآباء ضد تعاليم أسقف لاودكية ، قادهم إلى التفكير فى عقد مجمع للحكم عليه وعلى تعاليمه . ولذلك فقد طلب القديس باسيليوس من البابا داماسيوس التدخل فى الأمر لايجاد حل للمشكلة الكرستولوجية الخاصة بوجود روح بشرية فى المسيح . وبناء على ذلك فقد دعا البابا داماسيوس لعقد مجمع فى رومة فى خريف سنة ٣٧٧ . وحضر إلى هذا السنودس الأسقف بطرس الإسكندرى ، وتيموثاوس ثم وفد من طرف القديس باسيليوس القيصرى . وحكم هذا السنودس بهرطقة تعاليم أبولوناريوس وخلعه من الأسقفية ، كما أن نفس الحكم طُبِّق أيضاً على كل من فيتاليوس وتيموثاوس : أسقفا أبولوناريوسيان .

وبعد أن رجع الأسقف بطرس من رومة ، عقد مجمعاً آخر فى الإسكندرية فى سنة ٣٧٨ للموافقة على قرارات مجمع رومة الخاصة الخاص بإدانة أسقف لاودكية وخلعه من منصبه كأسقف ، ووافق المجمع على ذلك . وفى خريف سنة ٣٧٩ اجتمع مجمع محلى فى أنطاكية للنظر فى عدة أمور ومنها قضية أبولوناريوس . وأصدر هذا السنودس المحلى الذى كان يضم حوالى ١٥٠ أسقفاً حكما بهرطقة تعاليم أسقف لاودكية وخلعه من منصبه . وجدير بالذكر أن جماعة الأسقف ملاسيوس (Mélèce) قد إشتركت هى أيضاً فى هذا المجمع وفى الحكم على التعاليم الأبولوناريوسية ، لا بل أظهرت استعدادها لقبول تعاليم البابا داماسيوس التى تشتمل على عقيدة الكلمة – إنسان (Verbe-Homme = Word-Man) وهى العقيدة التى كان يمثلها وينادى بها فى الشرق الأسقف لولانيوس وأتباعه . ولقد وافق المجمع المسكونى الثانى الذى عقد فى مدينة القسطنطينية فى سنة

٣٨١ ، على القرارات الصادرة من رومة والإسكندرية وانطاكيا بخصوص هرطقة التعاليم الأبولوناريوسية ، والحكم برفضها . وفى سنة ٣٨٢ طلب البابا داماسيوس عقد مجمع آخر فى رومة ، ولم يستطع أساقفة الشرق حضور هذا السنودس ، فعقدوا هم أيضاً مجمعاً محليا فى القسطنطينية ، وطلبوا من ثلاثة منهم الذهاب إلى رومة لتمثيلهم وتقديم الاعتذار لعدم التمكن من الحضور وفوضوهم فى شرح عقيدة الثالوث التى تؤمن بها كنائس الشرق . ولقد أصدر هذا المجمع الرومانى من جديد حرماناته ضد أبولوناريوس وأتباعه وتعاليمهم وهكذا رفضت الكنائس كلها فى الشرق وفى الغرب فى خمس مجامع ، تعاليم أبولوناريوس وأتباعه . وأعتبرت هذه التعاليم هرطوقية ولا تتفق وتعاليم الكتاب المقدس[١] وتعاليم الآباء الأرثوذكسيين .

ولقد أصدر الامبراطور ثيودوسيوس عدة قوانين فى سنة ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ للضغط على هذه الشيعة ومحوها . ولكن بالرغم من هذه القوانين والضغوط ، فقد استطاعت الأبولوناريوسية أن تواصل نشاطها واجتماعاتها إلى حوالى سنة ٤٢٠ على أنها كانت مضطرة أن تقوم بهذه الأنشطة والاجتماعات بطريقة سرية بعيداً عن أنظار الحكام وقادة الكنيسة .

الأبولوناريوسية بعد أبولوناريوس

ماذا حدث لأبولوناريوس وأتباعه بعد هذه السنودسات الكنسية ، والقرارات الامبراطورية ؟ هل إختفى أبولوناريوس وأتباعه وعقيدته من الكنيسة ؟ لقد سبق وقلنا بأن أبولوناريوس بدأ نشاطه التعليمى حوالى سنة ٣٥٣ ولم تتنبه الكنيسة لخطورة هذه التعاليم إلا فى سنة ٣٦٢ فى سنودس الإسكندرية ، وحتى هذا السنودس لم يأخذ قراراً بمنع أو حرمان أبولوناريوس عن التعليم . وهكذا ظل ينشر تعاليمه فى الكنيسة إلى سنة ٣٧٤ دون أن يجد مقاومة أو معارضة رسمية من جانب الكنيسة . ففى هذه الفترة إستطاعت الأبولوناريوسية أن تنتشر فى الكنيسة وأن تعمق جذورها فيها . ويمكن القول مع فوازن بأن هذه البدعة قد وصلت إلى أوج انتشارها فى الفترة ما بين سنة ٣٧٦ - ٣٨٢[٢] ، أى قبل موت أبولوناريوس . ولكن ماذا حدث لهذه البدعة بعد موت أسقف لاودكية ؟

1. Draeseke. 381. Cite Par Voisin 85.

فما يخص هذه المجامع والحرمانات انظر

Liebaert 152 - 157 Grillmeier 299 - 305, 311, Danielou 381, - 384, H Tuchle 344 - 345, 396.

2. Voisin 88 - 89.

إن الشذرات والمقتطفات العقائدية الباقية من كتابات أبولوناريوس ومن كتابات أتباعه تعرفنا بأن تلاميذه إنقسموا بعد موت قائدهم إلى حزبين :

١ – حزب المتطرفين أو المتمسكين بشدة وبتدقيق بكل تعاليم أبولوناريوس . وعلى رأس هذا الحزب نجد كلا من بوليمونيوس (Polemon) ثم أنوميوس (Eunomius) ويوليانوس (Julien) .

٢ – حزب المعتدلين : وكان على رأس هذا الحزب فالانتينوس (Valentin) فى مصر ثم أيوبيوس أو أيوب (Jobius) وهومونيوس (Homonius)[٣] .

١ – الحزب المتطرف :

ولقد تمسك بكل تعاليم أبولوناريوس والمناداة بها جهراً . فإن بوليمونيوس أحد قادة هذا الحزب كان يعلم على مسمع ومرأى من الجميع بعقيدة التماثل أو الإدغام (Le Synousiasme) التى يُفهم منها بأن جسد المسيح المتأله مساو تماماً لجوهر اللوغوس[٤] لم يتمسك هذا الحزب بحرفية تعاليم أبولوناريوس فحسب ، بل أنه بالغ فى تفسيرها وتطبيقها ونشرها . ولقد كانت هذه المبالغة سبباً فى دفع الحزب المعتدل على التخوف من هذا الحزب وعدم الاطمئنان إليه والابتعاد عنه نوعاً . ولذلك فقد كتب الأسقف هومونيوس وهو أحد أساقفة الحزب المعتدل إلى الأسقف تيموثاوس أحد أساقفة الحزب المتطرف ، طالباً من هذا الأخير أن يفسر له معنى اتحاد اللوغوس . ولقد سبق أن أشرنا بأن الأسقف تيموثاوس لم يجد رداً أبلغ من الرد الذى أرسله أبولوناريوس نفسه إلى سرابيون حيث يقول : « إن جسد المسيح مشابه لاجسادنا بالطبيعة ، ولكنه إلهى بسبب الاتحاد » ومع أن هذا الرد لا يحمل فى طياته أن جسد المسيح من جوهر إلهى ، فإن بعض المتطرفين قد فسروه على أنه من جوهر إلهى . إن المبالغة التى أظهرها المتطرفون كانت السبب فى توسيع الفجوة بين المتمسكين أو المبالغين وبين المعتدلين . ولهذا السبب فإن الرد الذى أرسله الأسقف تيموثاوس إلى الأسقف هومونيوس عن مساواة جسد المسيح باللوغوس زاد المشكلة تأزماً وهذا واضح من قانون الإيمان الذى كتبه هومونيوس بعد أن استلم رسالة الأسقف تيموثاوس ويقول فيه : « أعترف أنا هومونيوس بأن الكلمة (اللوغوس) ، أخذ جسداً من مريم يشبه أجسادنا . وان من ينادى بأن الجسد الذى إتحد به السيد مساو لله يكون محروماً » .

---

3. Liebaert 156.

4. Voisin. 106.

٢ – الحزب المعتدل :

أما الحزب المعتدل فقد نهج فى سياسته التعليمية طريقاً آخر يتصف باتساع الصدر والأفق فى التفكير . فكما أن المتطرفين بالغوا فى تفسير وتطبيق التعاليم الأبولوناريوسية ، فإن المعتدلين سلكوا نفس الطريق ، ولكن فى الاتجاه العكسى . فقد أظهروا روح التسامح والاعتدال إزاء الكنيسة الرسمية التقليدية . ولقد سبق أن رأينا الدفاع الذى حاول به فالانتينوس ، رئيس الحزب المصرى تبرئة معلمه من التفسيرات المبالغ فيها ، وكيف أن أبولوناريوس ، بحسب مفهومه ، حارب فكرة مساواة جسد المسيح للاهوته ، أو بأنه من نفس طبيعة الله . ويواصل دفاعه بالقول ، بأنه هو نفسه (فالانتينوس) قد حارب كلا من تيموثاوس وبوليمونيوس وآخرين . وهو يعتقد بأن تيموثاوس قد أخطأ عندما ظن بأن معلّم لاودكية قد علّم بأن الجسد ظل بشريا بالطبيعة ، ولكنه بفضل الاتحاد أصبح مثل الكلمة مساو لله فى الجوهر .

فمع أن الحزب المعتدل كان يكن لأبولوناريوس نفسه كل تقدير واحترام ومحبة ، وولاء فإنه رفض التعاليم الأبولوناريوسية الخاصة بمساواة جسد المسيح بجوهر الكلمة ؛ لا بل رفض حتى عبارة أن الجسد الذى أخذه المسيح مشابه للكلمة . وهنا نلاحظ أمراً هاماً ، فإن الذى فرّق المعتدلين عن المتطرفين ووسّع فجوة الخلاف بينهما ، ليس فقط الاختلافات التعليمية وحدها ، بل بعض الخلفيات السياسية التى لعبت دوراً هاماً فى ذلك . فمن الواضح أن الانقسامات بين حزبى أتباع أبولوناريوس بدأت بعد موته ، أى بعد حوالى سنة ٣٨٨ أو ٣٩٠ . وهذا يعنى أن الحزب المعتدل أظهر اعتداله وعدم موافقته على كل التعاليم المتطرفة ، بعد الإحكام الكنسية التى صدرت ضد معلم لاودكية فى السنوات ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ . وعلى ما يبدو فإن الذى دفع جماعة المعتدلين إلى الاعتدال هى القوانين الصارمة الشديدة التى أصدرها الامبراطور فى السنوات ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ للضغط على بدعة أبولوناريوس وخنقها . لذا نلاحظ أن حزب المعتدلين كان يحاول جاهداً التقرب من الكنيسة الرسمية ومجاملتها . وهذا الأمر يقودنا إلى فرق آخر بين المعتدلين والمتطرفين . فإن المتطرفين كانوا يهاجمون باستمرار الكنيسة العامة ويكنون لها كل حقد وكراهية . بينما كان المعتدلون يحرصون الحرص كله على إحترام الكنيسة التقليدية وتقاليدها . ففى كتابات زعيم الحزب المعتدل المصرى فالانتينوس نلاحظ أن إقتباساته لكتابات القديس أثناسيوس تسبق اقتباساته لكتابات أبولوناريوس . فإن المعتدلين كانوا يحاولون ، ليس فقط التقرب من الكنيسة ، بل فى بعض الأحيان الانضمام إليها . ولقد حاول الأسقف ثيودوتيوس (Theodote) الانطاكى أن يضم إلى حظيرة خرافه بعض أتباع أبولوناريوس . ويحتمل أن الذين إنضموا إلى الأسقف الانطاكى لم يكونوا من الحزب المتطرف . والمؤرخ ثيودوريتوس يعرفنا بأن أتباع فالانتينوس فى

مصر طلبوا فى وقت مبكر المصالحة مع الكنيسة ، على أن هذا التغيير لم يكن تغييراً كلياً شاملاً . وبناء على ذلك لم يستطع حزب المعتدلين حل مشكلة الانقسام فى الكنيسة الممزقة . وهكذا أضاف ظهور الأبولوناريوسية بدعة جديدة فى الكنيسة لم تكن فى حاجة إليها . ولقد تجنّد أتباع أبولوناريوس وخاصة المحافظون فى نشر أفكار معلمهم . فعندما صدرت القرارات الكنسية والامبراطورية ضد تعاليم أسقف لاودكية واتباعه . حاول هؤلاء دس هذه التعاليم ونشرها تحت أسماء لامعة معروفة ، ومعترف بسلامة عقائدها . وهكذا أخفوا اسم أبولوناريوس مستعملين أسماء القديس أثناسيوس المصرى ، وغريغوريوس العجائبى والبابا يوليانوس الرومانى[٥] ولقد أدى هذا الأمر إلى بلبلة فى الأذهان ، وتشويش فى الكنيسة وتشكيك فى العقيدة .. وسنرى فيما بعد أن القديس كيرلس نفسه كان أحد ضحايا هذه الكتب المدسوسة والمزيفة العناوين . وهذا ما حدث أيضاً مع الراهب إتيخوس . فإن تعاليم أبولوناريوس الخاصة بالطبيعة الواحدة مهّدت الطريق أمام إتيخوس الراهب وهرطقته .

كتابات أبولوناريوس

كان معلم لاودكية سيّال القلم ، سهل الأسلوب ، فصيح التعبير متسع فى المعرفة فى فروع كثيرة من العلوم ، ولذلك فقد كتب فى مواضيع متشعبة مختلفة ، تعالج أموراً شتى فى الفلسفة والأخلاق والتعاليم العقائدية والتفسير والشعر والنثر والخطابة .. ولكن للأسف الشديد لم تبق لنا من هذه المؤلفات الكثيرة إلا القليل ، والقليل جداً . فقد ضاع معظمها . على أنه قد وصل إلينا البعض من كتاباته باسمه والبعض الآخر تحت اسماء مستعارة ، كما سبق الإشارة إلى ذلك .

١ - **كتبه الدفاعية** : كتب بالاشتراك مع أبيه عدة كتب لشرح العقيدة المسيحية فى عصر يوليانوس المرتد . وكان لهذه الكتب هدف تعليمى .

٢ - **كتب تفسيرية** : إن فوازن (Voisin) المتخصص المعروف فى كتابات وتعاليم أبولوناريوس يعرفنا بأن أسقف لاودكية قام بتأليف كتب تفسيرية عديدة ، كما يوجد عدد كبير آخر من التفاسير التى يمكن نسبتها إليه على أن هذه التفاسير لم تمّر بمرحلة النقد لفحصها والتعّرف على مصدرها الحقيقى . وينسب فولهابر (M. Faulhaber) إلى أبولوناريوس ٨١ نصاً تفسيرياً من العهدين[٦] .

5. Liebaert 150.

6. Danielou 382.

٣ – كتب عقائدية : يعرفنا تيموثاوس البيريتى (البيروتى) بأن معلم لاودكية كتب كتابين ضد ديودوريوس (Diodore) ولقد احتفظ ثيودوزيطس القورشى (Theodoret de cyr.) ببعض المقتطفات من أعماله التى تدعى Earanis - Me . ويعتقد درازك (Draesek) بأن هذين الكتابين كتبا بعد سنة ٣٧٣ .

٤ – قانون إيمان : يحتمل بأنه قدم فى سنودس سنة ٣٧٨ أو فى سنة ٣٧٩ .

٥ – خطابات : كتب كتاباً آخر يذكره غريغوريوس النيسى . ويذكر لنا درازك ١٢ نصاً أو شذرة كرستولوجية ، وهى عبارة عن خطابات كتبها أبولوناريوس .

٦ – كتابان : كتبهما ضد تعاليم إريجانوس ودنسيوس الخاصة بالتبعية أى أن الابن خاضع للآب وتابع له وهى التعاليم التى أيدها ونادى بها هذان المعلمان المصريان .

٧ – كتاب ضد فلافيانوس : كتب هذا الكتاب ضد فلافيانوس الذى صار فيما بعد أسقفا لأنطاكيا .

٨ – سلسلة أخرى من الكتب : تحتوى على تعاليمه العقائدية : مثلا كتاب عن الاتحاد فى المسيح ؛ أى إتحاد اللوغوس بالجسد . كتاب آخر عن التجسد ، وظهور الله فى الجسد . كتاب آخر ضد الذين يعلمون بأن اللوغوس أو الكلمة حلّ فى إنسان . ومن الملاحظ بأن معظم هذه الكتب التعليمية قد دسها أتباعه تحت أسماء أرثوذكسية مستعارة كاسم غريغوريوس العجائبى ، البابا يوليانوس ، القديس أثناسيوس ، حتى يسهلوا إنتشارها والاطلاع عليها دون التعرض لمصادرتها لأنها كانت ممنوعة .

٩ – كتب حوار وعقائد : إن القديس جيروم الذى تعلّم على يديه حوالى سنة ٣٧٤ ينسب له عدداً كبيراً من الكتابات التفسيرية والعقائدية[٧] . وللتوسع فى دراسة هذا الموضوع يمكن للباحث الرجوع إلى المؤلفات المذكورة ، ثم إلى المراجع التى تشير إليها هذه المؤلفات .

7. Theodoret. Hist. eccl. 1, 5, 3, 37.

بعض المراجع عن تعاليم أبولوناريوس

1. Apoli ... Ep. Ad. Dioc aes 2. Cité par Kelly 303 - 305 .
2. Athanase Contra Arianos 3,30 P.G. 26, 388. 3,4,7.
3. C. Bihlmeyer - H. Tuchle. Hist. de L'eglise tome 1.
4. Bonifas tome 2.
5. J. Danielou et, H. Marrou. Nouvelle Hist.. de L'eglise...... Ed.. du seuil.
6. Draeseke cité par voisin 85.
7. Eustathe d'Ahtioche de Anima. ced. M. spanneut. Recherches 100, 1S Frag..
8. A. Grillmeier. Le Christ dans la tradition Chrétienne ......
9. M.E. Haag. Hist.... des Dogmes chretiens pre partie..
10. J. Kelly initiation a la doctrine des Péres de L'eglise.
11. J. Liebaert Hist... des Dogmes L'incarnation.....
12. R. A. Norris Manhood and Christ.
13. M. Richard. L'introduction du Mot Hypostase dans La Théologie de L'incarnation. Msr 2 (1945) 189 - 190.
14. H. de Riedmatteh some neglected âspects of Apollinarist christology. Dominican studies 1 (1984) 239 - 260 id.. LChristologie d'Apollinaire de Laodicée Studia patristica 2. (Berlin 1957) 207 - 234.
15. Socrate Hist.. Eccl.. 1. 11. 46.
16. J. tixeront Précis de patrologie
17. G. Voisin. L'apollinarisme: Étude Historique Litteraire et dogmatique sur Le début des controverses christologiques au ive siecle ....

١٨ - مجموعة الشرع الكنس او قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة ، جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنا نيا الياس كسّاب ص ب ١١٢٩٦٦ بيروت لبنان ص ٢٥٩ . ٢٦١

١٩ - علم اللاهوت النظامى دار الثقافة المسيحية . القاهرة ص ٧٨٧

٢٠ - الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . يسوع المسيح عبر الاجيال . المجلد الاول ص ٦٧٧ - ٦٧٦

الجــزء الثــانــى

الفصـــل الأول

المراحل التى مرّت بها التعاليم الكرستولوجية قبل وبعد مجمع نيقية

إن الدارس المدقق لتاريخ الفكر المسيحى ، يلاحظ بلا عناء أن التعاليم الكرستولوجية (أى التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) قد تطوّرت وتنوعّت وتشعبّت فى القرون : الثالث والرابع والخامس بطريقة لم يسبق لها مثيل ، وخاصة فى القرنين الرابع والخامس . ففى هذه الحقبة من الزمان تعرّضت الكنيسة أكثر من أى وقت سابق للإجابة على سؤال المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » (متى ١٦ : ١٣) لا بل شعرت الكنيسة خلال هذين القرنين أن نبوة سمعان الشيخ القائلة « .. إن هذا (يسوع) قد وضُعَ لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢ : ٣٤) قد تحققت .

إن المعلمين (اللاهوتيين) وآباء الكنيسة الذين حاولوا الإجابة على سؤال المسيح لتلاميذه ؛ إنقسموا فى إجاباتهم إلى مدارس وأحزاب ومذاهب ، أدت إلى إنقسام الكنيسة وتمزيقها . وفى هذا الفصل سنحاول عرض وتحليل بعض العقائد والأفكار الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح التى ظهرت خلال هذين القرنين . ولكن قبل أن نبدأ فى دراسة تحليلية لأفكار بعض معلمى هذه الحقبة التى تُعَدُ من أهم الحقبات التاريخية فى تاريخ الفكر المسيحى ، نود أن نلفت نظر الدارس إلى النقاط الآتية :

أولاً : عقيدة الكنيسة فى شخص المسيح قبل مجمع نيقية :

إن المشاكل العقائدية التى تعرّضت لها الكنيسة فى الثلاث قرون الأولى هى : توضيح أصل ونسبة الإبن للآب . ففى القرنين الأول والثانى كانت الكنيسة الناشئة موجودة فى وسط يهودى ووثنى . فحتى أعضاؤها كانوا من أصل يهودى ووثنى . وعندما قبلوا المسيح كمخلص

لهم ، ودخلوا فى عضوية الكنيسة ، أراد بعضهم – إن لم يكن معظمهم – الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، أو على الأقل البعض منها .

فقد أعتبر بعض الوثنيين المتنصرين المسيح واحداً من الآلهة الكثيرة التى كانوا يعبدونها . كما أن البعض الآخر من اليهود رأى فيه إنساناً ، وإنساناً فقط . فقد إعتقد البعض أن المسيح جاء من فوق ، ومن فوق فقط : فهو سماوى : روح وأن الجسد الذى حلّ فيه ما هو إلا مظهر . هذا ما قد علّمت به الغنوسية والدوسيتية وآخرون من الذين لا يقبلون إلا اللاهوت وحده فى المسيح مجرداً من المادة . وأما البعض الآخر فكان يعتقد بأن المسيح هو ابن مريم ويوسف أو ابن مريم وشخص آخر فهو إنسان وإنسان فقط . كان هذا أيضاً موقف الأبونيين وآخرين ، الذين لا يؤمنون إلا بناسوت المسيح . أمام هذه المشاكل العقائدية شعرت الكنيسة بضرورة ملّحة وسريعة لشرح عقيدتها وأفكارها عن شخص الرب يسوع المسيح .

ولقد تعرّضت الكنيسة فى القرنين الثانى والثالث لموجة أخرى من الأسئلة عندما حاولت أن تشرح لليهود أولاً وللوثنيين ثانياً ، أن يسوع المسيح ليس واحداً من الآلهة العديدة وليس إنساناً مجرد إنسان فقط ؛ بل هو ابن الله « وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح تراءى لملائكة .. » (١ تيمو ٣ : ١٦) فهو اللوغوس أو الكلمة الذى صار جسداً (يو ١ : ١٤) . وأمام عقيدة اللوغوس – أو الكلمة الذى صار جسداً – ظهرت مشاكل عقائدية أخرى . من هو هذا اللوغوس ؟ هل هو الله ؟ أو جزء منه ؟ أو شبه إله ؟ هل هو ابن بالطبيعة أم بالتبنى ؟ وهل طبيعته من طبيعة الله ؟ أم من طبيعة أخرى ؟ وما هى علاقة الآب بالابن ؟ ومن هو الأصل ومن هو الفرع ؟ ومن هو السابق ومن هو اللاحق للثانى ؟ ومن هو الأعظم ؟ لقد أُثيرت كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى، حول شخص الرب يسوع المسيح . وحاولت الكنيسة بدورها أن تقدم إيمانها وعقيدتها فى شخص المسيح يسوع : بأنه ابن الله والمساوى له فى الجوهر وفى الزمن وفى القدرة وفى المجد .

ومن المشاكل التى ظهرت فى هذه الحقبة ولعبت أيضاً دوراً هاماً جداً فى تاريخ الفكر المسيحى الكرستولوجى مشكلة وجود روح بشرية فى المسيح . فالسؤال الذى تسبب فى خلق تباين للتعاليم الكرستولوجية فى الكنيسة هو ما أشرنا إليه فى الفصل السابق : هل الكلمة ، اللوغوس ، ابن الله حلّ فى جسد بدون روح بشرية ؟ أم أن الكلمة اللوغوس ابن الله حلّ عند التجسد فى إنسان كامل التكوين من روح بشرية وجسد ؟ إن الاعتراف أو عدم الاعتراف بوجود روح بشرية فى شخص الرب يسوع المسيح إحتل مكانة هامة فى التعاليم الخاصة بشخص المسيح . فعندما ظهرت الأريوسية ونادت بعدم وجود روح بشرية فى المسيح لاحظنا رد الفعل لهذه الهرطقة فى تعاليم المعلم الأنطاكى استاثيوس (Eustathe) الذى نبّر بشدة فى تعاليمه على حقيقة وجود روح بشرية فى المسيح .

والسؤال الذى يجب أن نسأله هو الآتى : هل علّمت الكنيسة قبل ظهور أريوس واستاثيوس بوجود روح بشرية فى المسيح ؟ قبل مجمع نيقية . لا نجد أى معلم آخر غير إريجانوس وترتليانوس تكلما بوضوح ودقة عن وجود روح بشرية فى المسيح(١) ، فإن إريجانوس يعتبر المعلم الأول الذى كرّس جزءاً مهماً من أعماله فى معالجة مشكلة الروح بصفة عامة وروح المسيح بصفة خاصة . وأما الآخرون الذين تكلموا عنها فلم يتكلموا إلا بإيجاز وغموض(٢) .

ويعتبر ظهور بولس السميساطى(٣) حدثاً مهماً أيضاً فى تاريخ الفكر المسيحى الخاص بالتعاليم الكرستولوجية . فإن الاستاذ جريلميير (Grillmeier) يعتقد بأن الأسقف بولس كان يمثل التعاليم الكرستولوجية التجزيئية : يعنى التعاليم التى قسمت المسيح إلى إثنين . وعلى ما يحتمل فإن الشيخ مالخيون (Malchion) قام بدو المنافس لأسقف سميساط . وكان يمثل حركة التعاليم الكرستولوجية الوحدوية . ولقد سبق لنا أن شرحنا فى المجلد الأول تعاليم بولس . ولكن فيما يخص بحثنا الآن ، فإن المورخ الكنسى إسابيوس (Eusèbe) إحتفظ لنا بخطاب سنودسى يعرفنا فيه أن بولس كان ينكر فى بداية الأمر لاهوت المسيح ، ولكنه ترك هذه التعاليم وإعترف بلاهوته ، لا بل إنه علّم ، على ما يحتمل بإن اللوغوس سكن فى إنسان . وأما مالخيون فكان يرى فى المسيح إتحاد اللوغوس والساركس (الكلمة والجسد) على منوال إتحاد الروح بالجسد فى الكائن البشرى . فاللوغوس فى المسيح مثل الروح فى الإنسان . ولهذا فإن تعاليم بولس السميساطى الخاصة بوجود روح بشرية فى المسيح بدت لمالخيون كما لو كانت رفضاً لوحدة المسيح الحقيقية . ومع أننا يجب أن ننظر إلى موقف بولس ومالخيون بشىء من التحفظ ، إلا أننا نرى فيهما الجدّين الأولين للتعاليم الأريوسية والتعاليم الأبولوناريوسية ثم بعض قشور من تعاليم الإسكندرية : أى التعاليم الخاصة باللوغوس – أنثروبوس (يعنى الكلمة – إنسان) ثم اللوغوس ساركس (يعنى الكلمة أو اللوغوس – جسد) . وإننا نتساءل مع العالم جريلميير (Grillmeier) ما هو التأثير الذى تركه إريجانوس على تلاميذه بشأن هذه المشكلة ؟ فعلى ما يبدو فإنه لا يوجد أى أثر للتيار التعليمى الذى يدعى اللوغوس – ساركس (الكلمة – جسد) فى تعاليم كل من غريغوريوس العجائبى (حوالى سنة ٢٧٠) أو فى تعاليم ديونيسيوس الإسكندرى (حوالى ٢٦٥) أو فى تعاليم ثيوغنوسطوس (Theognoste) الذى كتب ما بين سنة ٢٥٠ – ٢٨٠ . كذلك أيضاً لا نجد أى أثر لهذا التيار العقائدى ، فى تعاليم بيريوس (Pierius) الذى يُدعى بإريجانوس

---

1. Grillmeier 207, 205, 212.

٢ – دكتور حنا جرجس الخضرى الفكر المسيحى المجلد الأول ٥٥٠ – ٥٦٢ .

٣ – دكتور حنا جرجس الخضرى الفكر المسيحى المجلد الأول ٦٠١ – ٦٠٨ .

الجديد ، والذى كتب حوالى سنة ٢٨١ – ٣٠٠ ولكن الشيخ بامفيلوس (Pamphile) ، وهو أحد تلاميذ بيريوس قد كتب فى دفاعه عن إريجانوس ملاحظة هامة . فهو يقول بأن تعاليم إريجانوس التى تنادى بأن المسيح أخذ نفساً بشرية أصبحت حجر عثرة للبعض . ومن المحتمل أن تعاليم معلم الإسكندرية الخاصة بالوجود السابق للأرواح هو الذى كان سبباً فى هذه العثرة . وهذا ما يمكن ملاحظته فى موقف بطرس الإسكندرى (سنة ٣١١) ومقاومته لهذه التعاليم ؛ وربما لهذا السبب أيضاً « أى الاعتقاد فى الوجود السابق للأرواح » (La Préexistence des Ames) لم يتحدث مثودوسيوس Methode (حوالى سنة ٣١١) بطريقة واضحة عن وجود روح بشرية للمسيح . لأنه كان من المقاومين والرافضين لتعاليم أريجانوس الخاصة بالوجود السابق للأروح . وعلى منوال مثودوسيوس سلك أيضاً معلم القديس أثناسيوس وهو الكسندر (سنة ٣٢٨) وهو من الذين رفضوا أيضاً تعاليم أريجانوس وإتبعوا نظام أو تيار اللوغوس – ساركس (الكلمة – جسد) والقديس أثناسيوس نفسه إتبع فى معظم تعاليمه نفس التيار (لوغوس – ساركس) . كذلك أيضاً معلم القيصرية يوسابيوس القيصرى نهج نفس المنهج فى تعاليمه وعلى ما يحتمل بأن زيارته للإسكندرية فى سنة ٣١١ كانت سبباً من ضمن الأسباب التى دفعته لقبول هذا التيار التعليمى ، ومناداته بأن الذى نزل إلى الجحيم ليس روح المخلص بل اللوغوس . كما أنه علّم أيضاً بأن موت المسيح لم يكن إنفصال روحه عن جسده بل إنفصال اللوغوس من الساركس أى إنفصال الكلمة عن الجسد[٤] .

مما سبق نستنتج أنه بالرغم من تعاليم إريجانوس وترتليانوس التى كانت تشدد كثيراً على وجود روح بشرية فى المسيح فإن عدداً لا بأس به من معلمى الكنيسة توخّوا تيار لوغوس – ساركس : ووقف استاثيوس الأنطاكى ضد هذا التيار التعليمى . ولكن لم يظهر إتساع الفجوة وخطر الانقسام إلا بعد إجتماع مجمع نيقية .

ثانياً : عقيدة الكنيسة فى شخص المسيح بعد مجمع نيقية :

من القرارات العقائدية الهامة التى أُتخذت فى مجمع نيقية (سنة ٣٢٥) القرار الخاص بمساواة الآب للابن وأنهما من نفس الجوهر Homoousios . فلقد إعترف مجمع نيقية بأزلية الابن المساوية تماماً لأزلية الآب ، وبهذا رفض عقيدة أريوس التى تقول « بأنه يوجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه » . والدارس لتاريخ الفكر المسيحى الكرستولوجى يلاحظ بأن الكنيسة فى الثلاثة قرون الأولى ، تعرّضت لبعض المشاكل التعليمية مثل من هو اللوغوس ؟ أصله وعلاقته بالله الآب ، نسبته للآب ثم ما هو جوهر هذا

4. Grillmeier 208 - 212.

اللوغوس ؟ .. ولقد حاولت الكنيسة الإجابة على هذه الأسئلة . ولكن فى القرنين الرابع والخامس ظهرت مشاكل كرستولوجية أخرى .

فإن كانت معظم التساؤلات الكرستولوجية فى الثلاثة قرون الأولى ، مركزة على مشكلة : مصدر اللوغوس ، الابن وجوهره ، ومساواته وعلاقته بالآب ، فإن التساؤلات الكرستولوجية فى القرنين الرابع والخامس ، وحتى فى القرن السادس أيضاً كانت مركّزة على هذه المشاكل ومشاكل جديدة أخرى متعلقة بشخص المسيح نفسه . ففى هذه الحقبة ظهرت مشكلة اللاهوت والناسوت واتحادهما معاً : أى مشكلة الله الذى صار إنساناً « والكلمة صار جسداً » (يو ١ : ١٤ ؛ فى ٢ : ٦ - ١١) إذ تعرّضت الكنيسة أيضاً فى هذه الحقبة لنفس السؤال الذى هو محور بحثنا فى المجلد الأول والمجلد الثانى هذا . وهو « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » من هو يسوع المسيح ؟ هل هو مخلوق أم خالق ؟ ما هو تكوينه الوجودى (Ontologique) هل كان مكّونا من جسد بشرى وروح بشرية ، أم كان خالياً من الروح البشرية ؟ وكيف إتحد اللاهوت بالناسوت ؟ وهل توجد طبيعة واحدة أم طبيعتان فى المسيح ؟ وما هما هاتان الطبيعتان وكيف إتحدتا معاً ؟ كانت هذه الأسئلة وأسئلة أخرى موضوعاً للجدل والنقاش فى القرنين الرابع والخامس .

كان الهدف من عقد مجمع نيقية هو عودة السلام إلى الكنيسة الممزقة المنشقة . ولكى يرجع السلام لهذه الكنيسة الممزقة ، كان من المحتم إيجاد عقيدة واحدة ، واقرار إيمان مقبول من كل الأعضاء . ولقد إتفق فعلاً الآباء المجتمعون (٣١٨ عضواً) على تأليف قانون الإيمان الذى يدعى قانون الإيمان النيقوى . وكان من المنتظر أن ينفذ الآباء الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع قراراته . ولكن بعد أن رجعوا إلى ابروشياتهم علّم معظمهم بنفس التعاليم التى كانوا يعلمون بها قبل مجمع نيقية . ولهذا فقد إنقسمت الكنيسة من جديد وبدأت أيضاً هذه الأحزاب والطوائف تحارب بعضها بعضاً . فبعد هذا المجمع ظهر :

١ - حزب المتمسكين بقانون إيمان نيقية أو حزب الأرثوذكسيين وعلى رأسه القديس أثناسيوس .

٢ - ثم ظهر حزب الأريوسيين .

٣ - ومن هذين الحزبين خرج حزب ثالث ويدعى الحزب النصف الأريوسى .

وظهرت فيما بعد أحزاب أخرى فرعية تحت هذه الأحزاب . فإن مكتوب أثناسيوس الخاص بمجمع الإسكندرية فى سنة ٣٦٢ يشير إلى أربع جماعات فى انطاكيا :

١ – مجموعة أرثوذكسية قبلت قانون إيمان نيقية كله بلا قيد وبلا شرط وعلى رأسها الكاهن بفلينوس أو بولينوس (Paulin) .

٢ – المجموعة الثانية هى المجموعة التى رفضت الاصطلاح هومووسيوس (Homoousios) يعنى من ذات جوهر الأب . وعلى رأسها الأسقف مليسيوس (Mélèce) .

٣ – والمجموعة الثالثة هى مجموعة الابولوناريوسيين : وهى الجماعة التى قبلت قرارات نيقية ، على أنها لم تعترف بوجود روح بشرية فى المسيح .

٤ – جماعة الأريوسيين المعتدلين أو الذين يريدون الرجوع إلى الكنيسة..[٥] هذا الحزب يمكننا أن نضيف جماعة الأريوسيين المتطرفين .

على أى حال ، فقد ظهر فى القرن الرابع إتجاهان أو تياران عقائديان فى غاية الأهمية وقد سيطرا على كل التعاليم والتيارات الكرستولوجية . فالإتجاه أو التيار العقائدى الأول هو ما نسميه الكلمة – جسد (Logos-Chair, Logos-Flech) أو اللوغوس – جسد = Logos-Sarx ، والتيار العقائدى الثانى يدعى ا لكلمة أو اللوغوس – إنسان Verbe-Homme: Word-Man . أو اللوغوس (الكلمة – بشر) أو (الكلمة – إنسان) Logos-Verbe أو Logos Word-Anthropos .

ويشمل التيار العقائدى الأول : اللوغوس – جسد (Logos-Sarx) ثلاث مجموعات هامة وهى :

١ – **المجموعة الأولى** هى مجموعة الأريوسيين : فإن الأريوسيين علّموا بأن الكلمة قد حلّ فى جسد بدون روح بشرية . فالمسيح بحسب المفهوم الأريوسى مكّون من جسد خالٍ تماماً من الروح ؛ والكلمة جاء وحلّ فى هذا الجسد . فالمسيح إذن هو هذا الكلمة والجسد بدون روح بشرية عاقلة .

٢ – **أما المجموعة الثانية** التى يمكن أن ندرجها تحت التيار التعليمى الذى يدعى فى تاريخ العقائد بالكلمة – جسد (Logos-Sarx) هى جماعة أبولوناريوس . فمع أن جماعة الأريوسيين وجماعة الأبولوناريوسيين كانت على طرفى نقيض فى التعليم ، ولم يتفقا على شىء فى تعاليمهما ، إلا على هذه النقطة : أى عدم وجود روح بشرية عاقلة فى المسيح ؛ فإن معلم لاودكية قاوم تعاليم أريوس ضارباً بها عرض الحائط ؛ إلا أنه إتفق معه على فكرة عدم وجود روح فى المسيح . ونادى أتباع أريوس بعدم وجود روح بشرية فى

5. P.TH. Camelot Ephese Et Chalcedoine 18 - 19.

المسيح ، وأن الكلمة أو اللوغوس حلّ محل هذه الروح ؛ وبناء على ذلك ، يمكن القول بحسب مفهومهم ، بأن الكلمة أو ابن الله ، قد تألم وعطش وحزن .. وكانوا يهدفون من ذلك لا لإثبات ناسوت المسيح ، بل التقليل من لاهوت الابن . إذ أنهم قد علموا بأن الابن لم يصبح ابنا إلا بالتبنى وليس بالطبيعة . أما الأريوسيون المعتدلون فقد علموا بأن الابن هو صورة الله ، لا بل يمكن القول بحسب مفهومهم بأنه الله بالطبيعة ، **ولكنه ليس من طبيعة الله الآب** .

أما أبولوناريوس فقد إتبع فى تعاليمه نظام أو تيار مدرسة اللوغوس – جسد (Logos-Sarx) لأنه إعتقد ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، أن وجود الروح البشرية فى المسيح يسبب صراعاً داخلياً فى ا لمسيح ويقلل من لاهوته . ولذلك فقد علّم بان المسيح مكّون من اللوغوس الكلمة ثم الجسد . واللوغوس ، الكلمة ، الله نفسه ، حلّ محل الروح فى الجسد .

ومن المعروف بأن أريوس وأتباعه رفضوا قرارات مجمع نيقية ، بينما قبل أبولوناريوس وأتباعه قانون إيمان نيقية ودافعوا عنه . صارت هاتان المجموعتان : أى أتباع أريوس وأتباع أبولوناريوس ، تمثلان خطراً عظيماً على التعاليم الكرستولوجية . ولقد رفضت الكنيسة تعاليمهما .

٣ – **وهناك مجموعة ثالثة** قد أدرجها بعض العلماء تحت التيار الذى يدعى اللوغوس – جسد (Logos-Sarx) وهى مجموعة معلمى الإسكندرية . على أنه يجب التفرقة بين تعاليم أتباع أريوس وأتباع أبولوناريوس الذين نادوا بصراحة ووضوح بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ؛ وبين تعاليم كنيسة الإسكندرية التى أهمل بعض معلميها المناداة بصراحة ووضوح بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . مما لا شك فيه أن بعض آباء كنيسة الإسكندرية لم يشددوا كثيراً على حقيقة وجود روح بشرية فى المسيح ، وأن معظم كتاباتهم تكاد تكون خالية من ذكر الروح البشرية . وقد التزموا الصمت نسبياً بخصوص هذا الموضوع . على أن هذا لا يعنى أنهم قبلوا تعاليم أريوس وأبولوناريوس ، بل إنهم قاوموها ورفضوها رفضاً باتاً . فعندما ندرس مثلاً كتابات القديس أثناسيوس نتبين فعلاً كما لو كان يتبع فى تعاليمه تيار اللوغوس – جسد فهو لم يعر موضوع وجود روح فى المسيح إلا إهتماماً ضئيلاً جداً . ومع ذلك لا ينكر قط وجودها . فإن عدم ذكره لها لا يعنى عدم إعتقاده فى وجودها . أضف إلى ذلك أنه فى مجمع الإسكندرية الذى عُقِدَ فى سنة ٣٦٢ والذى كان يرأسه هو نفسه إعترف بوجود روح فى المسيح .

ومع أن العلماء وضعوا كنيسة الإسكندرية تحت تيار كلمة – جسد (Verbe-Chair) ، فإنه من الصعب أن نطبق على هذه الكنيسة كل ما يحمل هذا التعبير

من معنى عقائدى أريوسى أو أبولوناريوسى[٦] : أو بمعنى آخر أنه من الخطأ أن ننسب إلى كنيسة الإسكندرية نفس المفهوم الذى يمكن أن ننسبه إلى الأريوسيين والأبولوناريوسيين عندما يستعملون هذا التعبير . فعلى ما يبدو أن آباء كنيسة الإسكندرية فهموا كلمة جسد (ساركس Sarx) حسب المفهوم الكتابى . فعندما يتكلم الكتاب المقدس عن الجسد (الساركسى) لا يقصد به جسداً مجرداً من الروح البشرية العاقلة ، كما فعل ذلك الأريوسيون والأبولوناريوسيون ، بل يقصد الإنسان كله ، روحاً وجسداً . فإن كانوا قد أهملوا ذكر كلمة الروح عند التحدث عن المسيح من الناحية الانتيولوجية (التكوينية) (Ontologie) فذلك يرجع إلى حقيقة أن آباء الكنيسة فى الإسكندرية فهموا بأن كلمة جسد = ساركس تحمل فى طياتها الإنسان كله روحاً وجسداً . وهذا ما قد نادى به القديس العظيم كيرلس عندما قال : « إن ما نعلّم به عن الجسد يعنى الإنسان كله »[٧] ، وبالرغم من ذلك فإن صمت كنيسة الإسكندرية فيما يتعلق بوجود روح بشرية فى المسيح أضعف كثيراً تعاليمها الخاصة بناسوت المسيح . ويقول جريلميير (Grillmeier) ما ملخصه : بأن الذين إتبعوا فى تعاليمهم تيار اللوغوس + ساركس = جسد هم أول المسئولين عن رفض الناسوت الحقيقى والكامل للمسيح . ومن المعروف بأن كنيسة الإسكندرية قد أعطت الأولوية والأهمية الكبرى للوغوس : فهو العامل المحيى والمسيطر الأسمى ... (Gril... 275) .

مما لا شك فيه بأن آباء كنيسة الإسكندرية قد تكلموا كثيراً منبّرين بشدة على عمل اللوغوس فى المسيح ، وأن الكلمة ، اللاهوت هو الذى يسيطر ويقود . ولكثرة كلامهم عن اللاهوت كاد الناسوت أن يختفى ، وتختفى معه فكرة وجود روح بشرية للمسيح . وهذه بلا شك نقطة ضعف فى تعاليم كنيسة الإسكندرية ساهمت فى إضعاف وحجب الناسوت والتقليل من أهمية الدور الذى يحتله فى شخص المسيح . ومع ذلك فإننا لا يمكن أن نضع بأى حال من الأحوال ، تعاليم الأريوسيين والأبولوناريوسيين الخاصة باللوغوس – والجسد ، على نفس المستوى الذى علمت به كنيسة الإسكندرية أو أن ننسب لهم جميعاً نفس المفهوم لهذه المشكلة العقائدية .

ففى القرن الرابع نجد إذن تيارين عقائديين قد سيطرا على التعاليم الكرستولوجية وهما :

١ – التيار الأول وهو الذى يدعى ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، كلمة – جسد أو اللوغوس . ساركس وهذا التيار يشمل التعاليم التى ترفض بصراحة ووضوح وجود روح بشرية فى المسيح ، مثل التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية ، والتعاليم التى لم تتكلم بوضوح أو تكلمت قليلاً عن وجود الروح .

6. A. Grillmeier. 275 - 276.

7. Camelot. 18 - 24 Liebaert. 139.

٢ – أما التيار العقائدى الثانى الذى سيطر يدعى ، الكلمة – إنسان ، أو اللوغوس – إنسان[٨] (Verbe-Homme = Word-Man Logos-Anthropos) ولقد علّم أتباع هذه المدرسة بأن اللوغوس الكلمة أو ابن الله تجّسد فى الإنسان يسوع الناصرى : يعنى فى إنسان كامل التكوين : إنسان مكّون من روح بشرية عاقلة وجسد كامل . إذ أنهم رأوا فى غياب الروح البشرية من شخص المسيح ؛ العقيدة التى نادت بها جماعة أريوس وأبولوناريوس ، خطأ عظيماً ، لأنه يدل على نقص فى تكوين شخصية المسيح . فإن المسيح بدون روح بشرية عاقلة يصبح مسيحاً ناقص التكوين فى ناسوته . لأن الإنسان يتكّون من روح و (نفس) وجسد ولهذا السبب فقد شدد معلمو هذه المدرسة : مدرسة لوغوس – إنسان على حقيقة أن ابن الله أو اللوغوس تجّسد فى إنسان كامل التكوين : أخذ إنسانا بكل ما تحمل كلمة إنسان من معنى . فإن الكلمة لم يحل فى جسد خالٍ من الروح البشرية ؛ بل أن ابن الله قد حلّ فى الإنسان يسوع الناصرى ، ذى الروح البشرية مثل كل إنسان آخر .

لقد تزعمت مدرسة انطاكيا المناداة بهذه العقيدة والتنبير الشديد على ناسوت المسيح المكّون من الكلمة اللوغوس ثم من الإنسان يسوع الناصرى . وهو فى كيانه أيضاً إنسان ، من روح بشرية وجسد .

وقد ظهرت الجماعة التى كانت تنادى بوجود ابن الله ، الكلمة أو اللوغوس ، ثم الإنسان الكامل المكّون من روح بشرية عاقلة وجسد بشرى فى شخص المسيح يسوع ؛ كحركة مقاومة ورفض لتعاليم أريوس ، لأن أريوس كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، علّم بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، وأن اللوغوس حلّ محل هذه الروح . ويظهر أن الأسقف استاثيوس الانطاكى (Eustathe d'Antioche) كان من أوائل الذين اكتشفوا خطورة التعاليم الأريوسية فيما يخص موضوع عدم وجود روح بشرية فى شخص المسيح ، وقام بحركة مقاومة وهجوم ضد هذه التعاليم قبل ظهور ابولوناريوس ، محاولاً أن ينّبه الكنيسة إلى هذه الخطورة[٩] ولكنّه لم يجد فى بداية الأمر أذاناً صاغية لهذا النداء . فمع أن استاثيوس لم يفلح فى جذب إنتباه عدد كبير من الأساقفة لادراك هذه التعاليم وخطورتها ، فقد نجح فى تكوين نواة صغيرة وقوية لمقاومة البدعة الأريوسية التى كانت تنكر وجود روح بشرية فى المسيح . فبعد مدة من خلعه سنة ٣٣٠ قامت جماعة مؤمنة ومتمسكة بتعاليمه الخاصة بوجود روح بشرية فى المسيح ، بمحاربة الحركة الأريوسية . وكان على رأس هذه الجماعة الكاهن بولينوس أو بفلينوس (Paulin)[١٠] . وقد

8. Grillmeier 283.

9. Kelly 312.

10. Kelly 312 - 314 camelot 16 - 24.

إستطاعت هذه الجماعة (حزب بولينوس) وجماعة الأسقف ملاسيوس (Mélèce) الحصول من مجمع الإسكندرية الذى عقد برئاسة الأسقف القديس أثناسيوس فى سنة ٣٦٢ ، على إعتراف بوجود روح بشرية فى المسيح ، وحتى هذا التاريخ ، وبالرغم من أن عدداً لا بأس به من المعلمين إتبعوا التيارين العقائديين فى الكنيستين ، كنيسة الإسكندرية وكنيسة انطاكيا (أى النظام أو تيار الكلمة – جسد ثم تيار اللوغوس – إنسان) فإن خطورة هذه التعاليم أى عدم وجود روح بشرية فى المسيح ، لم تظهر بطريقة واضحة إلا بظهور أبولوناريوس وتعاليمه التى شدّدت كثيراً على هذه المشكلة . ومع أن أبولوناريوس لم يكن الأول الذى أنكر وجود روح بشرية فى المسيح إلا أنه كان الأول الذى أثار المشكلة بطريقة واضحة وصريحة وعقائدية . ومن هنا بدأ التياران العقائديان فى الكنيستين بطريقة واضحة وصريحة . ومن هنا بدأت أيضاً مشكلة الاعتراف أو عدم الاعتراف بوجود روح بشرية فى المسيح كعقيدة من العقائد الأساسية التى عملت على تمزيق الكنيسة المسيحية خلال القرنين الرابع والخامس .

الفصـــل الثـانــى

التعاليم الخاصة بالطبيعة الواحدة والطبيعتين

١ – عقيدة الطبيعة الواحدة :

سبق أن أشرنا إلى مفهوم كنيسة الإسكندرية فيما يخص التيار أو التعليم الذى يدعى الكلمة – جسد (لوغوس ساركس) فقد نادت بهذه الفكرة ، لأنها فهمت هذه العقيدة بحسب المفهوم الكتابى ، الذى يتكلم عن الجسد (ساركس) كالإنسان كله المكّون من روح بشرية وجسد . وهنا تظهر مشكلة عقيدية حقيقية . عندما نحاول شرح الكيفية التى إتحد بها اللوغوس (الكلمة) بالجسد (ساركس)[1] ، فأتباع أريوس أنكروا وجود روح فى المسيح وعلّموا بأن اللوغوس هو الذى حلّ محلها . وجاء بعد ذلك أبولوناريوس رافضاً ومقاوماً كل تعاليم أريوس ، ما عدا هذه الفكرة . فقد نبّر بشدة على عقيدة حلول اللوغوس محل الروح البشرية فى المسيح . إذ نادى أبولوناريوس بأن اللوغوس والجسد – المجرد من روح بشرية – يكونان معاً شخصاً له طبيعة واحدة ، وكان أبولوناريوس يحاول أن يهدم العقائد الأريوسية أينما وجُدت . لأنه كان من المتمسكين والعاملين بقانون إيمان نيقية الذى رفضه أريوس وأتباعه . فالأريوسيون كانوا يعلّمون بأن اللوغوس هو أقل من الله الآب ، وليس من جوهر الآب ، كما أنه غير أزلى ... وأما أبولوناريوس فقد دافع عن هذه الحقائق بكل قواه . وبما أنه كان يبحث مخلصاً عن الوحدة الداخلية لشخص المسيح ، فقد إعتقد أن عدم وجود الروح فى الجسد وحلول اللوغوس محلها ، يقدم حلا مثالياً عظيماً لهذه المشكلة العقائدية . فإنه بحسب المفهوم الأبولوناريوسى ، لا يوجد فى المسيح إلا طبيعة واحدة . الطبيعة الإلهية : فلا يوجد إلا اللوغوس العامل والجسد المجرد من الروح البشرية . والاثنان – أى اللوغوس والجسد – يكونان وحدة واحدة . وهذا

---

1. Camelot 16 - 24.

ما يدعى بتعليم الطبيعة الواحدة (Christologie Unitaire) ولقد إتبعت كنيسة الإسكندرية هذا التيار العقائدى فى تعليمها .

كانت كنيسة الإسكندرية العمود القوى الثابت الذى ترتكز عليه تعاليم الطبيعة الواحدة لشخص المسيح . فالقديس أثناسيوس تمسك بهذه العقيدة وعلّم بها ، وعلى مثاله تمسك بها آباء كنيسة الإسكندرية . فإن أثناسيوس يقول : « بأن الذى وُلِدَ من العذراء والذى تألم ومات ، ليس إنساناً بل الله الكلمة .. » . وآباء كنيسة الإسكندرية الذين تمسكوا – أولاً وقبل كل شيء – بلاهوت اللوغوس ، وبحلول الله نفسه فى الجسد ، نبروا بشدة على الوحدة الوثيقة بين اللاهوت والناسوت . فهم يؤمنون بأن الكلمة اللوغوس ابن الله أو الله نفسه حلّ فى الجسد . والكلمة صار جسداً (يو ١ : ١٤) . وبحسب مفهوم الإسكندرية فإنه ليس فى المسيح إلا طبيعة واحدة وأقنوم واحد . طبيعة الابن المتجسد . هذه هى تعاليم الطبيعة الواحدة الخاصة بشخص المسيح وسندرس هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد .

أما كنيسة أنطاكية فقد تبنت التيار العقائد الذى يُدعى اللوغوس – إنسان والذى قادها إلى نوع من الثنائية : الطبيعتان .

٢ – عقيدة الطبيعتين Christologie Dualiste

أما كنيسة أنطاكية فقد بدأت بالإنسان – الله Anthropos - Theo رأت كنيسة انطاكية فى شخص المسيح يسوع الناصرى ، إنساناً كاملاً من الناحية الانتولوجية : فهو جسد وروح بشريين ثم اللوغوس . وكما أن معلمى الإسكندرية ركزوا فى تعاليمهم على اللاهوت فإن معلمى أنطاكية ركزوا ليس فقط على الناسوت لكى يميزوا تعاليمهم عن تعاليم الإسكندرية ، بل شددوا على وجود الطبيعتين : الطبيعة البشرية (الناسوت) والطبيعة الإلهية (اللاهوت) . فالتجسد بحسب المفهوم الأنطاكى هو تجسد الله فى إنسان كامل التكوين : الله الكلمة فى الإنسان يسوع الناصرى : الذى هو المسيح . الذى دفع كنيسة أنطاكية أن تتبنى هذا الاتجاه العقائدى هو رغبتها الشديدة فى مقاومة الأريوسية والأبولوناريوسية ، وخاصة وأن هذه ا لأخيرة شدّدت على فكرة الطبيعة الواحدة . ونادت أنطاكية بطبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى . فقد رأت فى المسيح ابن الله وابن الإنسان . رأت فيه الطبيعة الإلهية كاملة : الله العظيم الذى كان يقوم بعمل المعجزات والآيات والقوات ، كما رأت فيه أيضاً يسوع الناصرى الإنسان المتألم الذى يجوع ويعطش ويموت .

ولذلك فقد رفض بعض معلمى أنطاكية القول بأن الله وُلِدَ من مريم العذراء أو كان طفلاً أو تألم أو فرح أو مات ... الخ . بل قالوا بأن مريم هى أم يسوع الإنسان . فالذى

كان طفلاً أو تألم أو مات هو يسوع وليس الله[٣] . بهذا حاولت كنيسة انطاكيا أن تميّز بطريقة واضحة وصريحة بين اللوغوس (اللاهوت) وبين الإنسان الكامل (الناسوت) . وهنا المشكلة . فإن كنيسة الإسكندرية فى محاولتها التركيز على الوحدة الداخلية لشخص المسيح ، إنزلقت إلى الاعتراف بوجود طبيعة واحدة . كما أن كنيسة أنطاكية بمحاولتها إظهار الطبيعتين فى شخص المسيح إنزلقت فى بعض الأحيان إلى ثنائية خطيرة .

ولهذا السبب – ولأسباب أخرى – إزداد النزاع والإنشقاق العقائدى بين كنيسة الإسكندرية وبين كنيسة أنطاكية . إذ أن آباء كنيسة الإسكندرية خشوا أن تعاليم انطاكيا التى تميّز بين الطبيعة الإلهية والبشرية بين ابن الله وابن الإنسان ، تقود إلى الاعتراف بثنائية متطرفّة ، أى وجود ابنين فى المسيح أو وجود مسيحيين لله . ولذلك فقد رفضت هذه الثنائية ، كما أن كنيسة أنطاكية خشيت أن التعاليم عن الطبيعة الواحدة : أى وجود طبيعة واحدة فى المسيح ، تقود إلى ملاشاة الناسوت : الطبيعة البشرية . ولذلك فقد رفضت عقيدة وتعاليم الإسكندرية عن الطبيعة الواحدة . التياران ، تيار الطبيعة الواحدة وتيار تعليم الطبيعتين هذان هما التياران العقائديان اللذان ظهرا فى الكنيسة من أول القرن الرابع .

ولهذه الأسباب العقائدية ولأسباب سياسية وغيرها عُقِدت المجامع المحلية والمسكونية لفض النزاع ولايجاد حلول لهذه المشاكل العقائدية والسياسية التى كانت تمزق الكنيسة ، جسد المسيح . وسوف نستعرض فى دراساتنا تحليل وفحص هذين التيارين اللذين ظهرا فى الكنيسة وسيطرا على تعاليمها . وسوف نتناول بالتحليل بعض الشخصيات التى قادت هذين التيارين فى كلتا الكنيستين .

وقبل أن نختم هذا الفصل يحسن بنا أن نلخص بعض الاحداث التاريخية العقائدية حتى نستطيع أن نتابع تطور الفكر المسيحى فى هذه الحقبة .

١ – عُقِدَ مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥ وأصدر قانون الإيمان الذى يعترف فيه بأن الابن هو من نفس جوهر الآب : مساوٍ له فى الجوهر وفى الزمن . وأن الابن هو من جوهر الله وليس من خلائقه .

٢ – رفض الأريوسيون قانون الإيمان النيقوى وانقسموا إلى :
أ – حزب الأريوسيين .
ب – حزب نصف الأريوسيين .

٣ – لم يرفض الأريوسيون مساواة الابن للآب فقط بل رفضوا أيضاً عقيدة وجود روح بشرية فى اللوغوس .

---

3. Tixeront 3^{em} v. P.12 - 14

٤ – قاوم القديس أثناسيوس أريوس وتعاليمه .

٥ – قاوم الأسقف أبولوناريوس أيضاً تعاليم أريوس الخاصة بعدم مساواة جوهر الابن بجوهر الاب ، لأنه كان من المتمسكين بقانون إيمان نيقية ولكي يحتفظ بوحدة الطبيعة الواحدة فقد علّم بأنه لا توجد الا طبيعة واحدة = اللوغوس الكلمة ابن الله الذى حلّ فى جسد محل الروح البشرية . وبالرغم من الفارق الشاسع بين تعليم أريوس وأبولوناريوس إلا إنهما اتفقا على عقيدة عدم وجود روح بشرية فى الإبن فهما يتعبان تيار لوغوس – جسد Logos - Sarx .

٦ – إن كنيسة الإسكندرية رفضت تعاليم أريوس وتعاليم أبولوناريوس وقاومتهما . وفى نضالها ضد الأريوسية والتنبير الشديد على إظهار اللاهوت ، أهملت نوعاً ما التحدث عن وجود روح بشرية فى المسيح .

٧ – قاوم بعض معلمى أنطاكية التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية بوجه عام ، كما أنهم قاوموا التعاليم الكرستولوجية لكنيسة الإسكندرية بوجه خاص . لأنهم رأوا فى التعاليم الكرستولوجية الإسكندرانية ذات الطبيعة الواحدة خطراً يهدد حقيقة الوحده .

ولهذا السبب فقد حاول معلمو أنطاكيا ابراز الطبيعتين : الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية . وكما ان كنيسة الاسكندرية أهملت فى كثير من الاحيان التحدث عن الروح البشرية فى المسيح وأنها نبرت بشدّه على اللاهوت والدور المهم جداً الذى يقوم به فبهذا انزلقت إلى التيار لوغوس – جسد = ساركس ثم إلى تيار الطبيعة الواحدة الذى أدى فى نهاية المطاف إلى تبنى عقيدة الطبيعة الواحدة فى المسيح (Monophysisme) . كذلك فان كنيسة أنطاكية حاولت إتباع تيار الإنسان – الله Anthropos - Theos وان تميّز بطريقة واضحة وفى كثير من الاحيان بطريقة فاصلة بين الطبيعتين ، بين ابن الله وابن الإنسان مميزه بين المحمول والحامل ، بين اللاهوت والناسوت . ولذلك فقد اعترفت جهراً بوجود روح بشرية فى الإنسان يسوع الناصرى الذى إتحد باللوغوس وعن طريق هذا الاتحاد نرى شخص ربنا يسوع المسيح إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً إلهاً حق وإنساناً حق . هذا هو إقرار الإيمان الذى اعترف به فيما بعد مجمع خلقدونية فى سنة ٤٥١ والذى سوف ندرسه تفصيلاً .

٨ – إن كنيسة الإسكندرية كانت هى أيضاً أمينة وصادقة ومخلصة لرسالتها عندما رفضت التعاليم الانطاكية لأنها رأت فيها خطراً يهدد لاهوت المسيح ، ولذلك فقد شدّدت فى تعاليمها على إثبات لاهوت المسيح قبل كل شىء .

٩ — كانت كنيسة أنطاكية محقة ومخطئة فى بعض تعاليمها ، وكانت تعرف جيداً النقاط المحقة فيها ، على أنها كانت لا تعرف جيّداً ولا تعترف صراحة بالنقاط المخطئة فيها . فإنها كانت محقة عندما رفضت التعاليم التى نادت بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . على أنها كانت مخطئة عندما تطرفت فى شرحها للطبيعتين : الشرح الذى كاد أن يؤدى ليس إلى التمييز بين اللاهوت والناسوت بل إلى فصلهما فصلاً كاملاً ، لا بل التعرض لخطر الإنزلاق **فى بعض الأحيان** إلى هرطقة وجود ابنين أو مسيحين .

١٠ — كانت كنيسة الإسكندرية محقة ومخطئة أيضاً فى بعض تعاليمها ، وكانت تعرف جيداً النقاط المحقة فيها ، كما إنها كانت لا تعرف جيداً ولا تعترف بالنقاط المخطئة فيها . فإنها كانت محقة عندما رفضت التعاليم التى كانت تهدد وحدة شخصية المسيح ، ولكنها كانت مخطئة عندما تطرفّت فى التنبير الشديد على اللاهوت والدور الذى يقوم به اللوغوس ، كما لو كان لا يوجد فى شخص المسيح إلا اللاهوت وإهمال الناسوت نسبياً . ثم التطرف فى عقيدة الطبيعة الواحدة .

كانت كل كنيسة من الكنيستين ترى النقاط الصحيحة والارثوذكسية فى تعاليمها بوضوح وجلاء ، كما أن كل كنيسة من الكنيستين كانت ترى أيضاً بوضوح وجلاء النقاط غير الصحيحة وغير الأرثوذكسية فى تعاليم الكنيسة الأخرى .

وسنحاول أن نحلل موقف كل من الكنيستين بطريقة محايدة على قدر ما تبدو لنا الأمور لنبين عقيدتهما وإيمانهما فى شخص يسوع المسيح ، وكيف تطور وإنتشر التياران المهمان اللذان كانا يسيطران على الكنيستين . ومن هم الذين نادوا بهذين التيارين ؟ وما هى المشاكل التى نتجت عن ذلك والمجامع التى عقدت لحل هذه المشاكل الكرستولوجية والسياسية ؟

الفصـــل الثـالــث

الخلافات الكرستولوجية فى القرنين الرابع والخامس

Les Controverses Christologiques aux 4ᵉ et 5ᵉ Siecles

إن الخلافات والمشاكل التى أُثيرت فى القرنين الرابع والخامس حول شخص الرب يسوع المسيح ، تُعد فى تاريخ الفكر المسيحى من المواضيع العقائدية الهامة جداً ، وخاصة الانقسامات التى حدثت بسببها . ففى هذين القرنين إزدادت التساؤلات ، ثم تطورت وتبلورت الأفكار والمفاهيم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح . ففى هذين القرنين غزت الكنيسة أفكار وتعاليم كثيرة ، كما ظهر أيضاً عدد كبير من المعلمين والآباء الأكفاء الذين استطاعوا بتقواهم وعلمهم وكتاباتهم إعلان الحق الإلهى وكشف الهرطقات الخبيثة ورفضها .

فعندما نادى الكاهن الليبى أريوس ببدعته فى القرن الرابع (سنة ٣٢٠) قامت كنيسة الإسكندرية - وعلى رأسها أسقفها الكسندروس وشماسه العظيم القديس أثناسيوس - وفندت أفكاره ورفضتها . ولقد علّم أريوس كما سبق الإشارة إلى ذلك بعدم مساواة جوهر الآب بجوهر الابن ، وعدم أزلية الابن . كما أنه نادى أيضاً بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، وعندئذ قام استاثيوس الانطاكى بالدفاع عن وجود روح بشرية فى المسيح . ولكن لم تصل المجادلات والخلافات العقائدية الخاصة بروح بشرية فى المسيح إلى ذروتها إلا بعد ظهور أسقف لاودكية ، الذى علّم بأن اللوغوس لم يأخذ إلا جسداً خالياً من الروح البشرية وأن ا لكلمة حلّ محلها . ولم تقبل الكنيسة هذا التعليم بل رفضته كل من كنيسة الإسكندرية وكنيسة انطاكيا وكنيسة رومة . وأصدرت قرارات بحرم ومنع هذا التعليم .

وهكذا رفضت الكنيسة عامة التعاليم التى أنكرت وجود روح بشرية فى المسيح . ولقد قام الآباء بحرب شعواء ضد هذه البدعة وكتبوا وعلّموا ضدها . لأن معظم الآباء رأى فى هذه البدعة خطراً عظيماً يهدد ناسوت المسيح . فالمسيح بدون روح بشرية عاقلة ، هو مسيح ناقص التكوين . ولهذا السبب فقد هبّ بعض المعلمين بالكتابة ضد التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . وكان هدف الكنيسة والآباء من هذا الهجوم دحض هرطقة أريوس وأبولوناريوس . ولقد إنقسم هؤلاء الآباء فى دفاعهم ورفضهم لهاتين الهرطقتين إلى حزبين أو تيارين : وهما تيار الطبيعتين ثم تيار الطبيعة الواحدة . ويعوزنا الوقت لاستعراض شرح أفكار كل الآباء الذين إنضموا إلى تيار الطبيعتين أو الطبيعة الواحدة فى هذه الفترة . ولذلك سوف نستعرض عدداً قليلاً منهم للتعرف على تعاليمهم الكرستولوجية .

مدرسة الطبيعتن الانطاكية والتشديد على ناسوت المسيح

Le dualisme Antiochien

عندما ظهرت البدعة الأريوسية قامت الكنيسة حالاً ضدها وقاومتها . ومن الذين قاوموا هذه البدعة ، القديس أثناسيوس . ثم جاء أيضاً بعد ذلك أبولوناريوس وشن حرباً شعواء ضد الأريوسية . على أن أبولوناريوس قد إنحرف فى دفاعه ضد الأريوسية فارتكب أخطاءً عقائدية أدت فى نهاية الأمر إلى حرمه وقطعه من الكنيسة . ولكن بالرغم من أن الكنيسة حكمت فى الشرق وفى الغرب بهرطقة تعاليم أسقف لاودكية ، كما حكمت سابقاً بهرطقة تعاليم أريوس ، فإن تعاليم أبولوناريوس إنتشرت . وكما قام هو نفسه بالهجوم على تعاليم أريوس ورفضها قام عدد كبير أيضاً من آباء الكنيسة بالهجوم على تعاليم أبولوناريوس .

ولقد سبق أن رأينا أن أبولوناريوس كان يعلم بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، أى أنه كان الممثل المثالى لمدرسة اللوغوس – جسد = الكلمة – جسد . ونفس التعليم أو المنهج الذى سلكت فيه كنيسة الإسكندرية ، إلا أنها إختلفت مع أبولوناريوس فى تفسيرها لعقيدة الكلمة – جسد . إن ظهور الأريوسية أولاً ثم الأبولوناريوسية ثانياً وأتباعهما تيار اللوغوس – جسد ، كان عاملاً من العوامل الهامة التى دفعت جماعة من الآباء المعلمين للمناداة بتيار آخر وهو تيار اللوغوس – إنسان أو اللوغوس – أنثروبوس .

وعلى ما يبدو فإن إنتشار الأريوسية دفع جماعة من العلماء فى أنطاكية إلى البحث والدرس والتفكير . وعلى ما يظن فإن هذه الجماعة تكّونت فى حوالى سنة ٣٦٠ وإنضم إليها فيما بعد أقطاب مشهورون من الكنيسة ، مثل ديودوريوس الطرسوسى ويوحنا فم الذهب وثيودوربوس الموبسيوستى وقام هؤلاء ، وخاصة ديودوريوس وثيودوربوس بالهجوم العنيف على التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . ونادى هؤلاء المعلمون بالتيار العقيدى الذى يدعى لوغوس – انثروبوس (Logos-Anthropos) أى اللوغوس – إنسان . وهو التيار العقيدى الذى إتبعه عدد كبير من معلمى مدرسة أنطاكية .

ونبدأ الآن بدراسة بعض الشخصيات التى نادت بهذه التعاليم وكيف حاول هؤلاء المعلمون الإجابة على سؤال المسيح فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » .

الفصـــل الرابـــع

الأسقف ديودوريوس الطرسوسى

L'Éveque Diodore de Tarse

أشرنا فى الفصل السابق إلى قيام جماعة من الآباء المعلمين ضد التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية . ومن هذه الجماعات جماعة فى أنطاكيا ، وكان من بين أعضائها البارزين ديودوريوس الذى صار فيما بعد أسقفاً لمدينة طرسوس .

١ - **حياته** : وُلِدَ فى إحدى السنوات العشر الأولى من القرن الرابع فى انطاكيا . وعلى ما يبدو فإنه كان من عائلة تميّزت بالثراء والثقافة . ولذلك فقد إستطاع أن يذهب إلى بلاد اليونان ليدرس فى عاصمتها[1] ولا نعلم بالضبط هل شعر بالدعوة للرهبنة فى أثينا أم فى أنطاكية مسقط رأسه ، على أننا نعرف بأنه إنخرط فى سلك الرهبنة منزوياً فى دير بالقرب من أنطاكية حيث قضى هناك عشر سنوات من حياته فى الصلاة والدرس والتأمل العميق . وتقابل فى هذا الدير مع شخصيتين لمع نجمهما فيما بعد ولعبا دوراً هاماً فى تاريخ العقيدة المسيحية . وهما القديس يوحنا فم الذهب وثيودوريوس الموبسيوستى . وقد تتلمذ وتعلما على يديه[2] . فالأول تربع فيما بعد على كرسى أسقفية القسطنطينية (فى سنة ٣٩٨) والثانى تمت سيامته فيما بعد أسقفا فى سنة ٣٩٢ على مدينة موبسيوست .

كان الراهب ديودوريوس قوياً فى إيمانه كثير الاطلاع وواسع المعرفة ، متحمساً لديانته . ولذلك لم يستطع أن ينزوى وراء جدران الدير مصليا وصامتاً ، عندما رأى الظروف المحزنة والمؤلمة التى كانت تمرّ بها الكنيسة . ففى هذا الوقت هبّت عواصف شديدة وأمواج عاتية لتحطيم الكنيسة وملاشاتها . فمن داخل المسيحية ، كان يرى الرجل

---

1. Joseph Turmel. Hist. des. Dogmes 301
2. Tixeront 257.

انتشار الأريوسية وخطرها[٣] ، ومن خارجها كان يرى التهديدات والاضطهادات التى قام بها الامبراطور يوليانوس الجاحد . ولهذا السبب فقد ترك الدير وخرج للنضال وللدفاع عن المسيحية المهددة فى عقيدتها من الأريوسيين ، وفى وجودها من الامبراطور يوليانوس المرتد ومن الوثنيين .

وعندما صار يوليانوس إمبراطوراً (سنة ٣٦١) صب غضبه واضطهاداته على المسيحيين[٤] ولم يكتف بتعذيب المسيحيين بل قام أيضاً بحملة هجوم على تعاليم المسيح والكنيسة ، وكتب كتاباً ونشره ، على ما يحتمل فى حوالى سنة ٣٦٢ ، وفيه قام بهجوم عنيف على « الجليلى » والجليليين منتقداً فى كتابه هذا لاهوت المسيح وعبادته ، معتبراً إياه إنسانا فلسطينياً ومجرد إنسان . كما أنه إنتقد أيضاً تلقيب مريم العذراء بأم الله .

وكان لابد أن يدافع المسيحيون عن تعاليم المسيح وعن عقيدتهم ضد أكاذيب هذا الامبراطور . ومن ضمن الذين ردوا على إتهامات الامبراطور يوليانوس المرتد عن المسيحية ، ديودوريوس الطرسوسى . وقد ذكره الامبراطور فى كتابه فهو يقول عنه : « فبمساعدة الآلهة والآلهات .. سوف نثبت بأن آلهة (أى إله ديودوريوس) الجليلى الجديد ما هو إلا خرافة . فموته وقبره جرداه بطريقة مخزية من اللاهوت ومن الأزلية اللتين إخترعهما ديودوريوس »[٥] .

كان ديودوريوس يحارب فى جبهتين ، كان يحارب ضد الامبراطور يوليانوس المرتد ، وضد الهرطقات التى إنتشرت فى أنطاكية . ولقد مات الامبراطور يوليانوس قتيلاً فى الحرب فى سنة ٣٦٣ وعلى ما يعتقد الدكتور أسد رستم فإن فارساً مسيحياً من فرسانه رماه بسهم قضى عليه .[٦]

٢ – إرتقاء ديودوريوس للدرجات الكهنوتية :

على ما يحتمل ، أن ديودوريوس بدأ حياة الرهبنة والتنسك ما بين سنة ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ولقد خرج من الدير بعد عشر سنوات ثم سيم كاهناً . ويظن أنه سَيم كاهناً فى مدينته أنطاكية فى سنة ٣٦١ أو فى سنة ٣٦٥ . وإستمر فى صراعه ونضاله ضد الامبراطور ، فنفُى فى سنة ٣٧٢ ، ثم رجع من المنفى وبعد رجوعه نُصّب أسقفاً على مدينة طرسوس فى سنة ٣٧٨ .

---

3. Tixeront 257.

٤ – دكتور اسد رستم ٢٣٦ – ٢٤٠

5. Grillmeier. 304

6. Grillmeier (306) الدكتور اسد رستم الجزء الاول ص (٢٣٦ – ٢٤٠)

ويعرفنا جيروم بأن ديودوريوس واسابيوس الامسى (Eusèbed' Émèse) كانا صديقين حميمين . وكان اسابيوس يذهب كثيراً إلى مدينة أنطاكية ، ودُفِنَ فيها . ولقد تساءل بعض العلماء عما إذا كان تعليم الواحد لم يؤثر فى تعليم الآخر ، إذ إنهما يتلاقيان وهما متفقان فى نقاط كثيرة[٧] .

حضر ديودوريوس المجمع المسكونى الثانى فى سنة ٣٨١ الذى عقد فى القسطنطينية . وعندما صدّق الامبراطور ثيودوسيوس (Theodose) على قرارات هذا المجمع ، لقب ديودوريوس بلقب بطل الإيمان[٨] . ولقد تنيّح أسقف طرسوس فى سنة ٣٩١ أو فى سنة ٣٩٢ وبكته كنيسته ومدينته . لأنه كان أشهر من نار على علَم ، بسبب مواقفه السياسية فى دفاعه عن المسيحية ومعارضته لكتابات وقرارات الامبراطور يوليانوس الجاحد ، كما أنه كان معروفاً ومكرماً ومحبوباً فى كنيسته . إذ أنه كان يُعد عموداً من الأعمدة القوية الراسخة وقائداً مسموع الرأى من قادة الكنيسة[٩] .

ولقد ظل هذا المعلم يتمتع بشهرة عظيمة فى حياته . وبعد موته كانت كنيسة انطاكية تعتز بتعاليمه . ولكن بعد حوالى خمسين عاماً من موته ، وبعد أن احتل مكاناً مرموقاً فى الكنيسة بشخصيته وبتعاليمه اكتشف القديس كيرلس المصرى فى صراعه ضد نسطوريوس ، بأن النسطورية عميقة الجذور وبعيدة الأصول . فلقد إعتقد كيرلس بأن جذور تعليم النسطورية وأصلها يرجعان إلى تعاليم ديودوريوس أسقف طرسوس . ولم يتردد أسقف الإسكندرية فى إعلان هذا الأمر والكتابة ضده[١٠] ، وما أن ظهرت كتابات كيرلس المعارضة لتعاليم أسقف طرسوس حتى بدأ نجمه يأفل . ومع أن كيرلس لم ينجح فى حرمه ، فإن معارضته والمناداه ضد تعاليمه قلّلت كثيراً من التقدير الذى كان يكّنه له الكثيرون وخاصة الكاثوليك ، مما أدى فى نهاية الأمر إلى فحص ودراسة تعاليمه . فإن مجمع القسطنطينية الذى عقد فى سنة ٤٩٩ ، درس قضيته ثم أصدر حكماً ضد تعاليمه . على أن المجمع الخامس الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٥٥٣ قد حكم ببراءته[١١] .

---

7. Grillmeier 303 - 314

8. J. Kell y. 312.

9. J. Kell y. 312.

ثم انظر ايضاً .

10. J. Tixeront 13 Cyrille Epist. XLV, LXVII, LX1X, LXX 1, COL. 229, 336, 340, 344.

١١ – بخصوص الحكم على ديودوريوس وتعاليمه وتبراءته الرجاء الرجوع إلى المراجع المذكورة فى نهاية هذا الفصل . وخاصة إلى :

C. Bihlimeyer H. Tuchle Histoire de L'eglise 374 - 377, J. kelly 312 - 313 J. Tixeront 12- 13.

والسؤال الذى يتبادر إلى الاذهان الآن هو : هل كان كيرلس محقاً أو مخطئاً فى إثارة الشبهات حول تعاليم الأسقف الطرسوسى ؟ هل كان ديودوريوس هرطوقياً أو أرثوذكسياً ؟ وللإجابة على هذين السؤالين نحاول الآن دراسة تعاليمه . وكيف حاول هو أيضاً بدوره أن يجاوب على سؤال المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » ؟

٣ – تعاليم ديودوريوس الكرستولوجية :

كتب أسقف طرسوس عدداً كبيراً جداً من الكتب وخاصة الكتب التفسيرية وبعض الكتب العقائدية . ولكن للأسف الشديد فإن أغلبية هذه الكتب ، إن لم يكن كلها قد فقدت ؛ ولم يتبق لنا من كتاباته إلا بعض الشذرات أو الاجزاء القليلة . ويعتقد كيلى (Kelly) بأن هذه الشذرات المبعثرة من أعماله ، وعدم التأكد من صحة بعضها لا يسمح لنا باعطاء فكرة كاملة واضحة عن تعاليم ديودوريوس الكرستولوجية[١٢] .

إن معظم الوثائق الخاصة بتعاليم ديودوريوس وصلت إلينا عن طريق مخالفيه . فإذا كنا نريد أن نفهم أفكاره العقائدية الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ، علينا أن ندرس الكتب التى كتبها ضده المخالفون له فى الرأى . وم . رشارد Mr. Richard يعطى لنا مصدرين لدراسة كتابات الأسقف الطرسوسى :

١ – دراسة الكتاب الأول الذى كتبه كيرلس الإسكندرى ضد ديودوريوس . لأن كيرلس كتب ضد تعاليم ديودوريوس ، وضد تعاليم ثيودوريوس الموبسيوستى .

٢ – ثم دراسة بعض النصوص التى إقتبسها كيرلس فى كتاباته ضد ديودوريوس[١٣] .

كما أنه يمكننا أيضاً أن نجد بعضاً من تعاليمه فى النسخة السريانية تحت رقم (Cod 12 156) ومع أن هذه الوثائق العقائدية طُبعت منذ حوالى اكثر من مائة عام فإن محتوياتها لم تكن معروفة . وربما يرجع الأمر فى ذلك إلى حقيقة أن أعين العلماء والباحثين لم تقع على هذه الوثائق ولم يهتم أحد منهم بتقديم بحث عن شخصيته أو عن تعاليمه .

ولكن فى سنة ١٩١٥ قدم فيتيسوف نيكولاس Fetisov Nicolas[١٤] بحثاً عن الأسقف الطرسوسى . ثم جاء بعد ذلك فى سنة ١٩٤٦ م . بريَر (M. Briere) الذى قام بترجمة بعض الفقرات من كتاباته السريانية إلى اللغة الفرنسية . ومن ذلك الوقت بدأ

12. J. Kelly 312 - 313.

13. F. A. Sullivan. S. J. The Christology of Theodore of Mopsuestia. ... 172 - 180

14. Fetisov Nicolas. Diodore of Tarsus Research Essay of eccl. Hist. On His lifeand his activity. Kiev. 1915.

العلماء والباحثون يهتمون بدراسة حياة وتعاليم ديودوريوس الطرسوسى . فما هى إذن تعاليمه عن شخص الرب يسوع المسيح ؟

عرفنا فيما سبق عن الاتجاهين العقائديين : الاتجاه التعليمى الذى ينادى بتيار أو بعقيدة الكلمة – جسد (اللوغوس – ساركس) (Logos-Sarx) ولقد إتبع كثير من معلمى الإسكندرية هذا التيار . ثم رأينا إتجاهاً آخر ، وهو الذى إتبعه عدد كبير من معلمى انطاكيا وهو الكلمة – إنسان (لوغوس – انثروبوس) (Logos-Anthropos) . والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو : إلى أى جماعة أو تيار تعليمى من هذين الاتجاهين انضم أسقف طرسوس ؟ وهل يمكننا أن نحدد بطريقة واضحة وأكيدة أنه كان ينادى بعقيدة الكلمة – جسد أو بعقيدة الكلمة إنسان ؟

من المؤكد أن أسقف طرسوس كان من الذين قاوموا وحاربوا تعاليم أبولوناريوس عن الطبيعة الواحدة . وكما سبق أن أشرنا فإن كاهن أنطاكية – أسقف طرسوس فيما بعد – كان يحارب فى جبهتين فى وقت واحد : كان يحارب ضد الارتداد وترك الديانة المسيحية ، الذى دعا إليه الامبراطور يوليانوس المرتد . الذى نادى بأن يسوع الناصرى لم يكن إلا مجرد إنسان فلسطينى . كما حارب أيضاً ضد تعاليم أبولوناريوس عن الطبيعة الواحدة لكن هل كان يعنى مقاومته لتعاليم أبولوناريوس الذى كان ينهج منهاج مدرسة الكلمة – جسد يعنى بأنه كان يتبع تيار الكلمة – إنسان ؟

لقد إنقسم علماء تاريخ الفكر المسيحى فى دراساتهم لتعاليم ديودوريوس إلى قسمين : القسم الأول يرى بنوع من التحفظ أن تعاليم الأسقف الطرسوسى هى تعاليم من نوع الكلمة – جسد : ومن هؤلاء العلماء أ . جريلميير (A. Grillmeier)[١٥] ، ثم L. Abramowski[١٦] . كذلك أيضاً J. Kelly[١٧] .

أما القسم الثانى من العلماء فقد رأى فى تعاليم ديودوريوس تيار الكلمة – إنسان لوغوس – انثروبوس = (Logos-Anthropos) ، ونذكر منهم على سبيل المثال ف .أ . سيولفن F. A. Sullivan)[١٨] والعالم م . جيوجى أو جيجى (M. Jugie)[١٩] ، والمؤرخ هـ . مارو (H. Marrou)[٢٠] ، ولا ننسى كل من

---

15. Grillmeier 303 - 313.
16. L. Abramowski Voir Liebaert 156 - 157.
17. J. Killy 312 - 313.
18. F. A.; Sullivan 181 - 185.
19. M. Jugie. Cité par F. A. Sullivan 185 - 189.
20. H. Marrou. 383.

C. Bihlmeyer - H. Tuchle[٢١] .

وهناك نسأل ، على أى أساس بنى الفريق الأول مفهومه عندما وضع معلم طرسوس مع الذين نادوا بعقيدة اللوغوس – جسد ؟ إن هذا الفريق لا يدعى بأن ديودوريوس كان يتبع عقيدة اللوغوس – جسد كما علّم بها أريوس أو أبولوناريوس . لأنه حارب تعاليمهما بكل قوة ، ولا حتى كما علّم بها معلمو الإسكندرية . ومع ذلك فإنهم يرون فى تعاليمه ميلاً كرستولوجياً إلى عقيدة الكلمة – جسد . ولقد سبقَ أن شرحنا معنى هذه العبارات بالنسبة لاتباع أريوس وأتباع أبولوناريوس . وأتباع معلمى الإسكندرية .

إن ج . ليبرت (J. Liebaert) يعتقد بأن الذين رأوا فى ديودوريوس معلماً قد نادى بالطبيعتين وبعقيدة الكلمة – إنسان يستمدون براهينهم من بعض الشذرات من كتابه الذى كتبه ضد أبولوناريوس ويدعى Contra Synousiastas ، وهو الكتاب الوحيد الذى خصصه لمعالجة مشكلة التجسد ، والذى لا نعرف عنه إلا الاقتباسات التى إقتبسها منه القديس كيرلس . ويعتقد ليبرت بأن هذه الفقرات الباقية والمقتبسة من كتاباته ، تؤكد فعلاً عقيدة الطبيعتين ، على أنه يعتقد أيضاً أن هذه النصوص قد تعرضت لنوع من التشويه . والدليل على ذلك أن الدارس لما تبقى من كتابات أسقف طرسوس يستطيع أن يدرك بأن تعاليمه الخاصة بالتجسد غير دقيقة : فإنه يستعمل عبارة الكلمة – جسد عندما يتكلم عن التجسد أكثر من إستعماله لعبارة الكلمة – إنسان ؛ كما أن روح المسيح لا تحتل فى تعاليمه إلا مكانة باهتة وغير واضحة . ومن هذا نفهم بأنه لم يتمسك بتعاليم أستاثيوس[٢٢] . ويرى فليبرت فى ديودوريوس معلماً لعقيدة اللوغوس – جسد .

والعالم جريلميير (A. Grillmeier) يقدم لنا تحليلاً لتعاليم ديودوريوس مبينا أن العلاقة القوية التى ربطت أسقف طرسوس بمعلم آخر وهو الأسقف اسابيوس الماسى (Eusèbe D'Émèse) وعلى ما يعتقد القديس جيروم فإن الروابط التى ربطت هذين المعلمين هى علاقة الأستاذ بتلميذه[٢٣] . إن هذه العلاقة ممكنة لأن أسابيوس وُلِدَ حوالى سنة ٣٠٠ وتنيّح فى سنة ٣٥٩[٢٤] ، وكان يذهب إلى أنطاكية بطريقة مستمرة ومنظمة . وهنا يتساءل جريلميير فيما إذا كان يوجد تشابه فى تعاليم الإثنين ؟ أو هل أثّر أحدهما فى الآخر من الناحية العقائدية ؟ . ومن الواضح والغريب أيضاً أن تعاليم أسابيوس الأماسى هى تعاليم من نوع الكلمة – جسد (لوغوس – ساركس) ، ففى معرض حديثه عن

21. C. Bihlmeyer H. Tuchle. 347.

22. J. Liebaert 156 - 157.

23. Jerome de Viris illustr 119 ed G. Heridng, Hiaronymi de Viris illustibus, Liber. Leipzig 1964, 62.

24. Ebuytaert. Heritage Litteraire d'eusebe (61 - 69).

المسيح – سواء فى حياته أو بعد صلبه – لا يشير لا من قريب أو من بعيد عن وجود روح بشرية فيه أو عن وجودها كعنصر حقيقى أساسى فى شخص المسيح . وفى شرحه لحادثة موت المسيح يعتبر أن هذا الموت هو نتيجة إنفصال القوة عن « الجسد » أى إنفصال الطاقة العاملة التى تمثل لاهوت المسيح عن جسده[٢٥] فإن موت المسيح عبارة عن رحيل أو مغادرة الطاقة الإلهية أو الروح الإلهى . من هذا يتضح بأن أسابيوس الأماسى نبّر فى تعليمه على نقطتين فى غاية الأهمية : النقطة الأولى هى : أن أسقف أماسى أهمل فى تعليمه الكلام عن وجود روح بشرية فى المسيح . أو لم يتحدث عنها بوضوح . النقطة الثانية هى : أن أسابيوس نادى بتعاليم فيها ثنائية (Le dualisme) ، فهو يتكلم عن الجسد (Sarx) ، كما لو كان شيئاً مستقلاً وقائماً بذاته . ويتكلم أيضاً عن الروح ، ليس روح المسيح البشرية ، بل الروح المحرك (Pneuma) ، أو الطاقة الإلهية (La dynamis divine) ، كما لو كان كائنا مستقلا وقائماً بذاته . وهنا نرى نوعاً جديداً من التعليم : فهو ينادى بعقيدة اللوغوس – ساركس (الكلمة – جسد) وفى نفس الوقت يشدد على الثنائية (Le dualisme) .

فهو يتفق مع معلمى الإسكندرية فى إهماله الحديث عن الروح البشرية فى شخص المسيح . كما أنه يتفق أيضاً مع معلمى أنطاكيا عندما يتكلم عن عنصرين أو جوهرين فى المسيح . ولا ننسى أن أسابيوس كان تلميذاً لسميّة يوسابيوس القيصرى ، وهذا الأخير كان يُعتبر حلقة الوصل بين الأريوسيين والأرثوذكس ، وكان يعرف جيّداً التعاليم الأريوسية . فمن المحتمل إذن أنه تأثر بتعاليمه وبالتعاليم الأريوسية ، وتعاليم الإسكندرية حيث أنه كان على علاقة مستمرة مع بعض جماعات الأريوسيين فى الإسكندرية . ألم يكن صديقاً لجورج أسقف لاودكية ؟ وكان جورج من الإسكندرية ومن أتباع أريوس[٢٦] ولم يكتف أسقف إماس (Émèse) أو أماسيوس ، بدراسة تعاليم الإسكندرية ، بل ذهب إلى أنطاكية ودرس هناك فى مدرستها وعرف تقاليدها والأفكار التى تنادى بها . وهنا نطرح السؤال الآتى : هل تعاليم يوسابيوس الماسى أو الاماسى (Eusebe d'Émèse) أثّرت على تعاليم ديودوريوس الكرستولوجية ؟

إن الذين درسوا وحلّلوا تعاليم ديودوريوس الكرستولوجية ظلوا يعتقدون إلى وقت قريب – أو على الأقل يميلون إلى فكرة – أن تعاليمه هى من نوع الكلمة – إنسان (Logos-Anthropos) ، لا بل إن بعضهم رأى فيه من هيأ الطريق لنسطوريوس . إن جريلميريواصل تحليله فيقول : مع أن الأمر يبدو غريباً ، فإن ديودوريوس كان ينادى بعقيدة الكلمة – جسد وأما ثيودوريوس فقد علّم بعقيدة الكلمة – إنسان . ومما لا شك

25. Grillmeier 291 - 298 Eusé Be d'Emése d. Buytaert 9.

26. Grillmeier 291

فيه بأن أسقف طرسوس يعترف بوجود روح بشرية للمسيح ، ولكنه عندما يتعرض لرسم صورة له ، فإن هذه الصورة تخلو من التعليم الواضح الصريح عن روح بشرية للمسيح . فإن الذى يدرس الشذرات الباقية من كتاباته يندهش من عدم اكتراثه وإهماله لتقليد الكنيسة الذى يتكلم عن وجود روح بشرية للمسيح . وحتى فى مناقشاته وتحليله للكتابات الأبولوناريوسية ، لم يكن هذا الموضوع مركز النقاش والجدل ، فإنه لا ينتقد هذا النقص فى تعليم خصمه أبولوناريوس . وهذا يرجع إلى حقيقة أن وجود روح بشرية للمسيح أو عدم وجودها لم يكن بالنسبة لديودوريوس موضوع حوار مع خصومه . ويعتقد جريلمير بأن أسقف طرسوس كان ينادى بعقيدة الكلمة – جسد . وهذا واضح من شرحه لقول لوقا « وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) . إنه من المستحيل أن نتكلم عن كلمة الله بهذا الأسلوب ، لأنه ولد إلهاً كاملاً من آب كامل ، حكمة من حكمة ، قوة من قوة . وبناء على ذلك فهو نفسه لا ينمو أو يكبر ، لأنه كامل ومكتمل النمو ، وليس فى حاجة إلى نمو ليصبح كاملاً . فالذى كان يتقدم فى القامة والحكمة هو الجسد : الساركس[٢٧] ، فمن الملاحظ بأن ديودوريوس يتكلم هنا عن الكلمة من ناحية وعن الجسد من ناحية أخرى . ففى كلامه عن المسيح لا يستعمل الأسلوب الانطاكى ، بالرغم من أنه هو نفسه إنطاكى أى أنه لا يتكلم عن الكلمة اللوغوس والإنسان الكامل . كما أنه لا يشير فى حديثه هنا إلى وجود روح . وعندما تعرض للحديث عن نزول المسيح إلى الجحيم فهو لا يذكر شيئاً عن روح المخلص[٢٨] .

من هذا يتضح بأن ديودوريوس كان متأثراً تأثيراً عملياً وفعلياً بالتيار العقائدى الكلمة – جسد . ويرجع مصدر هذا التأثير إلى يوسابيوس الماسى أو (الاماسيوسى) . إن جريلمير (Grillmeier) لا يعتقد بأن كاهن إنطاكيا كان ينكر وجود روح بشرية للمسيح ، ولذلك فهو يقول : « بأن معظم التعبيرات التى إستعملها ديودوريوس هى تعبيرات أُستُخدمت فى المدرسة الانطاكية ، وأنه واحد من الذين يتبعون عقيدة اللوغوس – إنسان . على أنه (جريلمير) يلفت نظر الدارس إلى حقيقة مهمة وهى ، أن ديودوريوس قد إتبع تقريباً عقيدة المدرستين . فمع أنه يعترف بوجود روح بشرية للمسيح إلا أنه لم يتكلم عنها بطريقة واضحة وصريحة . ولم يعطها المكانة المهمة واللائقة بها كعنصر أساسى فى تعاليمه . كما أن (جريلمير) يشير إلى أمر آخر مهم وهو : بأننا قد تعودنا أن نرى فى المدافع عن التعاليم الكرستولوجية « الانقسامية) Christolgoie, «Divisive» شخصاً يتبع عقيدة الكلمة – إنسان (Logos-Man) ، أما هنافنرى

27. Grillmeier. 307 Voir aussi Diodore Frag. 36 Trad. Abramowski 51 - 53.

28. Diodore Frag.. 31 - 32 Briere 271.

يوسابيوس الأمسى وديودوريوس الطرسوسى ، الأول (يوسابيوس) يمثل بطريقة كلية وجزئية ، والثانى (ديودوريوس) يمثل بطريقة جزئية الثنائية أو الانقسامية من نوع الكلمة – جسد[٢٩] .

إن الذين يتبعون عقيدة الكلمة – إنسان ، يرون فى شخص المسيح طبيعتين كاملتين : الطبيعة الإلهية – الكلمة أو اللوغوس أو ابن الله – ثم الطبيعة البشرية – الناسوت الإنسان يسوع الناصرى . وهذا الفريق مجرب فى بعض الأحيان بإن يقسم المسيح الواحد . لأنه يرى فيه إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً ، يرى فيه ابناً لله وابناً للإنسان .. ابناً بالطبيعة وابناً بالتبنى . ومن هنا ينتج الخطأ فى تفسير وفهم هذه العقيدة التى تسمى فى تاريخ العقيدة المسيحية بالتعاليم الكرستولوجية الانقسامية (La Christologie divisive) ، وأما الذين يتبعون عقيدة الكلمة – جسد يرون فى المسيح طبيعة إلهية كاملة . فإن اللوغوس أو الكلمة قد حلّ فى الجسد فامتلكه وسيطر عليه[*] . وهذا ما يدعى بتعاليم الطبيعة الواحدة الكرستولوجية أو الكلمة – جسد .

إن المجال هنا لا يسمح لنا بسرد وتحليل أفكار كل العلماء الذين ترجموا وفسروا تعاليم ديودوريوس الطرسوسى الكرستولوجية وخاصة بعد سنة ١٩١٥ ولهذا السبب فإننا نكتفى بعرض أفكار بعض العلماء وموقفهم من تعاليمه . وبما إننا رأينا فى الصفحات السابقة أن كل من جريلميير (Grillmeier) وليبرت (Liebaert) يعتقدان بأن تعاليم الأسقف الطرسوسى إنما هى من نوع الكلمة – جسد أو على الأقل أنها تحتوى على جزء من هذا التيار العقائدى وتميل إليه ؛ فمن الضرورى إذن عرض وجهه نظر أخرى لا تتفق مع هذين الكاتبين ، وهى وجهة نظر المفكر سوليفان (Sullivan. sy) ، فإن كان جريلمير وليبرت وآخرون يعتقدون بأن كاهن أنطاكية قد مال فى تعاليمه الكرستولوجية ميلاً خفيفاً إلى عقيدة الكلمة – جسد ، فإن سوليفان يعتقد بأن تعاليم أسقف طرسوس هى من نوع كلمة – إنسان . ولقد تناول بالتحليل فى عرضه لهذه المشكلة آراء جريلمير . فهو يقول بأن جريلمير يقدم لنا فى دراساته لتعاليم ديودوريوس أمرين مهمين :

١ – فالبرغم من أن ديودوريوس كان يرفض بشدة تعاليم أبولوناريوس ، فإننا لا نجد فى الشذرات الباقية من كتاباته إشارات صريحة وواضحة عن وجود روح بشرية للمسيح .

٢ – إن ديودوريوس ينبر كثيراً على حقيقة ناسوت المسيح .. أى على الجسد Flesh[٣٠] .

---

29. Grillmeier. 310.

★ الرجاء دراسة الثلاثة مفاهيم الخاصة بموضوع الكلمة . جسد (أنظر ص ١٤١ – ١٨٦ من هذا المجلد .

30. Francis Sullivan 172 - 182.

ومن هنا يأتى الاختلاف بين جريلمير الذى يعتبر بأن تعاليم ديودوريوس تميل إلى تيار الكلمة – جسد وبين سوليفان (Sullivan) الذى يرى فى تعاليم أسقف طرسوس عقيدة الكلمة – إنسان ويعترف سوليفان بأن ديودوريوس **لا يتكلم كثيراً** عن وجود روح بشرية للمسيح وهو يقول : « فإن كنا لا نجد فى الشذرات المنقولة إلينا إشارات كثيرة تتكلم عن وجودها ، فإننا نجد فى تعاليمه إشارات كثيرة صريحة وواضحة عن حقيقة أن الكلمة أخذ جسداً صار إنساناً كاملاً . ويعتقد سوليفان بأن جريلمير أخطأ فى تفسيره عندما قال ما ملخصه : بأنه بالرغم من ميل ديودوريوس الأنطاكى لتقسيم المسيح فقد ظل متمسكاً بعقيدة الكلمة – جسد (Word-Flesh) ، وأن تعاليم ديودوريوس تختلف عن تعاليم تليمذه ثيودوريوس الموبسيوستى إذ أن الأول تبنى عقيدة الكلمة – جسد ، وأما الثانى فقد علّم بعقيدة الكلمة – إنسان . ويواصل الكاتب شرحه بالقول ، بأن جريلمييّر قد أشار إلى عدة فقرات من كتابات ديودوريوس التى يتكلم فيها عن ناسوت المسيح كما لو كان الجسد . ثم ذكر حوالى عشر إشارات أو إقتباسات حيث تكلم ديودوريوس فيها عن الفرق بين الكلمة والجسد . ويعلق الكاتب بالقول ، بأن الأمر الذى غاب عن بال جريلميير هو أن ديودوريوس يذكر أكثر من ١٢ مرة ناسوت المسيح بعبارات إنطاكية بحتة ، مثل ابن داود ، المولود من مريم والإنسان .. وعندما نرجع إلى الشذرات العقائدية الباقية لدينا ، فإننا نجده يردد عبارة « ناسوت المسيح » ، « الإنسان » حوالى ١٨ مرة . كما أنه يتكلم عنه كأبن داود أو الذى من ذرية داود أو الإنسان حوالى ١٤ مرة . وعندما حاول أن يميز أو يفرّق بين الكلمة وبين ابن مريم . فقد إستعمل بعض الألقاب الآتية : الكلمة ، ابن مريم ، أو المولود من مريم حوالى ٣١ مرة . كما أنه استعمل أيضاً عبارة الكلمة – إنسان أكثر من أربع مرات . ويقول سوليفان ، عندما نرى ديودوريوس يتكلم عن الكلمة – إنسان (Word-Man) الكلمة الذى « أخذ » إنساناً كاملاً وهذا الإنسان هو ابن داود أو ابن مريم ، فإنه يصبح من الصعب الاعتقاد بأن أسقف طرسوس كان يعلم بأن الاتحاد قد تمّ بين الكلمة وبين الجسد ، وليس بين الكلمة والإنسان[٣١] يعنى بأن الوحدة تمت بين اللوغوس وبين الإنسان يسوع .

وهنا نتساءل مع الكاتب ؛ إذا كان ديودوريوس يؤمن فعلاً بعقيدة اللوغوس – إنسان ، لماذا إستعمل إذن فى بعض الأحيان عبارة الكلمة – جسد وعبارات أخرى يشتم منها رائحة الرفض لعقيدة وجود روح بشرية فى المسيح ؟ وهى العبارات التى إستند عليها جريلميير لكى يثبت أن أسقف طرسوس علّم بعقيدة الكلمة – جسد . ويحاول سوليفان أن يجاوب على هذا الاعتراض بالقول ، بأن ديودوريوس إستعمل بعض العبارات مثل كلمة – جسد . لأن الاصطلاحات التى يستعملها كانت إصطلاحات تعد فى مرحلة

31. F. Sullivan 182 - 184.

إنتقالية بين الاستعمال التقليدى لعبارة كلمة – جسد وبين الاصطلاح الأنطاكى كلمة – إنسان . وأن استخدامه لعبارة الكلمة – جسد لا يدل على أنه كان يؤمن أن ناسوت المسيح هو عبارة عن الجسد ، والجسد فقط . فإن العبارات والاصطلاحات التى استخدمها فى شرحه لشخص المسيح ، والتى أشرنا إليها سابقاً ، هى خير برهان على أنه كان يؤمن بأن الشخص الذى حلّ فيه الكلمة لم يكن مجرد جسد (Flesh) بل كان إنساناً حقيقياً وكاملاً[٣٢] .

إننا نتفق تماماً فى هذه النقطة ، مع سوليفان بأن ديودوريوس قد إستعمل فعلاً بعض الاصطلاحات التى تدل على أن الكلمة قد أخذ جسداً أو حلّ فى جسد ، وهذا لا يعنى بأنه كان يقبل عقيدة الكلمة – جسد ، بل لأنه كان يمرّ فى مرحلة إنتقالية . ولذلك فقد إستعمل بعض الاصطلاحات التى كانت تستخدمها المدرستان ، على أنه كان يؤمن بعقيدة اللوغوس – إنسان .

على أنه يوجد أمر آخر لا يقل أهمية وهو أن أسقف طرسوس كان متأثراً ، كما سبق الإشارة إلى ذلك ، بتعاليم الإسكندرية . فمع أنه لم يقبل تيار الكلمة – جسد فى كل أبعاده التعليمية ، فإنه إستعمل فى بعض الأحيان هذا الاصطلاح لأنه كان مألوفاً لديه وللآخرين أيضاً . وإننا نتفق أيضاً مع سوليفان على أنه بالرغم من إستعماله لبعض الاصطلاحات الكرستولوجية التى إستعملها أتباع عقيدة كلمة – جسد ؛ فإنه يعتبر من القادة والمعلمين الذين نادوا وشددّوا على عقيدة **الكلمة – إنسان** . إذ قد علّم بأن الكلمة ، ابن الله قد حلّ فى الإنسان يسوع ، ابن داود ابن مريم .

مفهوم ديودوريوس عن شخص الرب يسوع المسيح

إذا أردنا أن ندرك جيّداً تعاليم أسقف طرسوس يجب أن لا يغيب عن بالنا ما قد سبق أن أشرنا إليه بخصوص تاريخ حياته . فقد كان فى بداية الأمر علمانيا نشيطاً فى كنيسته فى انطاكيا[٣٣] ثم صار بعد ذلك راهباً ثم كاهناً فى نفس المدينة . وبعد ذلك نُصِب أسقفاً لمدينة طرسوس . وفى أثناء هذه المراحل المختلفة من حياته كان يحارب فى جبهتين ، فقد قاوم الأريوسية والأبولوناريوسية . كما قاوم الامبراطور يوليانوس المرتد دون أن يخشى غضب الملك أو ثورته ،أما عن تعاليم أبولوناريوس فالمسيح الذى يقدمه أسقف طرسوس يختلف كثيراً عن مسيح الأسقف أبولوناريوس ، الذى ركّز إهتمامه على وحدة المسيح ، لدرجة أن الدارس لكتاباته ، لا يكاد يرى فى بعض الأحيان ، إلا اللاهوت ، اللوغوس ،

32. F. Sullivan 184 - 185.

33. H. Marrou 383.

ابن الله ، أما الناسوت فلا يظهر إلا بصورة باهتة وغير واضحة . لأنه لا يوجد إلا جسد يحركه اللوغوس الكلمة .

أما عن أسقف طرسوس فقد حاول أن يميز بين الطبيعتين : أو بالمعنى الأصح بين ابن الله أو اللوغوس أو الكلمة وبين ابن داود أو ابن الإنسان أو ابن مريم . فهو يرفض عقيدة أسقف لاودكية القائلة بأن الكلمة حلّ فى جسد واصبح طبيعة واحدة . وفى حقيقة الأمر إن موضوع وجود روح بشرية فى المسيح أو عدم وجودها لم يكن شغله الشاغل ، بل أنه أراد أولاً وقبل كل شيء أن يقدم المسيح كابن الله وفى الوقت نفسه كأبن داود .

(١) تعاليم ديودوريوس الثنائية (عن الطبيعتين)

La Christologie Dualiste de Diodore

مما لا شك فيه أن الصورة التى قدمها أبولوناريوس عن المسيح ، هى صورة ناقصة : فهو مسيح بدون روح بشرية . أما أسقف طرسوس الذى رفض بشدة تعاليم أبولوناريوس عن الطبيعة الواحدة ، فقد حاول أن يثبت أن الإتحاد أو التجسد تم بين كلمة الله أو اللوغوس وبين الإنسان يسوع الناصرى ، أو ابن مريم . وبما أنه رفض تعليم الطبيعة الواحدة فقد نبّر بشدة على التمييز بين اللوغوس أو الكلمة المتجسد وبين الإنسان أو ابن داود أو ابن مريم . ولكى يدحض هرطقة أبولوناريوس عن الطبيعة الواحدة حاول أن يقدم لنا صورة للمسيح مميزاً ابن الله عن ابن مريم . فمن هو إذن ابن الله ، ومن هو ابن داود أو ابن مريم فى مفهومه ؟

يعتقد ديودوريوس بأن اللوغوس أو الكلمة قد اتحد بإنسان كامل فى تكوينه . أو بعبارة أخرى : إن الكلمة إتحد بإنسان كامل التكوين وسكن فيه[٣٤] . والذى يدرس الشذرات التى وصلت إلينا من كتاباته ، يدرك من أول وهلة صورة الطبيعتين التى يريد أن يقدمها لنا عن شخص المسيح . ففى المسيح يوجد ابن الله أو الكلمة ثم ابن داود أو ابن مريم ؛ الله – الإنسان . ولكى يّفرق أو بالمعنى الأصح لكى يميّز بين ابن الله وابن داود ، فإنه لا يقبل بأى حال من الأحوال أن يقال عن الكلمة أنه ابن داود أو ابن مريم . فهو يعتقد أن هذا اللقب لا يطبّق ولا يطلق إلا على ابن داود فقط ، وليس على اللاهوت أو اللوغوس[٣٥] . بل إنه يعتبر إنه من التجديف والحماقة أن نقول عن ابن داود أنه خالق الكون أو أنه موجود قبل داود[٣٦] وكيف يمكن لإنسان أن يوجد قبل أن توجد السماء

34. F. Sullivan 184 - 185.

35. Cyrl. Fragment 5 P.G. 76, 1440.

36. Traduction Brière Frag. 4, 161.

والأرض ؟ وكيف يمكن أيضاً لخالق داود أن يكون ابنا لداود ؟[٣٧] . وفى بعض الكتابات الأخرى المنسوبة إلى هذا الأسقف يعترف بأن الذى ولد من مريم أو من داود هو شخص متميّز ومتفرد عن الكلمة أو الابن الطبيعى لله . كما أنه يعتقد أيضاً بأن الذين يعلمون بأن الذى ولد من مريم أو ابن داود هو الابن الطبيعى لله ، إنما ينادون بوجود ابنين طبيعيين لله . ولهذا السبب فقد علّم ديودوريوس بأن الذى ولد من مريم أو ابن داود هو ابن الله بالتبنى ، وأما الكلمة فهو ابن الله بالطبيعة[٣٨] . وهو هنا يضع حداً فاصلاً بين ابن الله وابن الإنسان ، بين الذى يدعى ابن داود وبين الذى نزل من السماء . فقد حاول إن يبيّن بطريقة واضحة ، أن الكلمة والجسد ظلا متميزين الواحد عن الآخر . وهو يعتقد أن الكتب المقدسة تتكلم بصراحة وبوضوح عن تمييز نشاط الاثنين . لأن الاتحاد الذى تمّ بين الكلمة المُتَجسد والإنسان المُتَجَسد لم ينتج عن مزج أو خلط الكلمة بالجسد . بل عن طريق إتحاد ابن الله بابن الإنسان[٣٩] ، ولكى يبعد فكرة مزج أو خلط الاثنين أو عدم التمييز بين ابن الله وبين ابن الإنسان إضطرّ فى بعض الأحيان إلى التطرف فى الحديث لدرجة فصلهما الواحد عن الآخر . ويعتقد بأن الكتب المقدسة نفسها تقدم لنا الخطوط الواضحة والصريحة التى تفصل بين أنشطة وتصرفات هذين الابنين[٤٠] ، فإن الاتحاد لم يكن نتيجة لذوبان أو مزج الكلمة والجسد واختفاء الواحد وظهور الآخر ، بل أن عملية التجسد هى إتحاد الكلمة المُتجسِد والإنسان المُتجَسد ؛ إتحاد ابن الله مع ابن الإنسان . ولقد ظل كل واحد من هذين الاثنين محتفظاً بشخصيته . فإن ابن الله ظل ابناً لله ، وكذلك ابن الإنسان ظل ابناً للإنسان[٤١] . ولهذا السبب فإن الذى يجدف على ابن الإنسان يغفر له ، وأما الذى يجدف على الروح القدس (الإله) فلن يغفر له . وفى تفسيره لرومية ٨ : ٣٢ « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله ... » . يقول مفسراً فالابن الذى لم يشفق عليه الآب والذى بذله هو ابن الإنسان أو الابن الذى وُلِدَ من مريم وليس ابن الله : فهو يسمى ابن أيضاً[٤٢] .

إن الدارس المدقق لبعض الشذرات التى وصلت إلينا من كتاباته يشعر فى بعض الأحيان كما لو كان أسقف طرسوس يتكلم عن ابنين منفصلين ، وليس عن ابن واحد . والذى قاد معلم أنطاكيا للوصول لهذه النتيجة التى قد يشتم منها رائحة جعل المسيح الواحد مسيحين ؟ هو حماسه فى محاربة الأبولوناريوسية وعقيدة الطبيعة الواحدة المتطرفة،

37. Traduction Brière. Frag. 5.
38. Cyrille. Fr. 5 (P.G. 76, 1440 b.) Voire aussi Sullivan 192 - 195.
39. Briere. Rev. de L'ori. Chri 10 (30) 1946. Kelly 312 - 313.
40. Cyrille Fr 19, 42.
41. .... 20 (ABR Mowski)
42. Briere Frag. 15 (264) Voir Sullivan. 189 - 194.

ومحاولته التمييز بين ابن الله الكلمة ، اللوغوس وبين ابن مريم ، ابن الإنسان . لقد أراد أن يقدم لنا تمييزا واضحاً وصريحاً بين الاثنين . ولكن محاولته فى التمييز بين اللاهوت والناسوت قادته إلى الانزلاق فى فصل ابن الله عن ابن الإنسان . ويقول سوليفان ما ملخصه إن انحرافه إلى بدعة ابنين كان وليد محاولته التمييز بين ابن الله وابن داود . وحتى عندما أراد أن يدافع عن تهمة أنه لا يعلم بوجود ابنين ، فإنه كان فى حقيقة الأمر يدافع عن أنه لا يعلم بوجود ابنين لداود أو ابنين طبيعيين ، بل كان يعتقد بوجود ابن واحد بالطبيعة وآخر بالنعمة : أو عن طريق التبنى(٤٣) .

(٢) التجسد أو السكن — L'Incarnation ou L'Habitation

والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو : ما نوع العلاقة القائمة بين ابن الله — الكلمة اللوغوس — وبين ابن داود ، ابن مريم بحسب المفهوم الديودوريوسى ؟

يمكن أن نستشف من بعض الشذرات التى وصلت إلينا من كتاباته أن العلاقة التى تربط الابنين والتى تمّت فى عملية التجسد هى عبارة عن علاقة الهيكل بالساكن فيه أو علاقة الثوب بلابسه . فإن الله يسكن فى هيكله ولكنه لا يصير بسبب هذه السكنى هيكلاً . ولقد سبق أن رأينا أنه رفض أن ينسب لقب ابن مريم أو ابن داود للكلمة . وفى رفضه نسب هذه الالقاب البشرية إلى الله الكلمة فإنه أنكر أن الكلمة صار فعلاً جسداً . وهذا يرجع إلى حقيقة أنه لم يستطع أن يفهم أن الكلمة يمكن أن يصير جسداً بدون تغيير أو تبديل فى الكلمة أو فى جوهره(٤٤) ، ولهذا السبب فهو يعتقد بأن عملية التجسد هى عبارة عن أن ابن الله أو اللوغوس سكن فى الجسد أو فى ابن مريم أو فى ابن داود ؛ وهذا الأخير صار عن طريق هذه العملية ابن الله بالتبنى أو بالنعمة . وهنا يعترضنا سؤال آخر . ما الفرق بين سكنى الله فى ابن داود وسكناه فى الانبياء ؟ فمع أن ديودوريوس يعتقد بأن سكنى الله فى ابن مريم يفوق كل حدث آخر قد حدث مع الانبياء ، إلا أنه لا يختلف عنه جوهرياً . وعلى ما يحتمل إنه يقصد بعبارة « لا يختلف عنه جوهرياً » بأن عملية السكن أو تجسّد ابن الله فى ابن مريم لم تحّول هذا الأخير إلى طبيعة إلهية . وكما كان الله يسكن فى الانبياء فقد سكن فى ابنه الذى تبناه . على أنه يوجد فرق شاسع بين سكنى الله فى الانبياء وسكناه فى ابنه الذى تبناه . فإن الله كان يرشد أنبياءه ويوحى إليهم إرادته بطريقة غير مستمرة . كما أنه كان يسكن فيهم أيضاً بطريقة متقطعة وغير دائمة . أما سكنى الكلمة فى ابن داود فيختلف عن سكناه فى هؤلاء الانبياء ؛ لأنه الله سكن أو حلّ فيه بكل ملئه وقوته وبطريقة مستمرة . فإن ابن داود قد امتلأ من حكمة ومجد اللوغوس بطريقة كاملة

43. Sullivan 190 - 195, Voir Leontius. Fr 1, C.P.G. 86, 1385) 6a.

44. Cyr. Frag. 3 P.G. 76. 1438 b - 1439 a

وثابتة ومستمرة[٤٥] . ولهذا السبب فهما يستحقان السجود والعبادة .

(٣) لقب أم الله :

ما هو موقف أسقف طرسوس من لقب أم الله ؟

لقد سبق أن أشرنا أن ديودوريوس رفض أن يعطى لقب ابن الله لابن داود فإنه رفض أيضاً بشدة أن يقال عن أم الإنسان يسوع بأنها أم الكلمة أو أم اللوغوس أو أم الله . فهو يعتقد بأن مريم لم تلد إلا ابن داود . فبحسب مفهومه يوجد ميلادان : ميلاد أزلى للكلمة الذى ولد من الآب قبل كل الدهور وميلاد زمنى للكلمة المتجسد . فعلى ما يحتمل فإن ديودوريوس كان يعتقد أن الكلمة الأزلى ولد مرة واحدة من الآب ولقد قام هو نفسه « اللوغوس ببناء الهيكل (الجسد - ساركس) الذى ولد فيه من مريم العذراء »[٤٦] .

ونجد فى عدة إقتباسات من كتاباته . رفضه الصريح والواضح لأمومة مريم للكلمة . فهو يعتقد بأنه لا يليق بأن نعطى هذا اللقب « أم الله » أو أم اللوغوس لإنسان بشرى . فإن مريم ليست هى أم الكلمة أو اللاهوت بل هى أم الإنسان الذى إتحد بالكلمة . فهى إذن أم الإنسان المتأله وليست أم الكلمة الإله المُتَجَسِد[٤٧] .

إن ديودوريوس رفض وحارب بدعة أبولوناريوس التى تدعو إلى قبول عقيدة الطبيعة الواحدة . ولذلك فقد حاول أن يشرح عملية التجسد كعملية إتحاد ابن الله بابن الإنسان . على أن يظل كل واحد من هذين الابنين محتفظاً بخواصه ومميزاته . إذ أراد بتنبيره الشديد على حقيقة وجود ابن الله وابن الإنسان ، أن يلاشى الهرطقة الأبولوناريوسية عن الطبيعة الواحدة المتطرفة وأن يميز ابن الله — اللوغوس عن ابن الإنسان ابن داود .

وعلى ما يحتمل فإن معلم انطاكيا قد رفض قبول تلقيب مريم بلقب والدة الإله لأسباب تعليمية وسياسية . فعندما ترك الدير قام بهجوم عنيف ضد الامبراطور يوليانوس المرتد عن الايمان المسيحى . لأن الامبراطور هاجم بعنف وبشدة المسيحيين والعقائد المسيحية . ومن بين العقائد التى هاجمها الامبراطور فى حملته المسعورة ضد المسيحيين عقيدة الإيمان بلاهوت المسيح ، وكذلك لقب أم الله (ثيوتوكوس) لمريم[٤٨] . ويبدو أن ديودوريوس

---

45. Brière. Rev. de L'ori. Chri. 10 (30) 1946 voir Kelly 313.
46. Cyr. Frag. 2 (PG. 76. 1438d.
47. Cyr. Frag. 3 (P.G. 76. 1438d. Voir Briere 28 (P. 270).
48. A Grillmeier 304.

أراد أن يرد على تهكمات الامبراطور والوثنيين شارحاً لهم بأن مريم ليست أم الله ، ولكنها أم الابن المتبنى بالنعمة : أم الإنسان يسوع الناصرى ، وليست أم الكلمة المُتَجسِد .

هذه هى صورة المسيح التى يمكننا أن نرسمها للقارىء عن تعاليم ديودوريوس من خلال الشذرات التى وصلت إلينا من كتاباته . ومن الضرورى أن نعرف أيضاً بأن معظم هذه الكتابات والشذرات وصلت إلينا عن طريق المعلومات التى سجلها منافسوه .(٤٩) ومع أن هذه الفقرات عبارة عن إقتباسات إقتبسها أعداؤه إلا أننا نقبلها ، لأنها تتفق مع كثير من الاقتباسات الأخرى . فهى تتفق تماماً وتعاليمه ، كما أنها تتفق وتعاليم تلميذه ثيودورويوس الموبسيوستى . وسوف نستعرض تعاليم أسقف موبسيوسته فيما بعد .

كان ديودوريوس يحاول أن يتكلم من وقت لآخر عن الوحدة فى المسيح ولكن تصريحاته الكثيرة التى أراد أن يهدم بها عقيدة الطبيعة الواحدة ونظرية المزج والذوبان بمعنى أن الطبيعة البشرية ذابت فى اللاهوت ولم يبق إلا اللاهوت ، قادته إلى الانفصالية والازدواجية المتطرفة . فقد حاول معلم انطاكيا أن يميز بين ابن الله الكلمة وبين الإنسان يسوع فانزلق إلى فصل ما لا يمكن فصله . وتقسيم ما لا يمكن تقسيمه . لقد مهّد فعلاً — ولو جزئياً — الطريق أمام تلميذه ثيودوريوس ثم نسطوربوس . وكان أول من تنّبه لانحراف تعاليمه هو القديس العظيم كيرلس أسقف الإسكندرية وكتب ضدها . ثم جاء مجمع القسطنطينية الذى عقد فى سنة ٤٩٩ وبحث قضيته وأصدر حكماً ضد تعاليمه . ولكن المجمع الخامس الذى عقد فى القسطنطينية أيضا فى سنة ٥٥٣ اصدر حكماً ببراءته .

(٤) كتاباته :

كتب معلم أنطاكية عدداً كبيراً من الكتب فى فروع شتى . ولكن للأسف الشديد أن الأغلبية الساحقة من هذه الكتب قد فُقدت :

١ – إقتبس فوتيوس (Photius) من ثمانى مجلدات من أعماله التى كتبها ضد الفلكيين ، وعن المصير .

٢ – تذكر مجموعة Cod. 85 ٢٥ كتاباً ضد المانيكيين .

٣ – ونفس المجموعة رقم ١٠٢ (Cod. 102) تشير إلى كتاب عن الروح .

٤ – ثم أن سوداس (Suidas) يذكر كتاباً عن وحدة الله فى الثالوث .

٥ – كتب كتاباً آخر عن اليهود .

---

49. F. Sullivan 197.

٦ - كتب كتاباً عن قيامة الأموات .

٧ - كتاب عن العناية الإلهية .

٨ - كتاب ضد أفلاطون .

٩ - كتاب عن التجسد .

١٠ - كتب كتاباً آخر ولم يتبق لنا منه إلا بعض الاقتباسات القصيرة جداً .

بعض المراجع لدراسة تعاليم ديودوريوس الكرستولوجية

1. L. Abramowski Diodore de Tarse: Dhge 14 (1960 PP. 496 - 504.
2. R. Abramowski. ZNTW 42 (1949) E. Buytaert, «Heritage Litt. D'eusèb» 61 - 96.
3. M. Brière «Fragments Syriaques de Diodore de Tarse Revue de L'orient 10 (30) (1946) 231 - 283.
4. P. Th. Camelot. Hist.... des conciles Oeu.... (2) Ephèse et Chalce doine.
5. A. Grillmeier Le Christ dans La Tradition Chritienne de Lâge Apostolique A Chalcedoine (451) Les Editions du cerf. 303 - 313.
6. M. Jugie, La doctrine Christologique de Diodore de Tarse d'après Les Fragments de ses oeuvres: Euntes Docete 2 (1949) 171 - 191.
7. J. Liebaert. Histoire des Dogmees. L'incarnation 1. des Origines au concile de Chalcedoine 156 - 157.
8. L. Mariès. Etudes Prèliminaires À L'èdition du commentaire de diodore de Tarse. sur les psaumes, Paris 1933.
9. J. Kelly Initiation a La doctrine des Peres de L'eglise. 312, 313.
10. Jean Daniélou et Henri Marrou Nouvelle histoire de L'eglise ..... 382 - 384.
11. R.A. Norris. Manhood and Christ.
12. M. Richard. Les Traités de Cyrille d'alexandrie contre diodore et Theodore et les Frangments dogmatiques de diodore de tarse: Melanges F. Grat 1 (Paris 1946) 99 - 116.
13. Francis A. Sullivan S. J. The Christologie of Theodore of Mopsuestia. Romae. Apud Aedes Universitatis Gregorienae. 1956. 172 - 196.
14. J. Tixeront. Histoire des Dogmes.
15. J. Turmel. Histoire des Dogmes 11 La Trinite L'incarnation La vierge Marie.

5. Fetișov Nicolas. Diodore of Tarsus. Research Essay of eccl..... Hist..... on his life and his activity. Kiev. 1915.

الجـــزء الثـالـث

الفصـــل الأول

التعاليم الكرستولوجية الانطاكية

La Christologie Dualiste Antiochienne

إن الدارس لتاريخ الفكر المسيحى يلاحظ بلا جهد ولا عناء أن الرسل ، والكنيسة فى العصور الأولى حاولوا الإجابة على سؤال المسيح الذى طرحه على تلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » حاول هؤلاء جميعاً فى كل عصر من العصور الإجابة على هذا السؤال . وفى إجابتهم عليه إنقسموا بعضهم على بعض . لأن البعض رأى فى المسيح إنساناً على مثال يوحنا المعمدان أو إيليا أو إرميا أو واحداً من الأنبياء . أما البعض الآخر فقد علّم متمسكاً بقول الرسول العظيم القديس بطرس « أنت هو المسيح ابن الله الحى » . وظهر الاتجاهان الرئيسيان – كما سبق الإشارة – وقد اتبع مفكروا أنطاكية فى تعاليمهم عقيدة الكلمة – إنسان .

وعندما نتكلم عن التعاليم الكرستولوجية الثنائية (La Christologie Dualiste) لهذه الفترة ، لا يمكننا أن ننسى عالماً من علماء أنطاكية (التى أصبحت مركزاً من المراكز الهامة جداً التى نشرت عقيدة الطبيعتين) وهو الأسقف ثيودوروس (أو ثيودريوس أو ثيودور الموبسيوستى) الذى يُعد من أكبر وألمع قادة هذه الحركة التعليمية . وقد سبق أن أشرنا أنه عندما ظهرت الهرطقة الأريوسية ، حاربتها الكنيسة ؛ على أن بعض القادة والمعلمين تطّرف فى دفاعه ضد الأريوسية ؛ مثل الأسقف أبولوناريوس الذى إنزلق إلى هرطقة أخرى فى نضاله ضد الهرطقة الأريوسية . إذ أنه (أبولوناريوس) كان يعتقد ، على العكس من الأريوسيين ، أن الابن موجود منذ الأزل ومن نفس جوهر الآب . وقد حاول الأسقف أبولوناريوس أن يقدم لنا مسيحا معصوماً من كل وصمة وخاليا من الخطية التى تركت أثارها على الجنس البشرى . ولذلك فقد علّم بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ، لأنه كان يعتقد بأن وجودها يسبب الصراع والميل إلى الخطية ، كما أنه علّم

أيضاً بالاتحاد العضوى أو الجسدى المطلق أو الكلى بين الكلمة ابن الله وبين الجسد . وقد نتج عن هذا الاتحاد وجود طبيعة واحدة للابن . وبحسب مفهومه لا توجد إلا طبيعة واحدة : وهى طبيعة اللوغوس المُتَجَسِد . ورفضت الكنيسة هذه التعاليم ورأت فيها هرطقة جديدة . وفى ذلك الوقت الذى بدأت تنتشر فيه التعاليم الأريوسية والهرطقة الأبولوناريوسية ظهرت جماعة من العلماء فى أنطاكية وانكبت على الدرس والبحث . وكرّس أعضاؤها جهدهم وعلمهم بعد ذلك لتفنيد وتحليل العقائد الأريوسية والأبولوناريوسية ورفضهما . ومن أبرز الشخصيات فى هذه الجماعة الأسقف ديودوريوس الطرسوسى ، والأسقف يوحنا فم الذهب ، ثم الأسقف ثيودوريوس الموبسيوستى . وقد لعب هذا الأخير دوراً هاماً جداً فى تاريخ الفكر العقائدى المسيحى . ولهذا السبب فقد لقبه الكثيرون – وخاصة النسطوريون – فيما بعد « بالمفسر » وانقسم العلماء أمام تعاليم وشخصية ثيودوريوس . فاعتبره البعض هرطوقيا ، وأما البعض الآخر فقد رأى فيه أرثوذكسياً متحمساً . فمن هو إذن ثيودوريوس ؟

ثيودوريوس الموبسيوستى
Theodore de Mopsueste

كان ثيودرويوس ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، عَلَماً يشار إليه بالبنان ، وعالماً من علماء كنيسة القرنين الرابع والخامس ، صارت تعاليمه التفسيرية والعقائدية حجة يرجع إليها المتنازعون والمتخالفون ، فأمام تعاليمه ذات الحجة القوية والسلطان الفعال ، كانت تحل معظم مشاكل المتنازعين والمتخالفين عقائدياً وتفسيرياً . فقد حظى هذا الرجل إثناء حياته الرعوية ككاهن ثم كأسقف ، بسلطان عظيم واحترام لائق بأسقف وبعالم قدير محبوب من شعبه وشركائه فى الخدمة من الكهنة والأساقفة . وعندما مات شُيع جثمانه كرجل عظيم وكقائد ممتاز وكأسقف عالم تقى رقد فى سلام الله وعلى رجاء القيامة .

أما بعد موته فقد ثارت بعض التساؤلات والمشاكل حول تعاليمه العقائدية . بدأت هذه التساؤلات التشكيكية حول تعاليم أسقف موبسيوست بعد موته حوالى أربع سنوات . ثم تحولت هذه التساؤلات إلى صراع خفيف ثم إلى هجوم عنيف ، مرّ بفترات جذر ومدّ إستمر إلى سنة ٥٥٣ ، وفى هذه السنة إنعقد مجمع مسكونى وأصدر حرماناً ضد تعاليم أسقف موبسيوست . وهكذا حُرِمت تعاليم المعلم الأنطاكى فى مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٥٥٣ : أى بعد مرور ١٢٥ سنة على وفاته .

هذا المعلم الذى كان حجة فى العلم والتفسير للكنيسة فى كل حياته ، والذى توفى متمتعاً برضى الكنيسة وسلامها إستمرت قضيته تثار من حين لآخر لمدة ١٢٥ سنة ، إلى أن حكم بحرمان تعاليمه ، ويرى فيه الكثيرون من العلماء الآن أسقفا تقيا عالماً ، لا هرطوقاً فهم يرون تعاليمه أرثوذكسية تماما . أما البعض الآخر فيتمسك بحكم مجمع القسطنطينية ويعتبره هرطوقياً . ولهذا فإننا نعتقد أن دراسة تعاليم ثيودوريوس فى غاية الأهمية ، كما يهمنا أيضاً دراسة موقف الذين حكموا عليها وكيف حكموا عليها بالهرطقة . فمع أننا سوف ندرس فى هذا الجزء من الكتاب مفهوم أسقف موبسيوست إلا أننا سنضطر لتأجيل الدخول فى تفاصيل تهمة الهرطقة التى نسبت إليه حتى نصل لتفاصيل كل حقبة ظهرت فيها هذه التهم وكيف ظهرت ؟ وأين ظهرت ؟ ومن الذين أثاروها ؟

وقبل أن نبدأ فى دراسة تعاليم ثيودوريوس الكرستولوجية ولفهمها أيضاً ، يتحتم علينا أن نلقى نظرة سريعة على حياة هذا الرجل .

كتب بعض المؤرخين والعلماء عن أسقف موبسيوست وعن تعاليمه . وعندما نرجع إلى تاريخ هذه الحقبة نجد ثلاثة من المؤرخين المعارضين لثيودوريوس الذين تكلموا عنه فى كتاباتهم وهم : سوز منوسيوس (Sozoméne) ثم سقراط (Socrate) وأخيراً ثيودوروطيوس (Theodoret) ويمكن للدارس لكتابات هؤلاء المؤرخين أن يدرك مع روبرت ديفرس (Robert Devresse) أن ما سجلوه عن ثيودوريوس فى كتاباتهم المختلفة المتنوعة يكمل بعضها بعضاً وهذه الكتابات تعتبر أساساً جوهرياً ووثيقة هامة لدراسة حياة هذا الرجل[1] .

1. Robert Devresse. Essai sur Theodore de Mopsueste. Citadel Vaticano. Bibl.... Apostolica. Vaticana p. 1 - 5.

الفصـــل الثانـــى

١ - طفولته وشبابه

ولد ثيودوريوس فى سنة ٣٥٠ ب م تقريباً فى مدينة انطاكيا مثل معلمه الأسقف ديودوريوس الطرسوسى[٢] وعلى ما يظهر فإن عائلته كانت تحتل فى المدينة مكانة إجتماعية وسياسية ودينية مرموقة تُحسد عليها . لأن والديه كانا يملكان ثروة عظيمة ، ولا نعلم بالضبط ما إذا كان قد نشأ فى عائلة كثيرة العدد أم قليلة العدد . ولكننا نعرف أن بوليكرونيوس (Polychronius) الذى صار فيما بعد أسقفا لمدينة أياموس (Apamee) كان أخا له . كما أن بائنويوس الذى كان يشغل مركزا عظيما ومهما جداً فى مدينة القسطنطينية كان ابن عمه[٣] .

ويبدو ان عائلته كانت شغوفة بالعلم ومولعة بالأدب ولذلك فقد تتلمذ على يد الفيلسوف المتصوف والشهير فى عصره ليبانيوس (Libanius)[٤] لدراسة فن الخطابة والأدب وفى هذه الفترة تعّرف على أحد الطلبة الذى أثر فى ثيودوريوس الفتى المترف بمحبته لسيده وبمثالية حياته بتأثيرات وانطباعات فعّاله قوية صاحبته فى كل حياته ، هذا الطالب هو يوحنا الذى صار فيما بعد أسقفا لمدينة القسطنطينية وواعظها الشهير المفّوه ، والذى كانت عظاته عميقة فى معناها قوية فى تأثيرها لدرجة أنه دعى بيوحنا فم الذهب أو أمير الوعاظ .

---

2. Quasten. J. P. 564

★ توجد طبعة انجليزية واخرى فرنسية ونحن نقتبس من الترجمة الفرنسية وهى الأفضل والأكمل .

3. E. Amann. Dit.... Théo. Cath. t. 15. 235. Devresse P. 1 - 5.

4. Devresse P. 1 - 5 Quasten 564 Amann 235.

٢ - حياته فى الدير

كان تأثير الشاب التقى يوحنا على صديقه ثيودوريوس الغنى ، عميقاً وقويا جداً ، لدرجة أنه زهد فى الحياة العالمية وأحب الخلوة وحياة الرهبنة . ولذلك فقد قرر كلاهما الانخراط فى سلك الحياة الرهبانية وتبعهما فى ذلك صديق ثالث وهو ماكسيموس (Maxime) والذى صار هو أيضا فيما بعد أسقفا لسلوقية الأسورية (Seleucie d'isaurie) ودخل ثلاثتهم ديراً بالقرب من مدينة أنطاكيا كان يشرف عليه كل من كارتّريوس (Carte'rius) وديودوريوس الطرسوسى ، الذى صار فيما بعد أسقفا على طرسوس فى سنة ٣٧٨ ولعب دوراً هاماً جداً فى تاريخ الفكر المسيحى وفى حياة ثيودوريوس[٥] .

عندما بدأ ثيودوريوس حياة الرهبنة على يدى ديودوريوس ، لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره . وكان زاهداً فى الحياة ، حاراً فى الصلاة ، متعمقاً فى الدرس والعلم والبحث وتقصى المعرفة . وبالرغم من جو التنسك والتعبد والدرس فقد مال قلب صديقنا الراهب إلى حب فتاة تدعى هرمون (Hermone)[٦] وتعلق بها تعلقا شديداً . وعندئذ هجر الدير وحياة التقشف والرهبنة . ثم بدأ فى دراسة القانون لكى يصير محاميا ويتزوج من فتاة أحلامه[٧] وعندما سمع صديقه يوحنا بهذا الخبر ، كتب له خطابين[٨] فى غاية القوة والبلاغة ، وكان لهما وقع الصاعقة على نفسية الشاب المرهف الحس ، وعندئذ ترك فتاة أحلامه وزهد ثانية فى العالم وما فيه ، وعاد إلى الدير وحياة التقشف والرهبنة والدرس من جديد .

كان يوحنا سبباً فى عودة هذا الشاب الغنى إلى الدير وإلى حياة النسك والتقشف . ولقد كانت روابط المحبة بين يوحنا وثيقة قوية وعميقة ومخلصة وغير مغرضة . وشهد يوحنا نفسه عن قوة وعمق هذه المحبة التى ظهرت فى المجهود الجبار الذى بذله ثيودوريوس بعد ذلك لكى يرجع صديقه المحبوب يوحنا من نفيه[٩] لقد كانت روابط المحبة التى ربطت بين هذين الرجلين الأنطاكيين عميقة الجذور[١٠] .

رجع الشاب ثيودوريوس إلى الدير بعد هذه الأزمة العاطفية ، ولا نعلم إلا القليل عن هذه السنوات العشر التى قضاها فى الدير (حوالى من سنة ٣٦٩ - ٣٧٨) تحت رقابة

5. Socrate Hist. Eccl. 6.3
6. E. Amann Dic. Theo. Cat. 235. Socrate 6,3
7. Socrate Hist. Eccl. 6:13.
8. .... Sozomene 8.2 quasten 564.
9. L. Patterson. Theodore of Mopsuestia and Modern Thought London 1926. 1 - 5
10. Ad. Theodorum Lapsun Mg 47. 277 - 316.

واشراف المعلم ديودوريوس الأنطاكى[11] ولا بد أنها كانت فترة درس عميق وبحث وتأمل ، إستطاع أن يحصل خلالها على معرفة واسعة فى العلم والتفسير[12] .

٣ - حياته الرعوية

بعد أن قضى ثيودوريوس عدة سنوات كراهب فى دير بالقرب من أنطاكية سيم كاهنا فى سنة ٣٨٣ . ويحتمل أن الذى قام بسيامته هو الأسقف فلافيانوس الذى كان يرأس الحزب الميليتى (Mélétien) فى كنيسة أنطاكية دون أن يشترك فى الصراع الذى كان سببا فى تمزيق ، الكنيسة الكاثوكيكيه فى انطاكية وقسمتها إلى قسمين متنافسين[13] .

وعلى ما يحتمل فإن ثيودوريوس بدأ إنتاجه التفسيرى والعقائدى من ذلك الوقت واستمر إلى آخر حياته . فبعد أن سيم كاهنا اجتذبه أستاذه القديم ديودوريوس أسقف طرسوس لكى يكون كاهنا فى أبروشيته ، وظل فى خدمة تلك الكنيسة من سنة ٣٨٦ - ٣٩٢[14] وهنا يجب ملاحظة الدور التعليمى العقائدى الذى قام به ديودوريوس كرئيس للدير الذى ترّهب فيه هذا الشاب ، وكأسقف لتلك المنطقة حيث كان الكاهن ثيودوريوس تحت رئاسته ورعايته . ولهذا السبب فقد رأى بعض العلماء أن ثيودوريوس هو التلميذ والموصل الحقيقى لتعاليم أسقف طرسوس والعامل النشيط الذى قام بتطويرها ونشرها[15] .

٤ - الأسقف ثيودوريوس

ومن مدينة طرسوس ينتقل ثيودوريوس إلى مدينة مويسيوست فى مقاطعة سِليسى وهى لا تبعد كثيراً عن الأولى ، حيث نُصّب أسقفا لهذه المدينة . وهنا يبدأ مرحلة جديدة فى حياته كأسقف وراع لهذه المدينة . ولقد ظل أسقفا لمدينة موبسيوست لمدة ٣٦ سنة من ٣٩٢ - ٤٢٨ ومات سنة (٤٢٨) وهى نفس السنة التى نُصّب فيها نسطوريوس أسقفا على مدينة القسطنطينية . وتضاربت الأفكار فيما يخص العلاقة بين أسقف مويسيوست وبين نسطوريوس . فإن تيكسرونت (Tixeront) يعتقد بأن نسطوريوس قد نزل ضيفاً على أسقف موبسيوست وهو فى طريقه إلى مدينة القسطنطينية لينُصبّ أسقفا عليها . ويعتقد البعض أن الأسقف الشيخ قد زوّد الأسقف الشاب بعدة وصايا وإرشادات وتعاليم عقائدية . وذهب البعض الآخر إلى أبعد من

11. E. Ammann dic. cat. 235.
12. .... 236.
13. .... 236.
14. E. Amann. D. T. C. 236
15. Danielou et Henri Marron 383 - 385.

ذلك فيما يخص علاقة نسطوريوس بمعلم أنطاكية إذ إنهما (ثيودوريوس ونسطوريوس) من مدينة أنطاكية وإعتقد بأن نسطوريوس كان تلميذا لثيودوريوس فإن هاوارد (F. hayward) يذكر فى كتابه ، بان نسطوريوس كان تلميذاً لأسقف موبسيوست[١٦] على أن كاميلوت (Th. Camelot) يستبعد هذا الأمر فهو يقول « إذا كان نسطوريوس قد وُلِدَ بعد سنه ٣٨١ فإنه من الصعب أن يكون تلميذا لثيودوريوس المويسيوستى الذى كان أسقفا لهذه المدينة فى سنة ٣٩٢[١٧] أما كواستن فيظن بأنه كان فعلا تلميذاً لثيودوريوس* (Quasten.581) وسنعود إلى هذا الموضوع ومناقشته بطريقة مسهبة فى حينه .

ومع أننا نجهل الكثير عن أبروشية موبسيوست إلا أننا نعرف الآن أشياء كثيرة عن أسقفها وعن تعاليمه وعن كتبه . فإن الاكتشافات الحديثة قدمت لنا فى الخمسين سنة الأخيرة ، عدة وثائق هامة جداً تساعد الباحث على تكوين فكرة واضحة ولو جزئيا عن تعاليم ثيودوريوس الكرستولوجية .

كان أسقف موبسيوست ذكيا نشيطا . ولذلك نراه فى المجمع الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٣٩٤ . وقد تركت عظته التى ألقاها فى هذا المجمع إنطباعات عميقة وقوية على الامبراطور ثيودوسيوس نفسه . كما أنه كان شجاعاً وفياً للصداقة . ألم يقف بجانب صديق صباه وزميله فى الخدمة يوحنا فم الذهب ، فى نضاله ونفيه (من سنة ٤٠٤ – ٤٠٧) ؟ ولقد لمع نجمه كمفسر حتى لقب فيما بعد فى الأوساط النسطورية الفارسية بالمفسر الحقيقى أو نور الكنيسة . وأصبحت مؤلفات ثيودوريوس منذ نهاية القرن الخامس ، النصوص الرسمية للمدرسة النسطورية فى نصيب (Nisibe)[١٨] .

كان معلم أنطاكية غزير العلم عميق التفكير واسع الاطلاع والمعرفة . ولذلك فقد أعتبر فى كل حياته المرجع الصحيح الأكيد فى كل ما يخص الأمور العقائدية والتفسيرية والروحية . لذلك إحتلت تعاليمه المكانة الأولى فى الكنيسة لأنها أعتبرت التعاليم الأرثوذكسية ولم تحم حوله فى كل حياته شكوك ولا شبه شكوك . وعندما مات فى سنة ٤٢٨ ودعته الكنيسة كقائد عظيم من قادتها ومعلم كبير من معلميها .

---

16. F. Hayward. les Conciles oecuméniques lib. Artheme Fayard. P. 30 - 37.

17. P.T.H. Camelot. 25.

★ يعتقد R. Greer إن نسطوريوس كان فعلا على علاقة قوية ووثيقة بثيودوريوس .

18. F.X. Murphy. C.S.S.R. - P. Sherwood. O.S.B. Constantinople II Et Constantinople III Ed... de L'orarnte. P. 28.

هذا الرجل عينه الذى حظى فى حياته بسمعة عظيمة وشهرة واسعة كمعلم من المعلمين الأرثوذكسيين الموثوق فى تعاليمهم العقائدية وحججه القوية ، تعرضت تعاليمه هو أيضا لهجوم عنيف ولمناقشات طويلة . على أن هذا الهجوم الذى قام به البعض ضد ثيودوريوس وتعاليمه ، لم يظهر إلا بعد موته كما سبقت الاشارة إلى ذلك . وقد إستمرت الاختلافات والمنازعات حول تعاليمه فترة طويلة وأدت فى نهاية الامر لإصدار حكم ضد ثيودوريوس وضد تعاليمه . على أن هذا الحكم لم يصدر إلا بعد مرور ١٢٥ سنة على وفاته .

٥ – مؤلفاته

فى عرضنا لتاريخ الفكر المسيحى نحاول أن لا نطيل فى الحديث عن كل كتابات الكتّاب والمعلمين ، خوفا من الأطالة والابتعاد عن الموضوع . على أنه ليس من السهل تطبيق هذه القاعدة هنا عندما نتكلم عن المؤلفات التى تركها لنا اسقف موبسيوست ، لأنه يعتبر من أشهر المعلمين فى مدرسة أنطاكية . فقد تتلمذ على يدىّ المعلم ديودوريوس الأنطاكى .ويحتمل أنه قام بعده بنشر طريقته وأسلوبه فى التفسير وفى العقائد . وكانت طريقته فى التفسير مركزة على التاريخ والفاسفة واللغة والنقد الأدبى ، رافضا الطريقة المجازية التى كانت تتبعها كنيسة الاسكندرية . وقد كان أسقف موبسيوست واسع العلم عميق التفكير ، جاداً صبوراً فى أبحاثه وكتاباته . وهذا يظهر من الشذرات التى وصلت إلينا والتى تظهر ضخامة وكثرة المؤلفات التى قام بتأليفها . فقد كتب كتبا تفسيرية للكتاب المقدس كله تقريبا . واتبع فى تفسيره المنهج العلمى واللغوى والنقد الأدبى التاريخى ويمكننا أن ندعوه بالمفسر « المعاصر » . كما أنه كتب أيضا الكثير فى مجال العقائد لكى يعالج بعض المشاكل العقائدية (اللاهوتية) التى كانت تتعرض لها كنائس عصره[١٩] ولكن للأسف الشديد تعرض البعض من هذه المؤلفات الكثيره الضخمة للحرق والبعض الآخر للإخفاء اثر الحكم عليها بالهرطقه . فمنذ حوالى ١٤ قرنا إتفق الشرق مع الغرب على وضع ثيودوريوس وكتاباته فى قائمة الكتابة الهرطوقية[٢٠] ولهذا السبب فقد اختفت معظم كتبه فلم يتبق لنا من كتاباته الكثيرة إلا شذرات ومقتطفات وكتب قليلة جداً . والسؤال الذى يجب أن نسأله هو : إذا كانت الأغلبية الساحقة من كتبه قد إختفت وضاعت ، فكيف نعرف أنه كتب تفسيرا كاملاً تقريبا للعهد الجديد وبعض الكتب التعليمية ؟ .

19. Quasten Vol. 3. P. 565.

20. R. Devresse I - 5.

وقبل أن نحاول الأجابة على هذا السؤال نريد أن نلفت نظر الدارس إلى نقطة هامة : وهى أن القرار الذى صدر فى مجمع القسطنطينية سنة ٥٥٣ ضد ثيودوريوس وتعاليمه كان له رد فعل قوى ومؤثر على إختفاء كتاباته . ومن هذا الوقت قلّ الاهتمام بدراسة كتاباته القليلة الباقية . ولكن فجأة تغير هذا الموقف . ففى سنة ١٩٣٢ اكتشفت نصوص سريانية لبعض عظاته التعليمية والتى تدعى Les Homélies Cathéchétique De Théodore De Mopsuestc وقام بنشرها باللغة الانجليزية[٢١] . منجانا (A. Mingana) كما أنها تُرجمت ونُشِرت أيضا باللغة الفرنسية بفضل العالمين د . تونو ود . دفرس R. Tonneau Et R. Devresse وستكون لنا الفرصة فيما بعد للرجوع إلى هذه العظات التعليمية والتى كان لاكتشافها وترجمتها أثر فعّال فى تغيير الاتجاه ولو جزئيا فى الحكم على تعاليم الأسقف الموبسيوستى . وهنا وللمرة الأولى كما يقول ف . أ سيولفن (F.A. Sullivan) إستطاع العلماء الحصول على نص كامل من تعاليم ثيودوريوس[٢٢] إن كل ما كان يملكه العلماء قبل اكتشاف ١٩٣٢ هو بعض الاقتباسات من تعاليمه التى أقتُبِست فى مجمع القسطنطينية . ثم بعض الكتابات القليلة المبعثرة هنا وهناك . وهذه الكتابات لا تسمح لنا بأن نصدر حكما عادلا على تعاليمه .

ومما لا شك فيه أن هذا الاكتشاف كان سببا هاما وعاملا قويا دفع العلماء إلى البحث والدرس لتعاليم ثيودوريوس على أنه لم يكن العامل الوحيد والأول الذى أيقظ العلماء من غفلتهم وفتح عيونهم لدراسة ومناقشة تعاليم الموبسيوستى ، وإلا لاجحفنا حق العلماء السابقين والناشرين الذين حاولوا فهم وشرح تعاليمه رغم عدم توافر النصوص والامكانيات أمثال هـ . كهن (H.Kihn) سنة ١٨٨٠ ثم سويت (H.B Swete) ١٨٨٠ – ١٨٨٢ ثم ف نو (F. NAU) فى سنة ١٩١٣ وفوسته (Vosté) فى سنة ١٩٢٥ وأخيرا ديفرس (Devresse) سنة ١٩٣٠ .

لقد حاول هؤلاء وآخرون أيضا فهم وتفسير تعاليم أسقف موبسيوست على قدر الإمكانيات والنصوص التى كانوا يمتلكونها : أو كان فى امكانهم الاطلاع عليها . ولكن إكتشاف سنة ١٩٣٢ فتح أمام العلماء بابا جديداً فعكفوا على دراسة هذا النص وتحليله . ويقدم لنا العالم أمان (E.Amann) تحليلا مطولا مفصلا ، يحاول فيه تبرئة اسقف موبسيوست من الهرطقة[٢٣] فعندما ظهرت مقالة آمان فى سنة ١٩٣٤ كتب ضده العالم م جيجى (M.Yugie) مقالا ظهر فى سنة ١٩٣٥ يبّين فيه هرطقه ثيودوريوس . وعلى أثر

---

21. A. Mingana. Commentary of Theodore of Mopsuestia. on the Nicene creed (wood brooke studies 5) Cambridge 1932.

22. F. A. Sullivan. The christologie of Theo. of Mop.

23. E. Amann. D.T.C 235 - 278.

هذين المقالين كتب عدد من العلماء بعض المقالات والكتب لمعالجة نفس الموضوع : أمثال ديفرس فى سنة ١٩٣٩ . ولقد قدم هذا الأخير - بالتعاون مع تونو (Tonneav) فى سنة ١٩٤٩ بحثا هاما فى نفس الموضوع . وفى سنة ١٩٥٦ كتب سيولفن كتابه عن مفهوم ثيودوريوس الكرستولوجى . ولا ننسى كتاب اناستوس (Anastos) الذى صدر فى سنة ١٩٥١ ثم كتب ك . مكنامارد (K. Mcnamard) مقالا عن نفس الموضوع فى سنة ١٩٥٢ . ويعوزنا الوقت لو حاولنا أن نذكر كل الذين كتبوا عن تعاليم هذا المعلم لكثرتهم* .

ولنرجع الآن إلى السؤال الذى تركناه معلقا حتى الآن وهو : إذا كانت الأغلبية الساحقة من كتبه قد إختفت وضاعت كيف نعرف بانه كتب تفسيرا كاملا تقريبا للعهد القديم والجديد وبعض الكتب العقائدية ؟

بعض المصادر :

١ - المصدر الأول : لم تستطع أيدى الذين أحرقوا وأتلفوا كتبه أن تلاشيها كلها من الوجود . فهذه البقية القليلة جداً التى أفلتت من أيدى المتلفين ، تشير إلى عدد لا بأس به من الكتب المفقودة . إن أعداء وأصدقاء أسقف لوبسيوست قدموا لنا خدمة عظيمة فعندما حاول اعداؤه تفنيد تعاليمه ورفضها رجعوا إلى كتاباته واقتبسوها . كما رجع أصدقاؤه إلى كتاباته واقتبسوها لرفض إدعاء الذين رفضوها وهاجموها . وبهذه الطريقة تركوا لنا عدداً كبيراً من الاقتباسات التى ظهرت منذ القرن الخامس . وقد إحتفظ لنا البعض بعدة أجزاء مطوّلة أو موجزة من مؤلفاته . كما إحتفظ البعض الآخر بعدة إقتباسات فقط . على أن البعض حاول عمل قائمة لكل مؤلفاته أو لجزء منها . أمثال كيرلس الاسكندرى وفاكوندوس (Facundus) وليونس البيرنطى وخاصة المجموعة التى تدعى Constitutum de la collectio dans le corpus de vienne. T. 35 à 230 .

كما أن إقتباسات فوتيوس (Photius) تعد أيضا من المصادر الهامة . لقد ترك هؤلاء وآخرون ما يمكن بأن نسميه المصدر الاول الذى يعطى لنا فكرة عن مؤلفات ثيودوريوس الموبسيوستى .

٢ - المصدر الثانى :

حاول نسطوريّان القيام بعمل قائمة شاملة لكتب ثيودوريوس وهما :

---

* للتوسع فى دراسة هذا الموضوع يرجع الى المراجع الاتية : -
J. quasten 564 - 594, A Grillmeier 390 - 413. J. Liebaert 165 - 169 E. Amann. D.T.C. 235 - 278.

١ – كاتب مجهول ليوميات سرت (Le, Chroniqueur de seert) وكانت تظهر هذه النشرة باللغة العربية وقام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية الأسقف ديب[٢٤] ومن الصعب تحديد تاريخ صحيح لهذه اليوميات ويحتمل أنها ترجع إلى القرن الثالث عشر .

٢ – وأما المصدر الثانى فهو قائمة قام بعملها الأسقف النسطورى الذى يدعى عبد يسوع (Ebed Yesu) فى بداية القرن الرابع عشر (سنة ١٣١٨) ونص القائمة موجود فى : Y: S Assemani. bib... Orientalis. T. 3A, P. 30. 59 .

٣ – المصدر الثالث

موسوعة مين (Migne) « اللاهوتية » التى ظهرت فى القرن التاسع عشر وتحتوى على كثير من الشذرات من كتابات ثيودوريوس . على أن هذه الموسوعة لا تتضمن إلا بعض المقتطفات اللاتينية واليونانية والتى جُمعت فى القرن التاسع عشر وتحتوى على نصوص كثيرة ابوكريفية . ولكن أفضل قائمة لكتب أسقف موبسيوست هى القائمة التى قام بعملها الأسقف النسطورى فى القرن الرابع عشر . ومع أنه يوجد إختلاف طفيف جداً بين هذه القوائم الخاصة بكتابات الموبسيوستى ، إلا انها تذكر بصفة عامة وشاملة الكتب التفسيرية التى كتبها عن الكتاب المقدس كله تقريبا . كما إنها تشير إيضا إلى أعماله العقائدية ومن أهم هذه المصنفات العقائدية ، عظاته التعليمية التى سبق وأشرنا إليها ومعظم هذه المصادر تذكر كتابه الذى يدعى « التجسد » (De incarnatione) وهو الكتاب الذى اقتبس منه الكثيرون بدرجة تفوق التصور ، فهو أكثر كتبه إقتباسا . فإن الذين يؤيدون تعاليمه الكرستولوجية والذين يرفضونها يرجعون إلى هذا الكتاب ، لانه يعتبر من أهم الكتب العقائدية الكرستولوجية التى كتبها أسقف موبسيوست ، بل إنه يمكن القول مع كواستن أنه من أهم ما قد أنتجته مدرسة أنطاكية فى هذا المجال (الكرستولوجى) وكاد هذا الكتاب أن يصل إلى ما وصلت إليه عظات الموبسيوستى ؛ عندما إكتشفه أسقف سرت (Seert)* الكلدانى الذى يدعى عادّى شير (Addai Scher) فى سنة ١٩٠٥ باللغة السريانية . ولكن لسوء الحظ لم يستطع هذا النص الوصول إلى الطبع لكى يرى نور الشمس ، فلقد فُقِدَ اثناء الحرب العالمية الأولى . فلا نملك حالياً منه إلا بعض الشذرات اليونانية واللاتينية والسريانية فهل يوجد أمل أن نعثر مرة ثانية على هذه التحفة العقائدية المفقودة ؟!!!

---

24. E. Amann 235 - 238 J. quasten 576, Amann 242.

* إن مقاطعه Seert = Kurdistan توجد على الحدود التركية الايرانية الروسية .

إن بعض الذين إحتفظوا بالاجزاء الموجودة حاليا من هذا الكتاب هم أصدقاء أسقف موبسيوست الذين تمسكوا بتعاليمه ، ثم أعداؤه أيضا الذين أرادوا مهاجمة تعاليمه . ومن بين الذين إحتفظوا ببعض الاجزاء من كتابات ثيودوريوس نذكر ليونس البيزنطى (Léonce, de byzance,) فقد إحتوت كتاباته على حوالى ٢٩ إقتباسا . على أن العالمين م . ريشارد M. Richard ثم ر . ديفرس R. Devresse قد إكتشفا بعض العبارات الدخيلة على تعاليم ثيودوريوس . فمن اللازم إذن دراسة النص الموجود حاليا فى موسوعة مين (Migne) وتنقيته من الدخائل الغريبة على النص الأصلى . ويعتقد كواستن أن أسقف موبسيوست كتب هذا الكتاب الشهير عن التجسد قبل أن يصير اسقفاً لمدينة موبسيوست أى قبل سنة ٣٩٢ . وكان يهدف من كتابة هذه الكتب هدم الأريوسية ثم مهاجمة أفكار انوميوس (Eunome) وتعاليم ابولوناريوس ولنلقى الآن نظرة سريعة جداً على مؤلفاته .

١ – تفسير العهد القديم

أ – تفسير المزامير (من مزمور ١ – ٨٠)

كان هذا التفسير باكورة أعماله . وقد بدأ فى كتابته وهو لم يتجاوز العشرين من عمره . ولقد أعلن أسفه فيما بعد معترفا أن هذه الباكورة لم تكن ناضجة كل النضوج (كواستن الترجمة الفرنسية ٥٦٨) ويشتمل هذا التفسير خمسة مجلدات كما يعرفنا بذلك عبد يسوع (كواستن ٥٦٨ Quasten) وهى باقية حتى الآن ويرجع الفضل إلى ديفرس فى نشرها .

ب – الانبياء الصغار

يأتى تفسيره لكتب الانبياء الصغار تاليا من الناحية الزمنية ، لانه بدأ فى كتابته بعد سفر المزامير مباشرة . ولحسن الحظ فقد وصل الينا هذا التفسير كاملا ، ولم تستطع أيدى العابثين أن تفتك به ، كما فعلت بالكثير جداً من كتاباته . وقد أشار إلى هذا التفسير كل من « عبد يسوع » ومؤرخ بوميات سرت (كواستن الترجمة الفرنسية ٥٦٩) .

جـ – سفر التكوين

يعرفنا فوتيوس (Photius) بأن كتابه الأول لتفسير سفر التكوين يحتوى على سبعة فصول أو أجزاء (انظر Photius Bibl. Cod., 38) كما أن عبد يسوع ذكر هذا التفسير . أما مؤرخ يوميات سرت فينسب إلى الأسقف الأنطاكى تفسيراً للخمسة الاسفار الاولى فى ثلاثة مجلدات (كواستن ص ٥٦٦) وبقى من تفسيره لسفر التكوين

الثلاثة أصحاحات الأولى . كما أن كواستن (ص ٥٦٧) يشير إلى بعض الاقتباسات من كتاباته لتفسير الكتب الثمانية الأولى للعهد القديم .

د – كتب تفسيرا لسفر القضاة فى مجلد واحد ، وتفسيرا لكتابى صموئيل فى مجلد واحد أيضا . كما أنه كتب مجلدين لشرح سفر أيوب واهداه إلى القديس كيرلس أسقف الاسكندرية فى حوالى سنة ٤١٧ . كما أنه شرح سفر الجامعة فى مجلد وسفر نشيد الانشاد فى مجلد واحد .

هـ – الانبياء الكبار

كتب كتاب تفسير لكل نبى من الأنبياء الكبار (اشعيا ، إرميا ، جزقيال ، دانيال) ولم يتبق لنا من هذه الكتب إلا إقتباسات قصيرة .

٢ – العهد الجديد

يذكر « عبد يسوع » فى قائمته أن ثيودوريوس كتب أيضا تفسيرا للعهد الجديد .

أ – إنجيل متى

كتب شرحاً لإنجيل القديس متى ولدينا عدة إقتباسات من هذا التفسير . كما أنه كتب أيضا تفسيرا لانجيلى القديس مرقس ولوقا . ولا ننسى تفسيره لأعمال الرسل الذى اقتبسه المجمع الخامس : فقد اقتبس المجمع تفسيره لاعمال ٢ : ٣٨ .

ب – إنجيل القديس يوحنا

إن إكتشاف تفسير انجيل القديس يوحنا يعتبر من أعظم الاكتشافات التى أُكتُشِفت فيما يخص اعمال ثيودوريوس التفسيرية للعهد الجديد . ومما لا شك فيه أن هذا الاكتشاف له أهمية كبرى ليس فقط من الناحية التفسيرية ، بل من الناحية العقائدية أيضا .

وقد وصل إلينا هذا السفر كاملا فى اللغة السريانية ونشره فى فوسته (Voste) فى سنة ١٩٤٠ مع ترجمة لاتينية . على أن ديفرس يعتقد بأن ثلث هذا المجلد ايوكريفى (كواستن ص ٥٧١) .

جـ – رسائل الرسول بولس

قام بشرح العشر رسائل البولسية الصغيرة وأن إقتباسات بعض الكّتاب لهذه التفاسير

تشهد بذلك . كما أنه كتب أيضا تفسيراً لرسائل بولس الاربع (رومية ، كورنثوس الاولى والثانية ، ثم الرسالة إلى « العبرانيين ») وتوجد شذرات واقتباسات كثيرة من تفاسيره لهذه الرسائل .

٣ – كتب عقائدية وكتب لوترجيه وتهذيبية

أ – كتاب التجسد (De incarnatione)

إن هذه المجموعة من الكتب ، تعد من أهم الكتب العقائدية التى انتجتها مدرسة أنطاكية . فان كانت مؤلفات ثيودوريوس قد انتشرت وصارت معروفة فى عصره وبعد موته ؛ فان كتبه عن التجسد إحتلت المكانة الأولى ، لأن جمهور عصره وبعد موته انكب عليها اطلاعا واقتباسا بشكل لا يمكن مقارنته بكتبه الأخرى . ولقد كتب كاهن انطاكيا هذه الكتب قبل أن يصير اسقفا . وهاجم فيها تعاليم أريوس وانوميوس وابولوناريوس محاولا إثبات حقيقة أن المسيح له طبيعة بشرية كاملة وطبيعة إلهية كاملة وسنتناول فيما بعد هذا الموضوع . ويذكر جناد (Gennade De, Vir. Ill..12) بأن هذا العمل الضخم يحتوى على خمسة عشر كتابا . وقد تحدث عنه الكثيرون* واما فوتيوس فيقول بأنه يحتوى على ٢٥ كتابا (Amann. 239 - 240) وتوجد إقتباسات كثيرة باقية من هذه المجموعة حتى الآن .

ب – عظات تعليمية (Homélies catéchetiques)

إن مورخ يوميات سرت و« عبد يسوع » يذكران فى قائمتيهما هذه العظات التعليمية . وأن هذا المؤرخ المجهول يقول لقد ترك (ثيودوريوس شرحا لقانون إيمان الثلثمائة وثمانية عشر أبا : ويقصد بأن ثيودوسيوس ترك شرحا لقانون الايمان النيقوى الذى وافق عليه المجمع المكّون من ٣١٨ أب فى نيقيه* وتحتوى هذه المجموعة من العظات على ١٦ عظة ويمكن تقسيمها إلى : –

---

* انظر كواستن Quasten صفحة ٥٧٦ الترجمة الفرنسية وصفحة ٤١٠ فى الطبعة الانجليزية ، ونحن نفضل الاولى الفرنسية) لانها تحتوى على ٥٠٠ اقتباس ومرجع غير موجودة فى الطبعة الانجليزية .

* تبدأ هذه المجموعة من العظات التعليمية بقانون إيمان خاص بالعماد ؛ ويشير إلى قانون الإيمان هذا ، كما لو كان هو نفس القانون النيقوى الذى إتفق عليه الآباء فى سنة ٣٢٥ . وفى حقيقية الأمر ، فإن

١ - العشر عظات الأولى تشرح قانون الايمان النيقوى . وفى شرحه يتناول نقاطا عقائدية فى غاية الأهمية .

٢ - الست عظات الأخرى تتكلم عن صلاة الرب ، ثم عن نظام العماد وعن الأفخارستيا (العشاء الربانى)

وعلى ما يبدو فإن كاهن أنطاكية ألقى هذه العظات لكى يعُد بها روحيا الذين كانوا سينضمون إلى عضوية الكنيسة بعد عمادهم ، عندما كان راعيا وقبل أن يصير اسقفاً : أى فى الفترة ما بين سنة ٣٨٨ - ٣٩٢ . على أن ليتزمان (Lietzmann) يعتقد بأن هذه العظات القاها الأسقف ثيودوريوس وليس الكاهن ثيودوريوس ، يعنى فى الفترة الواقعة بين ٣٩٢ - ٤٢٨ (كواستن ص ٥٧٤) على أى حال فإن الأمر الاكيد حاليا هو أن الذى ألقى هذه العظات هو ثيودوريوس ، ويحتمل بأنها ترجمت إلى السريانية بعد موته بقليل .

جـ - لاهوت الروح القدس

كتب مصنفا آخرَ عن لاهوت الروح القدس ضد جماعة المكدونيين . ويتكلم عبد يسوع عن كتابين ، بينما مؤرخ يوميات سرت لا يذكر إلا كتابا واحداً .

د - كتب عن النسك والتقشف

على ما يحتمل فإنه كتب ثلاثة كتب عن التقشف والنسك والكمال .

هـ - كتب كتاباً آخر ضد انومبوس كما أنه كتب عدة كتب ضد أبولوناربوس وتعاليمه . ويذكر عُبد يسوع فى قائمته أربعة كتب ضد ابولوناريوس .

ويعوزنا الوقت لو تحدثنا باسهاب عن كل مؤلفات الموبسيوستى ، لأنه كتب عدة كتب أخرى لم نتناولها سواء كانت كتبا تفسيرية أو كتبا تهذيبية أو علمية . كل ما نأسف

= القانون الذى يرجع إليه ثيودوريوس يختلف فى نقاط واضحة عن قانون إيمان سنة ٣٢٥ . كما يجب تمييزه أيضاً عن قانون الإيمان الذى يُدعى نيقية - القسطنطينية . فهو قريب من هذا الأخير أكثر من قربه للقانون النيقوى فى عباراته (٢٦) كما أنه لا يوجد شىء مشترك بين هذا القانون الذى إستعمله ثيودوريوس والقانون الذى تعودنا بان نسميه « قانون إيمان ثيودوريوس » فإن قانون الإيمان الذى يشرحه هنا ، هو القانون النيقوى بعد أن أدخل بعض التعديلات الانطاكية عليه . كما أُضيفت إليه أيضاً بعض المعلومات الخاصة بالروح القدس كما قبلها مجمع القسطنطينية فى سنة ٣٨١ .

له هو أن معظم هذه الكتب قد ضاع – ولم يتبق لنا منها إلا بعض الكتب القليلة ثم بعض الاقتباسات الطويلة أو القصيرة . وكل ما نأمل فيه أن نعثر مستقبلا على بعض هذه الكتب المفقودة ، كما حدث فى إكتشاف عظاته التعليمية أو كتاب التجسد الذى ما كاد يظهر حتى إختفى مرة ثانية . كان ثيودوريوس باحثا وعالما ولكن لكل عالم هفواته* .

* كان ثيودوريوس يعتقد بتفاوت درجات الوحى فى الكتاب المقدس . كما أنه لم يقبل كل اسفاره . فقد رفض سفرى الأخبار وعزرا ونحميا ، كذلك رسالة يعقوب وانتقد الرسائل الجامعة .

الفصـــل الثـالـــث

تعاليمه الكرستولوجية

إعتقد بعض العلماء أن أسقف موبسيوست كان الأب الروحي الحقيقي لنسطوريوس والمتبنى للتعاليم التى نادى بها رئيس أساقفة القسطنطينية . على أن البعض الآخر حاول تبرئته من هذه المسئولية . إن كيرلس نفسه قد إتهمه بالنسطورية وإعتقد بأن أخطاء ثيودوريوس هى نفس الأخطاء الكرستولوجية التى وقع فيها نسطوريوس ، ألم يقسم بحسب تفكيره ، كل منهما شخص المسيح إلى إثنين ؟[1] وأن كل من Tixeront ثم F.Hayward ثم R. Greer وآخرين يؤيدون نظرية وجود علاقة قوية تربط نسطوريوس وثيودوريوس ، لا بل أن العالم م . جيجى (M.Jugie) يرى فى أسقف موبسيوست الأب الروحى الحقيقى للنسطورية . أما العالم آمان (E. Amann) فقد حاول إزاحة هذه التهمة عنه أو على الاقل تخفيفها عن معلم موبسيوست[2] .

وأمام هذه الحيرة وعدم إتفاق العلماء فى إدانة أو تبرئة ثيودوريوس من الهرطقة نسأل الأسئلة الآتية : هل كان ثيودوريوس فعلا أبا للنسطورية قبل ظهور تعاليم نسطوريوس نفسه ؟ وهل النسطورية هرطقة ؟ هل كان ثيودوريوس الاول الذى نادى بتعليم الطبيعتين المتطرفة التى قادت إلى وجود ابنين ومسيحين لله ؟ وهل الاتحاد الذى نادى به هو إتحاد أدبى أو عضوى وجوهرى ؟ وهل علّم بوجود طبيعتين أم طبيعة واحدة ؟ وما هى درجة وكيفية الاتحاد التى ربطت بين هاتين الطبيعتين ؟ وهل هو إتحاد الطبيعتين أو مزجهما .... ؟

---

1. F. Sullivan 15 - 18
2. E. Amann D. T. C. 15 (235 - 278)

وقبل أن نحاول الاجابة على هذه الأسئلة ، يحسن بنا أن نلقى نظرة إلى الوراء على تطور الفكر المسيحى الخاص بشخص المسيح يسوع فى هذه الحقبة حتى نستطيع أن نفهم الجو العقائدى الذى نشأ فيه ثيودوريوس . ولهذا يجب الرجوع إلى سابقيه مثل أريوس وأتباعه ثم استاثيوس الأنطاكى وابولوناريوس وديودوريوس الطرسوسى . فقد سبق أن أشرنا إلى الأحزاب والطوائف والمذاهب العقائدية التى ظهرت بعد مجمع نيقية . وكيف أن أريوس واتباعه قد علموا بعدم وجود روح بشرية فى المسيح كما أنهم انكروا مساواة الابن بالآب فى الجوهر وعدم أزليته . وكان الأسقف استاتيوس من أوائل الذين أدركوا خطورة هذا التعليم : أى إنكار وجود روح بشرية فى المسيح . فمع أنه لم يوفّق كل التوفيق فى بداية هجومه على هذه الهرطقة ، إلا أنه إستطاع فيما بعد أن يلعب دوراً هاماً جداً فى تحديد وتطوير التعاليم العقائدية الانطاكية لدرجة أن البعض إعتقد بأن ثيودوريوس قد تأثر كثيراً بتعاليم الأسقف إستاثيوس وأن أفكار هذا الأخير ومفاهيمه العقائدية الكرستولوجية هى التى ساعدت الراهب ثيودوريوس على أن ينهج هذا المنهج التعليمى وأن يسلك فى هذا الطريق . لانه يوجد تشابه كبير بين تعاليم الاثنين . ولكن الأمر غير الأكيد هو هل إستطاع المعلمان أن يلتقيا ؟ يحتمل بان الراهب الأنطاكى قد اطلع فقط على تعاليمه . نحن نعلم جيّداً بان ثيودوريوس ومعلمه ديودوريوس الطرسوسى قضيا فترة معا فى الدير . وبعد خروجهما من الدير كانا على علاقة طيبة ومستمرة . ولكن الأمر غير الواضح هو علاقته بالاسقف استاثيوس[٣] .

فعلى ما يبدو فإن استاثيوس الانطاكى (Eustathe d'Antioche)قام بحرب عنيفة ضد آريوس والآريوسيه حال ظهور هذه البدعة فى المنطقة . إن أتباع الكاهن الليبى (أريوس) نادوا بتعاليم ضد لاهوت المسيح وضد وجود روح بشربة فى المسيح . ألم يقل أحدهم فى عظه له . « فليجبنا النيقاويون وليشرحوا لنا ، كيف يمكن لذلك الذى كان عرضة للآلام والموت أن يكون مساويا لله الذى فوق كل شيء ولا سلطان للآلام أو الموت عليه[٤] وقد هاجم استاثيوس هذه التعاليم وحاول أن يبرهن كتابيا بان الكلمة الذى تجسد مساو فى الجوهر واللاهوت لله الآب . والشذرات التى وصلت الينا من كتاباته تبيّن بطريقة لا تعرف الشك الاتجاه التمييزى الذى سلكه فى تعليمه : فهو يميز تمييزا كاملا اللاهوت عن الناسوت لدرجة أن الدارس لتعاليمه يشعر كما لو كان يتكلم عن فصل الطبيعتين .. فهو لا يقبل مثلا بان نطبق صفات بشرية مثل الجوع والعطش والآلام والموت على اللاهوت ، كما أنه لا يقبل أيضا بأن نصف الناسوت بصفات اللاهوت . فان الذى ولد وجاع وعطش وفرح ، ثم تألم وصلب ومات ودفن هو يسوع الناصرى . وأن

---

3. F. Sullivan 160 - 165.

4. 30

اللاهوت هو الذى كان يقوم بعمل المعجزات والقوات[٥] من هذا نرى أنه حاول أن يتكلم عن كل طبيعة بطريقة منفردة منعزلة : الكلمة اللوغوس من ناحية ويسوع الناصرى الإنسان من ناحية أخرى . فالكلمة ساكن فى الانسان يسوع الناصرى ، وهذا الأخير هو الهيكل الذى سكن فيه الكلمة (Frag.. 19 : 31) لابل أن الكلمة نفسه هو الذى بنى هذا المعبد أو الهيكل الذى سكن فيه (Frag... 20,35) ويقول استاثيوس بأن عملية سكن الكلمة فى الانسان لم تبدأ عند العماد أو عند الميلاد كما يعتقد البعض ، بل أن هذه العملية بدأت فى بطن مريم عند التجسد . وقد ظل الكلمة ساكنا فيه ، حتى عند الآلام والصلب كان الكلمة ساكنا فى الانسان يسوع الناصرى (Frag ... 30) كان يسوع هو الهيكل أو المعبد وهو الجسد الذى تألم (Frag... 31) فان كان استاثيوس قدم لنا الكلمة والانسان يسوع كالهيكل وساكنه فانه يقدم لنا تشبيها آخر لهذا الوجود المزدوج . فان الناسوت أو الانسان يسوع عبارة عن ثوب والكلمة هو اللابس لهذا الثوب (Frag... 46; 63) . كما أنه استعمل صورة أخرى أو تعبيراً آخر لتمييز الكلمة اللوغوس عن الإنسان يسوع : فالكلمة هو الحامل والإنسان هو المحمول (Fragment 20 , 21 , 23) كما انه استعمل التعبير « الإنسان حمل » الله (Fr. 43 , 42 , 59) .

إن عملية وضع اللاهوت أو الكلمة فى ناحية ، والإنسان يسوع فى ناحية أخرى ، يشعر الدارس كما لو كان استاثيوس يرى فى شخص المسيح موضوعين أو شخصين يسكنان معا ، الواحد جنب الآخر . فهو يستعمل مثلا كلمة يسوع عندما يتكلم عن الإنسان . يسوع الذى تألم والذى مات على الصليب . وهذا الانسان متميز عن الكلمة اللاهوت (Frag...48) فقد إستعمل بعض الاصطلاحات الخاصة عند حديثه عن الكلمة وبعض الاصطلاحات الأخرى عند كلامه عن الناسوت . ومن دراسة هذه الشذرات أو المقتطفات من كتابات الأسقف الانطاكى يمكننا أن نستنتج أنه قد إستعمل بعض العبارات والاصطلاحات والمفاهيم التى استعملها فيما بعد أيضا الراهب ثيودوريوس . الم يستعمل استاثيوس الاصطلاحات الهيكل الحامل والمحمول ، والثوب ولابس الثوب وهى نفس الاصطلاحات التى استعملها فيما بعد ثيودوريوس . وإننا نتفق مع سيولفن عندما يقول بان استاثيوس هو الذى بدأ بالخطوة الأولى نحو ما نسميه بالتعاليم الكرستولوجية الأنطاكية تحت ضغط التعاليم الأريوسية (Sullivan P. 169) .

كان هدف استاثيوس هو مقاومة التعاليم الأريوسية التى أنكرت وجود روح بشرية فى المسيح – كما أنها أنكرت ايضا لاهوته وهنا يظهر شخص آخر قد سبق ان اشرنا إليه وهو الاسقف ايوناريوس ، الذى إعتقد هو ايضا بدوره بأن التعاليم عن الطبيعتين خطرة . على

5. f. Sullivan 165 - 170 Frag. 18, 24. 26 - 28&48.

أنه هاجم أولاً وقبل كل شيء تعاليم أريوس التى أنكرت لاهوت المسيح ، وفى صراعه ضد الحركة الأريوسية إنزلق هو ايضا فى تيار عقيدة الطبيعة الواحدة ، وخلّو المسيح من روح بشرية عاقلة . وعندئذ ظهرت جماعة فى أنطاكية لمقاومة الحركة الاريوسية والابولناريوسية ، وكان على رأس هذه الجماعة كل من ديوروريوس الطرسوسى ويوحنا فم الذهب وثيودوريوس الموبسيوستى .

لقد شعرت هذه الجماعة من الآباء ، وخاصة ديودوريوس وثيودوريوس بأن تعاليم أريوس واتباعه تشكل خطراً عظيماً على لاهوت المسيح ، كما أن تعاليم ابولناربوس واتباعه تمثل هى أيضاً خطراً على ناسوت المسيح . فقامت بمحاربتهما .

لقد أردنا بهذه اللمحة التاريخية العقائدية أن نلخص الأحداث ، حتى نستطيع أن نفهم التيارات التعليمية التى سبقت والتى عاصرت الفترة التى عاش فيها أسقف موبسيوست . ولكى نعرف خطورة هذه التيارات التعليمية التى حاول أن يقاومها . فالمشكلة العظمى التى حاول طوال حياته ان يعالجها بالوعظ والكتابة هى : المشكلة الكرستولوجية . لأنه حاول هو أيضا بدوره ان يجاوب كسابقيه على سؤال المسيح فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » . (مت ١٦ : ١٣) .

فماذا كان جواب ثيودوريوس على هذا السؤال ؟ ماذا رأى فى المسيح ؟ هل رأى إنسانا أم نبياً أم إلها ؟ أم رأى إلها وإنساناً معا ؟

لقد سبق أن درسنا أفكار ابولناريوس وعرفنا بأنه من الصعب فهم تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس دون التعرف على تعاليم ابولناريوس . كما انه من الصعب ايضا فهم أفكار ابولناريوس ان لم ندرس تعاليم اريوس .

ولنحاول الآن دراسة مفهومه الكرستولوجى . يُعد ثيودوريوس الموبسيوستى أحد القادة العظماء فى مدرسة أنطاكية ، ومن الذين إتبعوا نظام الكلمة – إنسان (Verbe - Homme) وهذا يعنى أن الكلمة الازلى قد حلّ فى إنسان كامل : ونعنى بإنسان كامل أى إنسان من روح وجسد . فان الكلمة اتحد بالإنسان يسوع الناصرى . وهذا ما يسمى بعملية الاتحاد الذى تمّ عن طريق التجسد . وهنا نسأل هذا السؤال : كيف تمت عملية الاتحاد هذه ؟ وكيف يمكن أن يتحد الله بإنسان ؟ وما هو نوع هذا الاتحاد ؟

إن المشكلة العظمى التى كانت تشغل بال معلم انطاكيا هى كيف يمكن له أن يهاجم بطريقة فعالّة التعاليم الاريوسية لكى يلاشيها من الوجود ؟ كما أنه هاجم أيضا التعاليم الابولناريوسية التى كانت تنادى بطبيعة واحدة فى المسيح ، الطبيعة الالهية : طبيعة الكلمة : الكلمة الذى حل فى جسد بدون روح . فان الاريوسية تطرفت فى بعض

الاحيان ، فلم تر فى يسوع إلا إنساناً وإنساناً فقط ، كما أن الابولوناريوسية تطرفت هى أيضا فى محاربتها للاريوسية ، فلم تر ، فى بعض الاحيان فى المسيح إلا الطبيعة الألهية ، طبيعية الكلمة . فالأولى (الاريوسية) أنكرت مساواة جوهر الابن بجوهر الاب . والثانية (الابولوناريوسية) أضعفت كثيراً حقيقة ناسوت المسيح بعدم اعترافها بوجود روح بشرية فيه . وقد قام ثيودوريوس بالوعظ والتعليم والكتابة ضد هذين التيارين محاولا أن يبيّن للأريوسيين أن الكلمة الأزلى ابن الله المساوى لله فى الطبيعة وفى الجوهر والموجود قبل كل الوجود قد ظهر فى آخر الأيام فى ابن داود ، فى يسوع الناصرى . فالكلمة ، قد حلّ أو إتحد بابن الإنسان فى عملية التجسد . والإنسان الذى اتحد بالكلمة هو إنسان من روح وجسد من طبيعتين : وقد إحتفظت كل طبيعة من هاتين الطبيعتين بمميزاتها وخواصها .

وقد شدّد ثيودوريوس على تمييز كل طبيعة عن الأخرى . ففى المسيح توجد طبيعتان متميزتان وكاملتان . ولقد نبر أسقف أنطاكية مثله كمثل الأغلبية الساحقة من معلمى أنطاكيا على ناسوت المسيح . وكان هذا سببا من الأسباب الهامة التى وسّعت الفجوة التعليمية أو العقائدية بين مدرسة الاسكندرية التى شدّدت كثيراً على لاهوت المسيح معلمة أيضا بوجود طبيعة واحدة فى المسيح[٦] ومدرسة انطاكيا التى علمت بوجود طبيعتين مشددة على ناسوت المسيح .

ظهر الصراع الكرستولوجى فى الحقبة السابقة وفى هذه الحقبة ، كما سيستمر أيضا فى الحقبات التاريخية المقبلة ، مركزا على الاسئلة الآتية وعلى اسئلة أخرى أيضا : هل كان للمسيح روح بشرية عاقلة مثل كل إنسان ؟ هل كان المسيح الهاً فقط أو إنسانا فقط أم كان الاثنين معا وكيف ؟ هل كان للمسيح طبيعة بشرية واحدة أم طبيعتين ؟ ما هى عملية الاتحاد التى تمتّ بين هاتين الطبيعتين ؟

حاول ثيودوريوس أن يجيب على بعض هذه الأسئلة وفى الإجابة عليها إستخدم بعض الكلمات والاصطلاحات التى يجب ان نتعّرف عليها حتى لا نجد صعوبة عندما نستعرض دراسة مفهومه الكرستولوجى .

إصطلاحات يجب التعرف عليها

لقد استخدم أباء الكنيسة فى الصراع الكرستولوجى بعض الاصطلاحات لكى يعبروا بها عن افكارهم وعقيدتهم وتعاليمهم فى شخص المسيح . ولن نتناول هنا إلا بعض الكلمات التى تلمس عن كثب موضوع دراستنا ، دون التدخل فى التفصيلات اللغوية الدقيقة حتى لا يطول بنا البحث .

---

6. Rowan. A. Greer. Theodore of Mop.... Exegete and Theologian. 48 - 50.

١ – جوهر ESSENCE

كلمة فرنسية مشتقة من الكلمة اللاتينية Essentia واليونانية (أوسيا) وتعنى الوجود الحقيقى لكائن ما فكل كائن وكل شيء موجود له جوهر ، وكل جوهر هو كائن موجود . وهو على عكس ما يدعى بالخيال أو الشيء غير الموجود أو الشيء غير الواقعى .

٢ – جوهر SUBSTANCIA

وهى كلمة لاتينية وقد إشتقت منها الكلمة الفرنسية والانجليزية Substance وتعنى جوهر أو (طبيعة) والجوهر هو العنصر الذى يتكّون منه شيء ما أو الطبيعة التى يتكّون منها شيء ما وعليها يقوم هذا الشيء .

٣ – طبيعة NATURE

كلمة فرنسية وانجليزية والاصطلاح اليونانى φύσις فيزيس وهى الكلمة التى يعبر بها اليونانيون عن خواص ومميزات الجوهر أو الطبيعة ، وهى الصفات التى يتميز بها الجوهر أو الصفات التى يتصف بها الجوهر أو الطبيعة .

٤ – إقنوم « هيبيوستاس »

يعبر اليونانيون بهذه الكلمة عن الشيء الموجود بذاته والقائم على ذاته : أو الكائن والموجود بذاته .

٥ – شخص (أو أقنوم) بروسوبون

والاصطلاح اللاتينى Persona والانجليزى Person والفرنسى Personne . ولقد إستخدمت هذه الكلمة لوصف قناع الممثل الذى كان يمثل فى المسارح اليونانية وهو مقنع بقناع اثناء قيامه بدوره . فالكلمة تصف إذن حالة الممثل أو الشخص الذى يقوم بتمثيل دور معين . فهو العامل أو المحرك الذى يُنسب اليه بعض الأفعال والأعمال والأنشطة التى يقوم بها(٧) .

وهنا نصل إلى السؤال المهم الخاص بموضوعنا :

★ الاب متى المسكين . القديس أثناسيوس . البابا العشرون مطبعة دير القديس انبا مقار وادى النطرون . ٣٤٤ – ٣٥٨

ما هو الاصطلاح أو ما هى الاصطلاحات التى إستعملها ثيودوريوس الموبسيوستى ليشرح بها عملية التجسد أو عملية إتحاد اللاهوت بالناسوت ؟ لقد إستخدم ثيودوريوس كما فعل كثيرون من أباء الكنيسة ، وليس كلهم ، كلا من الاصطلاحات الآتية كما لو كانت مترادفات . هيبيوستاس = أقنوم أو جوهر . طبيعة Physis أوΦύσις ثم الاصطلاح بروسويون (أوبروزوبون) : شخص أو اقنوم : أو هيئة وإستعمل الانطاكيون هذا الاصطلاح πρόσωπον لكى يعبروا به عن مظهر أو شكل أو هيئة أو إقنوم وعن طريق هذا الشكل أو هذه الهيئة أو المظهر (الذى هو البروسوبون أو الشخصية) يظهر الجوهر أو الطبيعة . لأن كل طبيعة أو كل جوهر له بروسوبونه الخاص (Son. Propre Prosopon) أو له شخصيته الخاصة .

وقد إستخدم بعض الاباء هذه الاصطلاحات الثلاثة (هيبيوستاس ، بروسوبون وطبيعة) كما لو كانت مرادفات . على أن الراهب الانطاكى إستعمل كثيراً جداً الاصطلاح بروسوبون (شخصية) لكى يعبر به عن عملية التجسد أو الوحدة بين اللاهوت والناسوت . لا بل إنه من المشكوك فيه بأنه إستعمل الاصطلاح هيبوستاس فى تعاليمه الكرستولوجية (انظر سيولفن Sullivan 259 على أنه من المحتمل أنه ذكر كلمة هيبوستاس مرة أو مرتين . أما فى بقية كتاباته العقائدية والتفسيرية فقد استعمل الاصطلاح بروسوبون* لكى يعبر به عن الوحدة التى تمت بين اللوغوس وبين الانسان يسوع الناصرى . بين اللاهوت والناسوت .

ما هو اذن مفهوم ثيودوريوس لكلمة بروسوبون التى إستعملها ورددها كثيراً جدا فى معظم كتاباته التعليمية والتفسيرية وكم بروسوبونا أو اقنوما أو « شخصية » يمكننا أن نجدها فى المسيح ؟ يشدد ثيودوريوس فى كل تعاليمه على وجود طبيعتين فى المسيح . كما أنه يعتقد أيضا بأن كل طبيعة أو كل جوهر له شخصيته (بروسوبونه) أو أقنومه . لان هذه الشخصية أو هذا الأقنوم هو الهيئة التى عن طريقها وبها يظهر الجوهر أو الطبيعة . وهنا نأتى إلى نقطة هامة . فإن كان أسقف موبسيوست يعترف بوجود بروسوبون (شخصية أو اقنوم) فى كل جوهر أوفى كل طبيعة . وان كان يعترف أيضا بوجود طبيعتين أو جوهرين اللاهوت والناسوت فى المسيح ، فانه يعترف إذن بوجود بروسوبونين (Prosopa) أى شخصين أو إقنومين فى المسيح الواحد (انظر Grillmeier 403) .

---

* كانت الاصطلاحات الفنية العقائدية (اللاهوتية) فى هذه الفترة ، متنوعة وفى تطوير مستمر . ولذلك فقد رأينا بأن نترجم كلمة بروسوبون اليونانية بكلمة شخصية . وسوف نضطر فى بعض الاحيان إلى ترجمتها بكلمة شخص أو أقنوم . وفى بعض الأحيان قُصد بها شكل أو هيئة

لقد سبق سيولفن وأثار هذه المشكلة . وهو يظن بان ثيودوريوس كان حريصا كل الحرص على التمييز بين الطبيعتين فى شرحه للعهد الجديد . فقد ميّز بطريقة واضحة ودقيقة بين اللاهوت والناسوت . ولهذا السبب فقد نسب البعض من كلمات المسيح إلى شخصية أو بروسوبون (أقنوم)* اللاهوت ، كما أنه نسب البعض الآخر من كلماته إلى بروسوبون أو (أقنوم) الناسوت . فمثلاً معظم ما قاله السيد فى الشخص الأول ينسب إلى يسوع أو للانسان .

أما ما يخص الكلمة الله ، فقد نطق به المسيح فى الشخص الثالث الغائب . وهذا ينطبق مثلا على قوله فيما يخص الدينونة « وان كنت انا ادين فدينونتى حق لانى لست وحدى بل انا والآب الذى ارسلنى » (يو ٨ : ١٦) فان يسوع الإنسان والديان لا يدين وحده بل الاب يدين معه ايضا . إنه يشير هنا إلى اللاهوت والناسوت معا .(انظر Voste 119, 91 - 29) فهل هذا يعنى بأنه يوجد إقنومان أو شخصان فى المسيح الواحد ؟

إن الدارس غير المدقق لكتابات أسقف موبسيوست قد يلاحظ فى بعض كتاباته التى وصلت الينا ، كما لو أنه كان يعتبر الناسوت بروسوبونا : أو شخصية مستقلة أو إقنوما مستقلا ، واللاهوت شخصية مستقلة أو إقنوما مستقلا ايضا . ويرجع سوء الفهم هذا إلى عدة عوامل :

١ – خلط بعض الدارسين بين الاجزاء أو المقتطفات المعترف بصحتها ونسبتها اليه وبين المقتطفات والشذرات غير المعترف بصحة نسبتها اليه (الابوكريفية) لعدم التأكد ما إذا كانت من أعماله أم هى دخيلة على كتاباته . وكما يقول جريلمير بأنه توجد بعض الشذرات التى تعترف بوجود شخصية أو اقنوم أو بروسوبون إلهى وبروسوبون بشرى ، ومنهما تنتج أيضا بروسوبون أو شخصية ثالثة مشتركة . ولكن هذه الفصول مشكوك فى صحتها (Grillmeier. 403) .

٢ – إن الدارس لكتابات ثيودوريوس وكتابات الآباء يلاحظ أنهم ، لا يتكلمون أبدا عن شخصية ثالثة نتجت عن طريق الاتحاد . إن كتابات معلم موبسيوست الموثوق من صحة نسبتها إليه لا تتكلم إلا عن بروسوبون واحد أو أقنوم واحد فى الطبيعتين .

٣ – والنقطة المهمة جداً فى نظرى والتى اخطأ فهمها البعض هى أن ثيودوريوس لا يرى بروسوبونا أو شخصية أو إقنوما مستقلا فى الناسوت ، اذ انه يعتقد أن الناسوت لم يوجد قط منفصلا أو منعزلا عن الكلمة . لانه قد وُجدَ من اللحظة الاولى التى بها أتحد

* لا يقصد بكلمة أقنوم هنا المعنى الذى تحمله حاليا : بل يستعمل كلمة أقنوم فى كثير من الأحيان ليعبر بها أيضا عن الشكل او المظهر او الطبيعة

اللاهوت بالناسوت فى بطن مريم . فعندما إتحد اللاهوت بالناسوت فان الاول (اللاهوت) قد منح بروسوبونه = شخصيته (Son prosopon) كهبة للناسوت ومن هذا البروسوبون الإلهى أى من البروسوبون الوحيد للكلمة تكوّن ناسوت الإنسان يسوع الناصرى . وفى إحدى الفقرات التى وصلت الينا عن طريق ليونز البيزنطى (Leonze de byzance) نجد هذا النص المهم جداً بخصوص هذا الموضوع « لأنه عندما نريد التمييز بين الطبيعتين ، نقول إن طبيعة الله الكلمة كاملة وان شخصيته (بروسوبونه) كاملة أيضا . لانه من الخطأ التكلم عن جوهر (هيبوستاس) دون التكلم عن شخصيته (هيئة) أيضاً (بروسوبونه) فنحن نعترف بأن طبيعة الانسان كاملة ، وكذلك شخصيته (بروسوبونه) فنحن نعترف ولكن عندما ننظر إلى الإتحاد لا نعترف إلا بوجود أقنوم واحد Leontivs, frag.6 dans swete, trad .. norris grillmeier p. 403 من هذا النص بتضح جيداً بان ثيودوريوس يعتقد أن الطبيعة البشرية لم توجد ولا لحظة واحدة منفصلة أو منعزلة أو مستقلة عن الطبيعة الإلهية . بل أن هذه الأخيرة قد منحتا منذ اللحظة الأولى من الاتحاد شخصيتها (بروسيونها) للناسوت .ومن هذا البروسوبون الآلهى وعن طريق تدخله بالروح القدس تكوّن البروسوبون البشرى .

فعندما ننظر إلى كل من بروسوبون (شخصية) منفرداً أو منعزلا ، نرى شخصين أو بروسوبونين . ولكن عندما ننظر إلى عملية الاتحاد لا نرى إلا بروسوبوناً واحداً = شخصية واحدة أو بالمعنى الأصح ، وباللغة التى سوف يستعملها فيما بعد مجمع خلقدونية ، يمكننا أن نقول لا يوجد إلا إقنوم واحد فى المسيح . لان « شخصية » أو بروسوبون الناسوت لم يوجد قط إلا فى الكلمة وعن طريقه[٨] وهنا نلاحظ نوعا من الاتفاق بين مفهوم كيرلس الاسكندرى وثيودوريوس على هذه النقطة ، بالرغم من الخلاف والصراع بينهما . فإن معلم الاسكندرية يقول « ونحن ندرك بالروح ، كما لو كان يوجد طبيعتان ، ولكن الاتحاد المحقق أو المنجزى قد لاشى هذه الثنائية . وعندئذ لا نعترف إلا بطبيعة واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد »[٩] وثيودوريوس يقول « فعند النظر إلى هاتين الطبيعتين فى حد ذاتهما قبل الاتحاد ، نستطيع أن نميّز بروسوبنين (شخصيتين) πρόσωπα ولكن بما أن الناسوت لم يوجد قط إلا محمولا من الكلمة ومتحدا به ، فاننا لا نعترف الا ببروسوبون ولا نتكلم إلا عن بروسوبون واحد[١٠] .

---

٨ – لدراسة هذا الموضوع بالتفصيل يرجع الى المصادر الآتية :
عظته رقم ٧ : ٢٣ حسب ماوردت فى ترجمة Vosté ص ١٨٣ ، ٢٨٠ ثم ٤٠٨ Sullivan
220 - 227, Hom. 8 : 2, Grillmeier 408 Galtier. R. Ec. de. Sci. Tome XIV. 1957 .
160 - 186, M. Richard. Mus. 56. (1943, 63 - 66 id. Hypostase 23 - 24.

9. P.G. LXXVII 192 D - 193.

10. .... LXVI 981 B. 3 - 9.

٤ — ملاحظة أخرى فيما يخص هذا الاصطلاح . مما لا شك فيه أن ثيودوريوس قد إستعمله بطريقة عامة فى بعض الأحيان وقد قصد به أشياء كثيرة ايضا . فقد قصد بكلمة بروسوبون فى بعض الأحيان ، شخص الرسول أو البشر أو البشرية كلها أو الاحياء .... وقد يكون الشخص الذى يتكلم هو الشخص المتكلم عنه(Sullivan 254 - 260)· 250) .

ولكنه عندما يتكلم عن الثالوث كان يستعمل فى بعض الأحيان الاصطلاح هيبوستاس أى إقنوم بنفس الطريقة التى إستعمل بها كلمة بروسوبون أى شخصية . فهو يقول هيبوستاس (إقنوم) أو بروسوبون الآب ثم هيبوستاس (.إقنوم) أو بروسوبون الإبن وهيبوستاس أقنوم أو بروسوبون الروح القدس . فهو يتكلم عن ثلاثة أقانيم أو ثلاثة هيبوستاسيات أو ثلاث (شخصيات) فى الثالوث (Sullivan 254 - 260) .

وأما فى كلامه عن التجسد ، فهو يستعمل الاصطلاح بروسوبون واحد . وهنا يمكننا أن نقول بأنه قصد بهذا الاصطلاح البروسوبون الواحد أقنوم . فهو يعتقد بأن الله الكلمة اللوغوس قد اتحد بنفسه ولنفسه الانسان يسوع الناصرى . ولقد نتج عن هذا الاتحاد ما يدعى بالبروسوبون أو بالشخص أو بالإقنوم . فعندما يذكر ثيودوريوس الاصطلاح بروسوبون فى كلامه عن عملية الاتحاد يقصد بذلك شخصا واحدا ووحيداً ، أقنوماً واحدا الذى تكلم عنه الكتاب المقدس مشيراً إلى الكلمة اللوغوس والانسان . ولقد أعطى ثيودوريوس اسم الحامل للكلمة أو اللوغوس . كما أنه أعطى اسم المحمول للانسان يسوع الناصرى . ولقد اتحد اللوغوس أو الكلمة بالانسان يسوع الناصرى . ونتج عن هذا الاتحاد للطبيعتين الإلهية والبشرية ، البروسوبون الوحيد أى الاقنوم الوحيد أقنوم الابن .

إن الاسقف موبسيوست لا يعتقد ولا يعلم بوجود أقنومين فى المسيح ، بل علّم بوجود أقنوم واحد ، بروسوبون واحد ، وفى هذا الأقنوم تّمت عملية الاتحاد بين الكلمة اللوغوس وبين الانسان يسوع الناصرى . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو الآتى : كيف تمت عملية الاتحاد ؟ كيف فهم ثيودوريوس عملية التجسد وعملية إتحاد اللوغوس ، الله بالناسوت أى الانسان يسوع الناصرى ؟ هل وجدت طبيعتان وأقنومان أم طبيعتان وإقنوم واحد ؟

لقد سبق أن أشرنا بأن ثيودوريوس علّم بوجود طبيعتين متميزتين الواحده عن الأخرى ، فى أقنوم واحد . ففى كل كتاباته العقائدية والتفسيرية ، لم يأل جهداً فى أن يكرر هذا الأمر ، العزيز على قلبه . ففى مناداته بعقيدة الطبيعتين ، يظهر تمسكه بتعاليم أستاذه الاسقف الطرسوسى ديودوريوس الذى هاجم التعاليم الأريوسية

والابولوناريوسية ، كما أنه اتبع نفس المنهج الذى إتبعه الطرسوسى فى الهجوم على تعاليم أريوس وأتباعه وابولوناريوس وأتباعه . ومن الكتب الشهيرة والمعروفة التى كتبها أسقف موبسيوست لمعالجة موضوع الطبيعتين فى المسيح كتابه الذى يدعى التجسد (De incarnatione) ويحتمل بأنه كتب هذا الكتاب الذى يشدد فيه على وجود طبيعتين فى المسيح ؛ فى الوقت الذى كان فيه الصراع ضد ابولوناريوس وتعاليمه على أشُده . فان البابا ديماسيوس (Damasse) قد أصدر حكما ضد تعاليم ابولوناريوس فى سنة ٣٧٧[١١] ولكن بالرغم من هذا الحرمان ، فان ابولوناريوس لم يمتنع عن التعليم والمناداة بهرطقته . لا بل ان القديس جيروم نفسه يعرفنا بأنه كان يتابع المحاضرات التى كان يلقيها ابولوناريوس فى العاصمة السورية فى سنة ٣٧٩[١٢] لهذا السبب كتب معلم أنطاكية هذا البحث أو السلسلة من هذه الكتب عن التجسد ، لكى يشرح للشعب خطورة تعاليم أبولونارسوس الذى كان لا يعترف إلا بوجود طبيعة واحدة فى المسيح : طبيعة اللوغوس ، اللاهوت ابن الله الوحيد الذى حلّ فى جسد بدون روح . واللوغوس أو ابن الله ، هو الذى قام بالدور الذى تقوم به الروح فى الجسد . فقد أنكر وجود روح بشرية فى المسيح كما فعل الأريوسيون من قبله . على أن الأريوسيين رفضوا لاهوت المسيح أو على الأقل رفضوا الاعتراف بمساواة جوهر الابن بجوهر الآب أما أبولوناريوس ، فقد نبّر بشدة على وجود اللاهوت لدرجة أنه لم يعترف إلا بوجود طبيعة واحدة متجسدة وهى اللاهوت الكلمة ضد هذه الهرطقة . أى التقليل أو إضعاف مكانة الناسوت ؛ قامت جماعة المعلمين فى أنطاكية وعلى رأسهم ثيودوريوس ، بالهجوم على التعاليم الأريوسية والابولوناريوسية . ولقد إتبع ثيودوريوس فى تعاليمه وهجومه على الأريوسية والابولوناريوسية ، التيار الكرستولوجى الأنطاكى . يعنى أن الكلمة اللوغوس ابن الله قد تجسد فى الانسان يسوع الناصرى . وهذا الاخير كان إنسانا كامل التكوين إنه انسان ذو روح بشرية وجسد . فالمسيح أو الاقنوم الثانى يتكّون من طبيعتين متميزتين الواحدة عن الاخرى . الطبيعة الإلهية أو اللوغوس ، ابن الله المولود من الاب قبل كل الدهور ، والطبيعة البشرية ، الناسوت يسوع الناصرى المولود من العذراء . فقد رفض التعليم الأريوسى الذى لم ير فى المسيح إلا انسانا أو شبه إله محدود الوجود ، اى أنه كان يوجد وقت ما لم يكن الابن موجوداً فيه . لان اريوس وأتباعه لم يعترفوا بأزلية الابن . كما رفض ايضا تعاليم ابولوناريوس التى تطرفت فى الحديث عن لاهوت المسيح وأهملت ناسوته . ولذلك فإن ثيودوريوس ينبّر بشدة على حقيقة ان اللوغوس حل فى الانسان يسوع ، وليس فى جسد بدون روح بشرية .

---

١١ – يسوع المسيح عبر الأجيال (للمؤلف) المجلد الاول ص ٦٧٤ .

12. E. Amann. D.T.C. 256.

لقد حاول ثيودوريوس الموبسيوستى أن يقدم لنا مسيحا يختلف عن المسيح الذى قدمه أريوس وابولوناريوس . وبهذا فقد إتبع المنهج الذى يدعى الكلمة – إنسان (Logos - Man) (Logos - Homme) فقد كان شغله الشاغل هو أن يقدم مسيحا له طبيعة الهية كاملة : اللوغوس ابن الله ، وانسانا كاملا له طبيعة بشرية كاملة أيضا . وكل طبيعة متميزة عن الأخرى ، ولكن متحدة معها . وكان لكل طبيعة من هاتين الطبيعتين مميزاتها الخاصة بها .

كان الهدف من تشديده على حقيقة وجود طبيعتين فى المسيح هو الهجوم على الأريوسية والأبولوناريوسية وهدم تعاليمهما . على أن مناداته بهذه العقيدة التى تدعى فى تاريخ العقائد « بالتعاليم الكرستولوجية الثنائية) (La Christologie Dualiste) لم تكن تعاليم أرثوذكسية فى نظر كنيسة الاسكندرية التى كانت تعلم بما يدعى « التعاليم الكرستولوجية الواحدة الطبيعة (Christologie Unitaire) أى الاعتراف بوجود طبيعة واحدة فى شخص المسيح يسوع .

كان هذا الأمر أحد الأسباب المهمة والرئيسية (بخلاف غيره من الأسباب) التى عملت على توسيع الفجوة بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة أنطاكية . فإن كنيسة الاسكندرية كانت تعتقد أن التعاليم الثنائية ، أو الاعتراف بطبيعتين فى المسيح تقود إلى قسمة المسيح إلى اثنين . كما أن كنيسة أنطاكية كانت تعتقد هى ايضا بأن التعاليم عن الطبيعة الواحدة وعدم الاعتراف بطبيعتين فى المسيح يعتبر تقليلا ان لم يكن ملاشاة لناسوت المسيح . ولهذا السبب فان الراهب الأنطاكى هاجم بشدة التعاليم التى نادت بوجود طبيعة واحدة فى المسيح .

الفصـــل الرابـــع

التجســد فـى مفهــوم ثيودوريـوس

كيف فهم ثيودوريوس معجزة التجسد ؟ وكيف تمت هذه المعجزة ؟ ما هى عملية إتحاد الطبيعتين : اللاهوت والناسوت ؟ .

أتهم ثيودوريوس بالنسطورية ، وكما سبق أن أشرنا فان عدداً من العلماء يعتقد بانه كان الأب الروحى لنسطوريوس . كما سنبين فيما بعد لكننا سنركز على مشكلة الاتحاد بين الله ، اللوغوس وبين الانسان .

يعتقد ثيودوريوس بأن عملية الاتحاد تمت بين الطبيعة الإلهية والبشرية ، فى اللحظة الاولى من التجسد (P.G. 66, 976 D 7-9) فمنذ اللحظة الأولى اتحد اللاهوت بالناسوت . وقد أطلق ثيودوريوس على الكلمة أو اللوغوس اسم الحامل ، ثم سمى الانسان أو ابن الانسان إصطلاح المحمول . وهذا الحامل أى الكلمة ، وهذا المحمول أو الإنسان كونا معا شخص المسيح . لان اللاهوت ابن الله اتحد بنفسه ولنفسه الطبيعة البشرية . وعن طريق هذا الاتحاد الذى يدعوه بالاتحاد الوثيق أو العميق أو القوى (Joncotion) نتج التعاون بين الطبيعتين وليس العكس . فعن طريق هذا الاتحاد نرى ظهور المسيح الواحد ذو الطبيعتين . وكما يقول بول كالتيه[1](Paul Galtier) فى شرحه لمفهوم ثيودوريوس لهذه النقطة التى نحن بصددها إن التعاون المزدوج للإرادتين الإلهية والبشرية هو النتيجة وليس الأساس لعملية تجسد الكلمة (Norris. P. 258) .

لقد حاول ثيودوريوس فى شرحه لمعجزة التجسد وعملية إتحاد اللوغوس بالانسان ، أن يميز بطريقة واضحة وصريحة بين اللاهوت والناسوت فقد أراد أن يقدم مسيحا مكونا

---

1. Paul Galtier. Rev. Rec. Sci. Tome XL5 P. 181.

من الطبيعتين . ولهذا فقد إنهال عليه البعض بالنقد اللاذع ، لابل اتهموه بالهرطقة : لأنه قسم المسيح إلى اثنين فهل قسم فعلا اسقف موبسيوست المسيح إلى إثنين ؟

يجب أن نرجع إلى كتاباته نفسها حتى نستطيع أن نجيب على هذا السؤال . لندرس بعض الفصول من كتاباته بخصوص هذا الموضوع . ولكن يحسن بنا أن نلفت النظر إلى أن أسقف موبسيوست كان فى كل حياته يحاول جاهداً أن يقدم مسيحا نرى فيه بوضوح الطبيعة الالهية متميزة عن الطبيعة البشرية : أو طبيعتان متميزتان فى يسوع المسيح .

بعض النصوص التى فسرها البعض بانها تقسم المسيح إلى اثنين

سبق أن أشرنا إلى أن ثيودوريوس قد استعمل فى كلامه عن الطبيعتين المتميزتين الواحدة عن الاخرى ، اصطلاحين وهما الحامل والمحمول : ويعنى بالحامل (Assumens) الكلمة أو الله أو اللوغوس وبالإنسان المحمول (Homo Assumptus) الإنسان يسوع الناصرى . ولقد حاول فى شرحه أن يميّز بين الاثنين لدرجة أن الكثيرين تبينوا بأنه لا يتكلم عن طبيعتين مختلفتين ، بل أنه يتكلم عن شخصين مختلفين . فعندما يتكلم عن الناسوت أو عن الانسان المحمول ، يشعر القارىء كما لو كان يتكلم عن شخص له كيانه ووجوده الذاتى المستقل (Sullivan P.219) ويتبع نفس الطريقة عندما يتكلم عن اللاهوت أو عن اللوغوس . وفى كلامه عن المسيح ذى الطبيعتين يقتبس كلمات الرسول بولس القائلة : « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وَجِدَ فى الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتىٰ الموتِ موت الصليب ... » (فى ٢ : ٥ - ١١) .

ويقدم فى شرحه لهذه الآيات صورتين أو حقيقتين : الاولى حقيقة واقعية ومنظورة هى إنسان كامل التكوين فى هيئة عبد والثانية شخصية غير منظورة : الكلمة الازلى الذى هو صورة أو هيئة الله ومعادل له : فهو الله الكلمة الذى يحمل الانسان يسوع الناصرى « فإن الذى على هيئة الله هو الذى حمل ذاك الذى على هيئة العبد . على أن الذى على هيئة الله هو بالطبيعة الله وهو إيضا الذى حمل ذاك الذى هو على هيئة العبد وهذا الأخير هو المحمول ... فان الذى حَمِلَ (أى اللوغوس) غير المحمول (الانسان)* .

يعرض ثيودوريوس فى النص السابق نظريته المفضلّة عن ثنائية الطبيعة : فالواحد هو هيئة الله والاخر هو هيئة الانسان : أو هيئة العبد . واللاهوت قد أخفى نفسه فى الناسوت فى الوقت الذى كان فيه الكلمة فى الانسان يسوع الناصرى . وهكذا كان يتحدث ويتعامل مع

* ترجمة بتصرف عن Devresse 112 ثم عن كواستن .P. 583

الناس كإنسان لدرجة أن الذين كانوا يرونه ، رأوا فيه إنسانا (Hom. 6:2) وسيولفن يعتقد بان ثيودوريوس يتكلم عن الانسان المحمول كما لو كان يتكلم عن إنسان مستقل وليس عن طبيعة مستقلة . إنسان له كل كيان وحقوق الإنسان (De Incarnatione 11) ويواصل شرحه بالقول إن هذا الشعور يزداد عندما نطلع على ما كتبه عن إستعمال اسم يسوع أو يسوع الناصرى : فعندما يستعمل ثيودوريوس اسم يسوع يعنى به الإنسان المحمول[٢] يعنى اسم الإنسان الذى وَلِدَ من مريم العذراء (Leontice. FR.. 15 - 16, 19. P.G. 66. 985. C.d., 988b) ولكن عندما يستعمل اسم يسوع المسيح ، فهو يشير به إلى عملية التجسد أو إتحاد الطبيعتين معا . إن عبارة يسوع المسيح فى مفهوم ثيودريوس تعنى عملية التجسد ، أو أن الله حلّ أو سكن فى الإنسان المحمول : اللاهوت والناسوت معا (Hom. Cate. 3:4) (Sullivan P.40) ولقد كتب يقول « إن الله قد اتحد نفسه من أجل خلاصنا بسيدنا يسوع ، الإنسان الذى أقامه من بين الأموات وغيّره إلى حياة جديدة وأجلسه عن يمينه » (Hom. Caté. 8:8) ويرى سيولفن فى هذا النص ازدواجية لا تحتمل الشك ، ويستنتج من ذلك بأن إسلوب ثيودوريوس يوحى بوجود شخصين فى المسيح . إذ إنه يتكلم عن الكلمة من ناحية وعن يسوع من ناحية أخرى . وبحسب مفهوم سيولفن أن ثيودوريوس يتكلم عن شخصين متميزين الواحد عن الآخر . الواحد جالس عن يمين الآخر فى المجد . على أى حال توجد فصول كثيرة أخرى يمكن أن تُفهم بهذا المعنى مثل : Hom. Catf 8.2; 8:8; 3:4 Conra Apoll 3 Uig. Cap. 10 .

إن الدارس لهذه الفصول وغيرها يلاحظ بأن ثيودوريوس قد إتبع فى تفسيره للعهد الجديد نظام الازدواجيه (Le systeme dualiste) ولذلك فقد حاول التمييز بين الكلمة وبين الإنسان يسوع الناصرى . فعلى سبيل المثال ، فى شرحه لإنجيل القديس يوحنا ، ينسب بعض عبارات المسيح إلى الإنسان يسوع وخاصة ماقيل على لسان ضمير المتكلم : أما ما نطق به السيد باستخدام ضمير الغائب فهو ينسبه للكلمة (Sullivan 41 - 42) ففى شرحه ليوحنا ١٠ : ١٥ « كما أن الآب يعرفنى أعرف الآب ... » يعتقد ثيودوريوس بأن الشخص المتكلم المحمول (Homo - Assumtus) فإن الذى يتكلم هنا ، هو يسوع الناصرى يعنى الإنسان . ولكن فى شرحه ليوحنا ١٦ : ٢٨ « خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب ... » يطبق الجزء الأول من هذه الآية على الكلمة وأما الجزء الثانى منها فيطبقه على الناسوت (واللاهوت معا) لأن الذى خرج من عند الآب هو اللوغوس وأما الذى سيرجع إلى الاب هو الإنسان يسوع (مع اللوغوس طبعا) (Greer. P132 - 137) وتكلم ثيودوريوس فى أماكن أخرى عن الطبيعتين بطريقة واضحة ومتكرره ، فادت البعض إلى التفكير بانه يتكلم عن شخصين .

---

2 Comm. in, EP.ad. Heb., Staa b. 204.

فهو يقول مثلا « إن ابن الله الوحيد الله الكلمة ، قد أراد وحده ولاجل خلاصنا جميعا أن يأخذ (Assume) جسم إنسان منا وأن يتحده بنفسه وان يقيمه من الأموات ، وأن يصعده إلى السماء وأن يقيمه ويجلسه عن يمين الله (Hom. Caté. 16 2 quasten 537 400 الطبعة الانجليزية) .

وقد إتبع هذا التفسير الازدواجى فى شرحه لبعض الفصول الكتابية ، فهو يرى فى متى ١ : ١، ٢٢ : ٤٢ ابناً لداود يختلف عن ابن الله الكلمة . فهو يعتقد بأن البشير يتكلم هنا عن الإنسان يسوع الذى وُلِدَ من العذراء مريم ، وليس عن ابن الله الكلمة . ابن الإنسان شبيه بكل إنسان ، لأنه إنسان . وأما ابن الله فهو شبيه بالآب ومن جوهره . إنهما يختلفان فى الطبيعة وفى الجوهر . فإن الأول هو من نسل داود وشبيه بأجداده وأما الثانى فهو الله المتجسد فى الأول (E. Amann. D.T.C 244) فعندما قال المسيح لليهود « انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه ... » (يو ٢ : ١٩) كان يقصد بذلك جسده أى الإنسان كله روحا وجسداً . وأن الذى سيقيم هذا الهيكل المهدوم أو هذا الإنسان الذى سوف يصلبه اليهود ؛ هو الكلمة ابن الله ، اللوغوس وهو البانى لهذا الهيكل الذى يسكن فيه . ويرجع ثيودوريوس إلى رسالة فيلبى ٢ : ٥ – ١١ لكى يؤيد كلامه عن ازدواجيه الطبيعة فى شخص المسيح .

مفهوم ثيودوريوس للقب والدة الإله (لمريم)

فى العظة السادسة من عظاته التعليمية ، وفى شرحه للجملة السادسة من قانون الايمان ، والتى تقول « الذى وَلِدَ من العذراء مريم ، وصُلبَ على يد بيلاطس البنطى . ودفن وقام فى اليوم الثالث .... » يقدم أسقف موبسيوست تفسيراً مفصلا عن تعاليم اباء مجمع نيقيه لهذه الجملة . فهو يعتقد ، بأنهم أرادوا أن يلخصوا بهذه الجملة الموجزه كل حياة السيد من ميلاده إلى موته ، من البداية إلى النهاية . وفى شرحه لهذه الجملة يتعرض لعدة نقاط عقائدية تعليمية (لاهوتية) ومنها :

١ – مفهومه للقب أم الله (سيوتوكوس)

هل قبل معلم موبسيوست بأن يُمنح لقب أم الله للعذراء مريم ؟ لقد سبق أن رأينا فى دراستنا لتعاليم ديودوريوس الطرسوسى (وهو معلم ثيودوريوس) أنه رفض بأن نمنح للقديسه مريم لقب أم الله . لأنه يعتقد بأن الذى وُلِدَ من مريم ليس الله الكلمة ، بل الإنسان يسوع الناصرى ابن داود وبناء على ذلك فإنه لا يليق بأن نعطى هذا اللقب : أم الله سيوتوكوس ΦΕΟΤΟΚΟS لإنسان بشرى . فإن مريم ، حسب مفهومه ، هى أم

الإنسان الذى اتحد بالكلمة ، فهى إذن أم الإنسان المتأله وليست أم الكلمه المتجسد* :
هل إتبع ثيودوريوس نفس التعاليم التى نادى بها أستاذه ديودوريوس الطرسوسى فيما يخص أمومة مريم لله ؟ وللإجابة على هذا السؤال يمكننا أن نقول ، أن الموبسيوستى قد إختار طريقا وسطاً لأنه قبل جزئيا تعاليم أستاذه ، كما أنه رفضها جزئيا أيضا . فلو سألناه ، هل مريم هى أم الله أم هى أم يسوع الناصرى ؟ فإنه يجيب بأنه يمكن إستعمال التعبيرين . فإنها أم الإنسان يسوع الناصرى ، ابن داود من الناحية البشرية الطبيعية ، وهى أيضا أم الله ، إذ أن الكلمه كان يسكن فى الإنسان الذى ولدته[٣] وبالرجوع إلى العظة السادسة التى نحن بصددها الآن نلاحظ بأن ثيدوريوس ينّبه القارىء بأن جملة « وُلِدَ من عذراء » لا تعنى بالنسبة للآباء بأن الطبيعة الإلهية قد وُلِدت من امرأة أو أخذت بدايتها من العذراء مريم . لأن الطبيعة الإلهية مولودة من الآب قبل كل الدهور ، وهى موجودة معه . وبدايتها مساوية تماما بداية الآب . فلم تأخذ إذن بدايتها من مريم (Hom. Cate . 6) وهنا نلاحظ التشديد المتكرر على فكرة وجود الطبيعة الإلهية أو اللوغوس وأزليته ، لكى يرفض هرطقة أريوس التى علّمت بأنه يوحد وقت ما لم يَكن الابن موجوداً فيه . ثم نلاحظ أيضا تشديده على حقيقة الناسوت ، الإنسان . فإن مريم هى أولا وقبل كل شيء أم الإنسان يسوع الناصرى ، ثم يمكن أن يقال بأنها أم الله عن طريق الاتحاد التام ، الذى حدث بين الكلمه والإنسان . إن ثيودوريوس يذكر تكراراً ومراراً هذه الثنائية : ابن الله ، وابن الإنسان . فإن الإنسان المحمول أو ابن مريم ، لم يولد من الآب منذ الأزل ، كما أن الكلمه أو الحامل أو ابن الله لم يأخذ أصله من مريم العذراء . وبالرغم من هذا يمكننا أن نعطى ، كما يعتقد ثيودوريوس ، لقب أم الله (سيوتوكوس) لمريم ، على شرط أن نحيط هذا اللقب بشرح واف كاف محدد (P. Galtier 169 - 171) فالذى تكّون فى بطنها والذى ولدته ، ليس الله الكلمة الذى بدأ بهذا الميلاد الجسدى ، بل هو الإنسان يسوع الناصرى . وهذا لايعنى بان الذى وُلدَ منها ما هو إلا إنسان وإنسان فقط . لأن الكلمة اللوغوس كان منذ لحظة التجسد الأولى حالا بملء اللاهوت فى الجنين الذى كان يتكّون

فى بطن مريم العذراء . فبالرغم من أنه فعلا إنسان ، فهو بالحقيقة الله أيضا . ويقول كالنيه أن ثيودوريوس يعتقد بأن عملية إتحاد الكلمة تمّت فى اللحظة التى تكّون فيها الجنين فى بطن أمه . ومن تلك اللحظة الأولى إمتلكه الكلمة كلياً وجزئياً . فإذا كان ثيودوريوس قد أبعد عبارة أم الله مفضلا عبارة أم المسيح فهو لا يريد بذلك إبعاد مريم عن الشرف والكرامة ، بل كل ما يريد إبعاده هو فكرة أن مريم هى الأم الطبيعية للكلمه للاهوت . فهى لا تصير أما للوغوس إلا بعد إتحاده بالجسد ثمرة بطنها فبسبب هذه الوحدة أو بسبب

---

* راجع نفس المجلد من صفحه ٢٣٥ . ٢٣٨.

3. Joseph Turmel. Hist. des Dogmes 11 Latrinité ..... La Viergem ... P. 320

حضور الله فى الإنسان الذى ولدته يمكن أن تدعى مريم أم الله (سيوتوكوس) . (P. Galtier 353 Norris P. 216) .

مما سبق يتضح جليا بأن موقف ثيودوريوس بالنسبة للقب أم الله لمريم يختلف نوعا ما عن موقف معلمه ديودوريوس الطرسوسى . كما نلاحظ أيضا فكرة التعاليم الازدواجيه التى كانت تسيطر دائما على معلم أنطاكية . إن مريم هى أم الاثنين : أم الإنسان يسوع الناصرى ، ثم عن طريق إتحاده بالكلمة ، فهى تدعى أيضا أم الله . لأن الكلمة جعل الإنسان يشترك فى الشرف وفى المجد . فهو ابن الله بالطبيعة وابن العذراء بحسب الطبيعة البشرية .

٢ – مفهوم ثيودوريوس عن آلام المسيح وصلبه وقيامته

عندما نرجع إلى العظة السادسة فى شرحه لقانون الأيمان ، وبالتحديد لجملة « وصُلِبَ على يد بيلاطس البنطى » فهو يعتقد بأن الذى قاسى آلام الموت ليس الكلمة أو الطبيعة الإلهية ، بل هو الإنسان المحمول ابن داود ومريم . فهو الذى تألم وصُلبَ ومات وإرتفع إلى المجد لأنه هو أى الإنسان الذى قاسى الآلام والموت والإهانة وهو وحده الذى يحتاج إلى الرفعة والمجد ، لأن اللوغوس أو أبن الله لا يحتاج بأى حال من الأحوال إلى هذه الرفعة أو العظمة أو المجد أو الشرف لأنه منذ الأزل وهو موجود مع الآب وممجد معه أيضا . فالذى يحتاج إلى الرفعة هو إذن الإنسان المحمول[٤] وليس الكلمه .

وفى شرحه للجملة التى نحن بصددها الآن ، من قانون الإيمان يرجع مرة ثانية إلى فيلبى ٢ : ٦ – ١١ مبيناً بأن الرسول يميز بين هيئة العبد وبين هيئة الله . فالواحد هيئة عبد وهو الإنسان يسوع المحمول ، والثانى هو صورة الله . فان الذى تألم والذى مات هو الإنسان يسوع ، الناسوت ، هيئة العبد وليس الكلمة ، لأن اللاهوت لا يموت ، ولا سلطان للهاوية عليه . وأن الذى قام من الأموات والذى إرتفع إلى المجد والشرف والعظمه هو هو نفسه ذاك الذى ذاق الآلام والموت والصلب ، أى الهيكل أو الإنسان المحمول[٥] وكما يقول جرير Greer فى شرحه لثيودوريوس بأن اللوغوس غير قابل للموت (GR. 48 - 50) ويكرر ثيودوريوس نفس الفكرة فى شرحه لإنجيل القديس يوحنا (٣ : ١٦) إن اللاهوت بطبيعته غير خاضع لقانون الآلام ومرتفع عن كل نوع من الآلام والاحساسات البشرية ونجد نفس الفكرة فى تفسيره لرسالة العبرانيين (٥ : ٧ – ٨) فهو يعتقد بأن الذى كان يصارع ويناضل ضد أهوال الموت هو الإنسان المحمول ، ابن داود يسوع الناصرى .

4. R. Devresse. 118.

5. Les Homelies Catécheti ques ... 6.6

ومع أن معلم موبسيوست ينبّر بشدة على التمييز بين ابن الله وابن الإنسان ، بين الذى تألم ومات وقام وبين الذى ساعد هذا الإنسان على إحتمال الموت ، فانه لا يهمل أبداً الوحدة التامة بين اللاهوت والناسوت . فمع أنه يعتقد بأن الإنسان الذى تألم يختلف عن الابن الذى لا سلطان للموت أو الآلام عليه ، إلا أنه يعتقد أيضا بانه يمكن نسبة هذه الآلام إلى الكلمه بسبب الوحدة التامة بين الاثنين(٦) فإن الكلمه الذى لا يشعر بالآلام فى طبيعته الإلهية ، يشعر بالآلام التى يشعر بها الهيكل الذى سكنه ، والجسد الذى اتخذه .

٣ - مفهومه لسر التجسد

ولنرجع الآن إلى النقطة التى بدأنا فى معالجتها سابقا وهى مشكلة التجسد ، أو إتحاد الطبيعتين . كيف فهم أسقف موبسيوست هذا السر العظيم وخاصة قول القديس يوحنا « والكلمة صار جسداً » وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقا (يو ١ : ١٤) .

تعرض أسقف موبسيوست لشرح سر التجسد فى عظاته التعليمية . فهو ينتهز فرصة شرح هذه الجملة من قانون الإيمان « الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء .... » لكى يصيب لعناته على الهراطقة . ففى العظة الخامسة يقوم بالهجوم على أتباع أريوس وأتباع انوميوس الذين علموا بأن المسيح أخذ جسداً بدون روح بشرية (Grillmeier 396 - 397) ويشرح بإسهاب فكرة أن المسيح « أخذ إنساناً كاملاً أى أنه أخذ إنساناً كامل التكوين من روح وجسد . ولهذا فإن هذا الإنسان كان يجوع ويعطش ويشعر بالآلام ، لأنه كان إنسانا فعلا وإنسانا حقيقياً . فلو كان اللوغوس حلّ محل الروح فى جسد المسيح كما علّم بذلك أتباع أريوس أوبولوناريوس لكان جسد المسيح لا يشعر بالآلام أو بالعطش أو بالجوع ... وبالتالى يصبح ناسوت المسيح ناقصا . ولذلك فقد رفض تعاليم أريوس وتلاميذه كما رفض تعاليم ابولوناريوس وأتباعه وعلّم بأن اللوغوس سكن فى إنسان حقيقى . كما أنه رفض فى عظته الخامسة تعاليم فالانتينوس وأتباعه ، ومارسيورن والذين قالوا بأن المسيح لم يأخذ جسدا حقيقياً ولم يأخذ شيئا من طبيعتنا البشرية لا الجسد ولا الروح . بل أخذ شبه جسد وظهر أمام الناس كخيال لا كحقيقة ملموسة . كما ظهر لإبراهيم لأن الرجال الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم ظهروا كما لو كانوا بشرا وهم فى حقيقة الأمر ليسوا بشراً . ولقد كرر معلم أنطاكية مراراً كثيرة ، بأن المسيح لم يأخذ جسداً حقيقياً فقط بل أنه حلّ فى إنسان كامل التكوّين ، من روح وجسد . ولم يظهر للناس كخيال بل كان إنسانا حقيقيا إنه ابن داود وابن مريم . فانه أخذ

6. Paul Galtier Rev. Res. Sci, Rel. Théodore de. Mop... Sa pensée sur Lincarnation 169 - 172, 338 - 339.

إنسانا بشريا وحلّ فيه لكى يخلص الانسان كله روحا وجسداً (رو ٥ : ١٢ – ١٥ ، ١ كو ١٥ : ٢١ – ٢٢) (Hom Cate 5. 10. 19) .

وفى هذا الانسان كامل التكوين حلّ اللوغوس أو ابن الله أو الكلمة . والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو – كيف حلّ اللوغوس فى الإنسان يسوع الناصرى . أو كيف تمّت عملية الاتحاد بين الطبيعتين ؟ وكيف فهم ثيودوريوس عبارة والكلمة صار جسداً ؟ .

إن عدداً كبيراً من كتابات أسقف موبسيوست قد ضاع للأسف ، ولكن لحسن حظنا ، أن تفسيره لإنجيل يوحنا والذى يعالج فيه هذه المشكلة أحد كتاباته القليلة الباقية لدينا . فلننظر إذن الآن كيف فهم وشرح هذه الآية . فى شرحه ليوحنا ١ : ١٤ حاول أن يبيّن اللوغوس أو الكلمة لم يصر أو لم يتحول إلى جسد ، بل أن الكلمة أو اللوغوس حل فى الإنسان . ولقد إتخذ من هذا الانسان هيكلا له . فهو يعتقد بأن الكلمة صار جسداً حسب الظاهر . ولم يوجد تغيير أو تحويل فى جوهر اللوغوس بل أنه ظل على ما كان عليه قبل التجسد ، فإن كان الكتاب المقدس يقول صار جسداً . فهو يظن بأن هذه « الصيرورة » لم تحدث إلا حسب الظاهر . ولكن ما حدث فعلا هو أنه أخذ جسداً يعنى أخذ جسداً وروحا أوحلّ فى إنسان . ويقول سيولفن (Sullivan) بأن ثيودوريوس لم ير حلا وسطا بين صار جسداً (التعبير الكتابى) وبين التعبير صار جسداً أى أنه مجرد خيال (Sullivan 228 - 232) .

وعندما ندرس بالتدقيق تفسيره لإنجيل يوحنا ولبعض النصوص الأخرى . نلاحظ بأنه يعتقد بأن جملة « صار جسداً » تعنى أنه جاء لكى يكون فى إنسان : أو ليحل فى إنسان أو يسكن فى إنسان . أو كان إنسانا فى نظر الذين لا يعرفون بأنه كان مختبئاً فى هذا الإنسان (Sul. 233) ولقد إستعمل نفس هذا التفسير فى شرحه لفيلبى ٢: ٧ .

مما سبق يتضح بأن ثيودوريوس يرفض أو على الأقل يتردد فى قبول فكرة أن الكلمة صار جسداً . وهذا يرجع إلى عدة عوامل :

١ – كان يخشى التعاليم المزجية : أى التى تخلط أو تمزج الطبيعتين . فقد حاول جاهداً بأن يميز دون أن يخلط بين اللاهوت والناسوت ، بين الكلمة وبين الإنسان يسوع الناصرى لقد قاوم ابولوناريوس الذى علّم بطبيعة واحدة . إن اللاهوت لم يمتزج أو يختلط بالناسوت لدرجة أن يصبح طبيعة واحدة ، بل أن كل طبيعة ظلت محتفظة بكيانها وخواصها .

٢ – لم يقبل أو ربما لم يفهم فكرة أن الكلمة يمكن أن يصير جسداً دون أن يتحول إلى جسد بطريقة حرفية .

٣ – إن كلمة « إنسان جسد تعنى فى مفهومه فى بعض الأحيان الجنس البشرى كله أو البشرية كلها . أو شيء عام .... ولذلك فقد رفض أن يصير الكلمة البشرية كلها أو الجنس البشرى أو أن يصير شيئاً عاماً .

قد يشعر القارىء للعظة الخامسة بأن ثيودوريوس يتكلم عن أن الكلمة صار جسداً فعلا ، إلا أنه فى حقيقة الأمر غير ذلك . لأنه يرجع فى تفسيره ليوحنا ١ : ١٤ حيث يعترف بأن عبارة صار جسداً تعنى سكن أو حلّ فى جسد . أن الكلمة سكن فى إنسان فى ابن داود وإننا نجد نفس التفسير فى عظته رقم ٥ فى الفقرتين ١٧ ، ٢١ وفى تفسيره لفيلبى ٢ : ٧ . كذلك فى عظته السادسة الفقرة الخامسة (Sul. 228 - 244) .

إن كل من جرير (Greer) ونوريس (Norris) يعتقدان بأن معلم أنطاكية فهم بأن عملية التجسد ليس عملية تحويل الكلمة إلى جسد ، بل صيرورة الكلمة إنسانا حسب الظاهر (Greer 55 Norris 217 - 225) .

رجع كثير من العلماء إلى هذه الفصول التى سبق أن أشرنا إليها . كما أنهم إقتبسوا أيضا فصولا كثيرة أخرى ، لا يسمح لنا ضيق المجال الرجوع اليها لكثرتها ؛ لكى يثبتوا بأن ثيودوريوس قسم المسيح إلى مسيحين بتعاليمه الإزدواجية . ولقد إتهمه الكثيرون أيضا بأنه علّم بوجود ابنين : ابن الله وابن للإنسان .

٤ – مفهوم ثيودوريوس لوحدة شخص المسيح

إذا أردنا أن نعالج مشكلة وحدة شخص المسيح بحسب مفهوم ثيودوريوس لابد لنا بأن نتعرض لثلاثة نقاط هامة : –

١ – ما هو موقف العلماء من تعاليم ثيودوريوس ؟

٢ – محاولة تحليل بعض من تعاليمه .

٣ – تحليل موجز لبعض عظاته التعليمية التى أُكتشفت فى سنة ١٩٣٢ .

١ – ما هو موقف العلماءمن ثيودوريوس ؟

لقد انتقل أسقف موبسيوست إلى العالم الآخر فى نفس السَنة التى نُصِبّ فيها نسطوريوس أسقفا على مدينة القسطنطينية (فى سنة ٤٢٨) وعلى ما يحتمل فإن نسطوريوس كان تلميذا لثيودوريوس . أو كانا كلاهما على الأقل ، على علاقة معا . لم

يشك أحد فى أرثوذكسيه ثيودوريوس فى كل حياته ؛ على أن الشبهات بدأت تحوم حول تعاليمه بعد مجمع أفَسس (٤٣١) وبعد ذلك بدأت تنهال عليه التهم بالهرطقه وأخيراً جاء المجمع المسكونى الخامس سنة ٥٥٣ الذى حكم بهرطقته وحرم تعاليمه . ومن هذا التاريخ حُرِم ثيودوريوس والصِقت به هرطقة نسطوريوس . ولقد كتب باردنهور (Barden hewer) يقول « ومع أننا لا نملك حاليا من كتاباته إلا إقتباسات مبعثرة فهى كافية لكى تثبت بالتأكيد بأن ثيودوريوس كان نسطوريا قبل نسطوريوس . فلقد علّم مثل ديودوريوس بوجود شخصين فى المسيح . الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية أما وحدة الطبيعتين فهى قائمة فى شركة الفكر والارادة .... ويعلق كواستن (J. quasten) على هذا النص بالقول بأن هذا الحكم يجب أن يتغير (أو لا يؤخذ فى الاعتبار) بعد إكتشاف العظات التعليمية .

مما لا شك فيه بأن إكتشاف مجموعة العظات التعليمية (١٦ عظة) فى سنة ١٩٣٢ قد غير جزئياً الرأى السائد حتى ذلك الوقت ، والذى يقول بأن ثيودوريوس قسم المسيح إلى إثنين وعلّم بوجود اثنين . ومع أن الرأى العام بخصوص مجمع سنة ٥٥٣ ، المجمع الذى حكم على ثيودوريوس وتعاليمه قد تغير جزئيا . فإن العلماء مازالوا منقسمين فيما يخص تعاليمه . فالبعض منهم يظن بأن أسقف موبسيوست قد قسم المسيح إلى اثنين وكان نسطوريا قبل نسطوريوس . وأما البعض الآخر فيعتقد بأن تعاليم ثيودوريوس أرثوذكسية أو ليست بعيدة عن الأرثوذكسية ..

من المعروف أن المجمع الخامس المسكونى (٥٥٣) قد بنى حكمه بهرطقة أسقف موبسيوست على الشذرات أو الاقتباسات المأخوذة من كتابه التجسد (De. Incarnatione) . ولقد قام ليونس البيزنطى بجمع هذه النصوص وتقديمها للمجمع وقد اقتبس ليونس البيزنطى ٣٦ اقتباسا من كتابات ثيودوريوس المختلفة ثم ٢٩ إقتباسا من كتابه التجسد ، ثم ٦ نصوص من كتابه الذى يدعى « ضد ابولوناريوس » Contra Apollinarem . وإقتبس الامبراطور بوستينيانوس (yustinien) « اللاهوتى » = المعلم من هذا الكتاب الاخير ٨ اقتباسات . (Sul. 35 - 45) .

وبما أن المجمع الخامس أصدر حكمه بالحرم على ثيودوريوس وتعاليمه بناء على تلك الوثائق السابقة الذكر ، فأن بعض العلماء بنى أيضا حكمه بأدانة تعليم الأسقف الموبسيوستى استناداً على هذه الوثائق عينها . ولكن البعض الآخر من العلماء ، رفض الحكم ، لأنه يعتقد أن بعض هذه المقتطفات والاقتباسات التى حكم بموجبها المجمع الخامس بهرطقة ثيودوريوس – هى إقتباسات مزورة ، أو على الأقل بعضها مزوّر . فإن كلا من العالم ريشارد (M. Richard) ديفرس (Devresse) قد قاما بعمل أبحاث دقيقة بينّا فيها أن المجمع الخامس إستند فى حكمه على اقتباسات مأخوذة من مصادر بعضها

مزيف والبعض الآخر من مصادر معادية ليثودوريوس . كما أنهما قد وضحا بأنه عند مقارنة هذه الاقتباسات مع بعض النصوص المكتشفة حديثا يلاحظ التزوير فى هذه الوثائق . ولهذا السبب فإن كلا من ريتشارد وديفرس وآمان وآخرين من العلماء الذين درسوا الوثائق المكتشفة حديثا عن تعاليمه ؛ وصلوا إلى النتيجة التالية : وهو عدم إستخدام هذه الوثائق : أى الوثائق المزيفة ، لدراسة تعاليم ثيودوريوس الحقيقية . كما ينصح البعض منهم ، بأن الذى يريد التعرف على أفكار ثيودوريوس الحقيقية يجب عليه الابتعاد عن هذه الاقتباسات المزيفة ، والرجوع بالحرى إلى الوثائق الموالية والمؤيدة لأسقف موبسيوست — وخاصة النصوص السريانية . ولكن العالم سيولفن رفض هذا الاعتراض[٦]* .

فمع أن الاكتشافات الحديثة لعظات ثيودوريوس كان لها أهميتها العظيمة وغيرت كثيراً فى وجهة النظر والحكم على تعاليم أسقف موبسيوست . فإن العلماء مازلوا منقسمين فيما يخص الحكم على ارثوذكسية أو هرطقة معلم أنطاكية . ونذكر هنا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر بعض العلماء من الجانبين .

إن العالم آمان (E. Amann) يُعد واحداً من العلماء اللامعين الذين حاولوا تبرئة ثيودوريوس من الهرطقة التى نُسبت اليه . ففى سنة ١٩٣٤ أخذ المبادرة بكتابة مقال مطول عن إكتشافات العظات التعليمية لثيودوريوس ، وكيف أن هذه العظات تشتمل على عناصر وأفكار تؤيد وحدة شخص المسيح . على عكس ما هو معروف وسائد ، بأن المعلم الأنطاكى قد قسم المسيح إلى اثنين بتعاليمه . ثم أشار إلى عظة ثيودوريوس الثالثة قائلا « ففى العظة الثالثة نلاحظ بلا مبالغة . وحدة شخص المسيح وثنائية طبيعته[٧] ومع أن آمان يعترف بوجود بعض النقص فى شرح ثيودوريوس فيما يخص موضوع « السكن » أى حلول أو سكن الكلمة فى الإنسان يسوع ، فإنه ينبر بشدة وبدون ملل على وحدة المسيح .

وبعد سنة من ظهور هذا المقال ظهرت دراسات أخرى على عظات هذا الأسقف وقد كتبها العالم م .جيجى (M. Gugie)[٨] نقد فيها تعاليم ثيودوريوس نقداً لاذعا إذ قدمه

★ لدراسة هذا الموضوع بتوسع الرجاء دراسة المراجع الآتية :

6. J. quasten 581 - 583 Liebaert 169 - 170, Grillmeier 394 - 395, Devresse. par quelle voie nous sont parvenus les commentaires de Théod de mops .... R. B 39 (1930) 362 - 377, M. Richard La Tradition des Frag.. du Traite peri. Tes enanth ropesos de Théo.... Mus. 46 (1943) 55 - 75.

7. E. Amann. La Doctrine Christolo Gique de Theod... de Mops... Res. 14. (1934) 160 - 190.

8. M. Jugie. Le Libèr & d baptiza Ndos de theod.. de Mop... dans. Eo 34 (1935) 262 - 271.

للجماهير كالأب الحقيقى للهرطقة النسطورية ، وأن عظاته التعليمية المكتشفة حديثا هى خير دليل على ذلك . ويعتقد جيجى بأن ثيودوريوس قد قسم بتعاليمه المسيح إلى شخصين متميزين ، وأن محاولته لاتحادهما فى بروسوبون واحد = (إقنوم) ما هى إلا محاولة شخصية نتج عنها وجود كائنين متميزين . الكلمة ويسوع (Sul. 19 - 20) .

وفى سنة ١٩٣٩ نشر ديفرس (Devresse) تفسير ثيودوريوس للمزامير (مز ١ – ٨٠) وقد حاول ديفرس الدفاع عن أرثوذكسية أسقف موبسيوست[9] على أن ج م فوته (GM. Vosté) يعتقد بَعدَ أن درس هذا التفسير للمزامير أن الاتحاد الذى يتكلم عنه ثيودوريوس ما هو إلا اتحاد أدبى بين الإنسان المحمول – يسوع الناصرى وبين الكلمة . ولقد وافق على النقد الذى قدمه ديكامب (Diekamp) والذى يقول بأن تفسير ثيودوريوس للمزامير يثبت ويؤيد التعاليم التى تنادى بوجود شخصين فى المسيح . فقد فرّق لابل فصل بين كلمة الله والإنسان المحمول . والتفريق الذى يتكلم عنه ثيودوريوس ، بحسب مفهوم ديكامب موجود ليس فقط فى الطبيعة بل فى الإقنوم (الشخص) (Sul. 21) وبعد ظهور كل هذه الابحاث والمعلومات والدراسات ونشرها ، قدم العالم الكاثوليكى آمان فى سنة ١٩٤٦ دراسة علمية أخرى عميقة وشاملة عن أسقف موبسيوست وعن تعاليمه . فمع أن آمان (E.Amann) قد ركز بحثه فى هذا على العظات التعليمية التى اكتشفت سنة ١٩٣٢ إلا أنه لم يهمل الدراسات والأبحاث والمقالات التى تعرضت لمعالجة هذا الموضوع حتى تاريخ كتابته للبحث وقد خرج من بحثه الرائع بالنتيجة التالية . كان ان ثيودوريوس أرثوذكسيا* فى تعليمه (E. Amann D. e.t 15. P.235 - 278) .

ولا يمكننا أن نتعرض هنا لتحليل أفكار كل الذين كتبوا ناقدين تعاليم ثيودوريوس أو متفقين معه لكثرتهم ، على أننا نعتقد أنه من الضرورى ذكر ما قاله العالم المعاصر كواستن « يجب أن لا يغيب عن بالنا بأنه فى العصر الذى كان يعيش فيه ثيودوريوس كانت عقيدة شخصية المسيح والعلاقة بين بروسوبون (Prosopon) (شخصية) وإقنوم هيبوستاس (Hypoostase) ثم طبيعة (Physis) لم يتعرض لها أى مجمع مسكونى بعد . وإنه من الخطأ التاريخى أن نلوم ثيودوريوس بأنه لم يعتنق العقيدة التى تبناها مجمع خلقدونية فيما بعد . ويواصل شرحه فيقول « إن جريلميير (Grillmeier) بعد أن درس بطريقة جدّية كل كتاباته الصحيحة . ويصل إلى هذه الخاتمة قائلا بأنه فى الفترة ما بين سنة ٣٨١ – ٤٣١ لا يوجد أى شخص إستطاع أن يعمل على تقدم العلوم الكرستولوجيه على قدر ما

9 R.A. Norris. Manhood and Christ. A study in Christology of Theod... of Mopsuestia. P. 159...

* إن كلمة ارثوذكسى هنا تعنى مستقيم فى تعليمه أو غير هرطوق

عمل نيودوريوس الموبسيوستى على تطويرها ونقدمها . فمع ان تعاليمه قد إحتوت على بعض الاتجاهات الخطيرة ، إلا أنها قدمت عناصر إيجابية كانت تتفق نسبيا ومجمع خلقدونية ، لابل أعدت له الطريق » كواستن (Quasten 585) ثم يقول ليبارت (J. liebaert) إنه من الظلم بأن نصف ثيودوريوس بأنه نسطورى قبل ظهور نسطوريوس (Liebaert. 169) .

٢ - محاولة تحليل بعض تعاليمه

عندما ندرس تعاليم أسقف موبسيوست ، يجب أن لا ننسى تاريخ حياة هذا الرجل والبيئة التى نشأ فيها ، والثقافة التى تثقف بها ، والتعاليم الدينية التى تلقنها ، والوسط الذى عاش فيه . ولقد سبق أن رأينا أنه كان فى كل حياته ككاهن وأسقف فى صراع مستمر ضد الهرطقة الأريوسية التى أنكرت لاهوت المسيح . كما أنكرت أيضا وجود روح بشرية فى المسيح . كما أنه كان فى صراع أيضا ضد أبولوناريوس الذى أنكر وجود روح بشرية فى المسيح . وعلم بأن الكلمة هو المحرك لجسم يسوع . واجه ثيودوريوس هاتين الهرطقتين الأولى التى حاولت هدم عقيدة مساواة جوهر الابن بجوهر الآب ، والثانية التى حاولت هدم ناسوت المسيح أو التقليل من أهميته أو إخفائه فى اللاهوت ؛ ونادى ثيودوريوس معلماً بأن المسيح كان ذا طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى . وقد ركز اهتمامه الأعظم على أن يبرهن لأتباع أريوس أن الكلمة أو ابن الله أزلى لا بداية لوجوده ، فهو الله الذى ظهر فى الجسد . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد ... » (١ تيمو ٣ : ١٦) وأن هذا الإله الذى ظهر فى الجسد هو من جوهر الآب وليس بغريب عليه فهو من نفس طبيعته (Hom.. Caté.. 3: 13 - 14) وإن الكلمة من طبيعة الاب (Hom. Cat. 3:15) ولقد حاول ثيودوريوس أن يشرح للأريوسيين وللأبولوناريوسيين أن الله اللوغوس قد حلّ بملء اللاهوت فى الإنسان يسوع الناصرى (Hom. Cat. 5:1-9) ١ تيمو ٣ : ١٦ ، فى ٢ : ٧ ، رو ٨ : ٣) . فهو يعتقد أن الذى وُلِدَ وعاش وصلب ومات وقام هو الإنسان يسوع الذى حلّ فيه اللاهوت . وهذا الإنسان كان مكّونا تكويناً عاديا وكاملا مثل كل إنسان .

كان جل اهتمام ثيودوريوس إذن رفض هاتين الهرطقتين ، ولكى يرفضهما كان يشدّد كثيرا جداً على خواص ومميزات وصفات كل طبيعة من الطبيعتين على حدة لدرجة أن الدارس لبعض كتاباته يشعر فى بعض الأحيان بأنه يفصل بين اللاهوت والناسوت . وفى حقيقة الأمر كل ما كان يريد ثيودوريوس أن يوضحّه هو تمييز الطبيعتين لا فصلهما . فإن كنا قد رأينا فى الصفحات السابقة أنه تكلم عن كل طبيعة ، كما لو كانت منعزلة ومنفصلة عن الأخرى فإنه إتبع هذا النظام لكى ينبر على حقيقة وجود كل طبيعة وجودا كاملا

وبالرغم من هذه الازدواجية فإنه لم يهمل قط التشديد على حقيقة الاتحاد . ولقد كرر هذا الأمر بطريقة لا تعرف الملل .

ولنتقدم الآن لدراسة مفهوم – ثيودوريوس لعملية الاتحاد : إتحاد اللاهوت بالناسوت يعتقد أسقف موبسيوست بأن عملية الاتحاد التى تمتّ بين الكلمة الله المُتجسد والإنسان المُتجسد أو بين الكلمة الحامل والإنسان المحمول ؛ لم تتم أثناء العماد كما يظن كثير من علماء اللاهوت بل تم هذا فى اللحظات الأولى من الحمل فى اللحظة التى بدأ فيها يتكّون الجنين فى بطن مريم العذراء التى حبلت بطريقة معجزية بقوة الروح القدس (P.G. 66. 976 D 7 - 9) (Tixeroont p. 15 - 22) وبهذا التصريح الواضح يغلق ثيودوريوس الباب أمام الذين يعملون ومازالوا ينادون بأن الكلمة أو اللوغوس لم يحل على الإنسان يسوع الناصرى إلا عند عماده بالماء ونزول الروح عليه . فإن هؤلاء يعتقدون بأن الصوت الذى نزل من السماء وقال « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣ : ١٧) كان إعلانا بالنسبة ليسوع . ومن هذه اللحظة أصبح ابنا لله ، ومن هذه اللحظة أيضاً أدرك يسوع أنه ابن الله . أما ثيودوريوس فهو يرفض هذا الفكر تماما ، ويؤكد أن عملية إتحاد ابن الله بابن الإنسان تمت فى اللحظة الأولى من الحمل وليس بعد عماده من يوحنا وبعد ميلاده ، كان الطفل يسوع ينمو ويكبر كأى طفل آخر . « وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) (P.G. 976 D 9 - 10 ولكن هذا لا ينبغى أن اللوغوس كان ساكنا بطريقة مستمرة فى هيكله أى فى يسوع وهنا نرى الطبيعتين ، الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية ، وقد إتحدتا فصارت طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى ، رغم اتحادهما . ولقد كتب يقول « عند النظر إلى هاتين الطبيعتين فى حد ذاتهما قبل الاتحاد ترى (شخصين)أقنومين بروسوبونين (Tlpoowtla) ولكن بما أن الناسوت لم يوجد إلا محمولا من الكلمة ومتحدا به فإننا لا نعترف إلا بيروسوبون « وبإقنوم واحد » .

وفى نص آخر يقول « لم يكن إلها فحسب ولم يكن مجرد إنسان ولكنه كان بالطبيعة فى الاثنين إله وإنسان . إنه الله الكلمة الذى حَمَلَ وهو الإنسان الذى حُملَ . فإن الذى فى هيئة الله حَمَلَ هيئة العبد . وأن الذى على هيئة العبد ليس هو الذى على هيئة الله فإن الذى على هيئة الله هو بالطبيعة الله ، وهو الذى حَمَلَ هيئة العبد . ولكن الذى على هيئة العبد هو بالطبيعة الإنسان المحمول فالذى حَمَلَ لم يكن إذن هو نفس المحمول ولا المحمول هو نفس الذى حمل . فإن الذى حمل هو الله بينما المحمول هو الإنسان فالذى حَمَلَ هو الله الآب بالطبيعة لأنه إله من إله ... وأما المحمول فهو بالطبيعة كداود وابراهيم لأنه ابنهما .... (Hom ... Cate.. 8:1) .

إن هذين النصين فى غاية الأهمية ، لأن ثيودوريوس يتكلم فيهما بطريقة واضحة وصريحه عن الطبيعتين . ففى النص الأول يتكلم عن وجود أقنومين أو بروسوبونين « عندما ننظر إلى كل طبيعة مستقلة بذاتها » . ولكن سبق أن أشرنا إلى أن ثيودوريوس يعتقد أن الطبيعة البشرية لم توجد منفصلة ولا لحظة واحدة إذ أن اللاهوت أو الكلمة منحها – أو وهب لها أقنومه (بروسوبونه) وعن طريق هذه الهبه إتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية فى إقنوم واحد .

وفى النص الثانى يتكلم عن إتحاد الكلمة الحامل بالإنسان المحمول . فإن الله بطبيعته كان حاضراً فى هذا الإنسان : فهو يقول « لم يكن إلهاً فقط ولم يكن مجرد إنسان بل كان الاثنين معا » « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » لقد كرر كثيراً فى هذا النص كلمة حامل وقصد بها الله ، والمحمول وقصد بها الإنسان ، لكى يميّز ما هو إلهى وما هو بشرى ، لكى يميز بين الطبيعتين بين اللاهوت وبين الناسوت . لأنه كان فى حرب مستمرة ضد الهرطقة الأريوسية والهرصقة الأيولوناريوسية إن جملة « ولكنه كان بالطبيعة فى الإثنين إله وإنسان » تظهر تمسك أسقف موبسيوست بالوحدة التى تمّت فى إقنوم المسيح ، وبين اللاهوت والناسوت . كما إنها تظهر أيضا التمييز بين هاتين الطبيعتين . فإن تمييز الطبيعة الإلهية عن الناسوت أو الناسوت عن اللاهوت لا يلاشى بأى حال من الأحوال هذه الوحدة . ولذلك فقد كتب يقول « ... وبكل تأكيد فإن التمييز بين الطبيعتين لا يلاش الاتحاد الوثيق أو المضبوط (La Conyonction Exacte) ولا هذا الاتحاد الوثيق (أو الاتحاد القوى المترابط) يزيل التمييز بين الطبيعتين . ولكنّ هاتين الطبيعتين المتميزتين تظلان فى جوهرها ويظل إتحادهما لازما لأن المحمول يشترك مع الحامل فى الشرف وفى المجد (Hom.. Cate 8:13) .

لقد خشى معلمو الاسكندرية أن يؤدى تمييز الطبيعتين إلى فصل أو قسمة المسيح الواحد . كما خشى إيضا معلمو أنطاكية أن يؤدى إهمال التمييز بين الطبيعتين إلى زوال أو ملاشاة إحدهما . ولهذا فأن ثيودوريوس الأنطاكى ينبّر بشدةّ على وجود طبيعتين متميزتين الواحده عن الأخرى . ولكنهما متحدتان باتحاد قوى ثابت ، فالكلمة والإنسان صار إقنوما واحداً بفضل عملية الاتحاد (Comm... On Eph. Swete. Ip . 142) .

فإن كان ثيودوريوس قد اهتم كثيراً بشرح الطبيعتين والتحدث عنهما ، فى معظم مؤلفاته ، مميزا كل طبيعة عن الأخرى فإنه كتب أيضا الكثير ، والكثير جدا عن وحدة هاتين الطبيعتين . ومن هنا يتضح أن هدفه لم يكن تفريق أو فصل الطبيعتين بل تمييز خواص كل طبيعة عن الأخرى . وقد كتب سيولفن عن حق يقول « إن كل ما وصل إلينا من أعمال ثيودوريوس سواء كتابات كاملة أو إقتباسات يؤيد أنه علّم باتحاد الطبيعتين ، الكلمة والإنسان فى إقنوم واحد (Sul. 259) إن هذه الوحدة حسب مفهوم ثيودوريوس

ليست هى مجرد وحدة التعاون – بل وحدة قوية وعميقة وكما يقول كالتيه « إن التعاون بين الكلمة والإنسان ما هو إلا نتيجة الاتحاد ..... وليس الاتحاد نتيجة التعاون بل العكس هو الصحيح ، لأن هذا الاتحاد هو الذى جعل من الكلمة والإنسان إقنوما واحداً ذا طبيعتين (Galtier 177, 338) .

فإن التعاون المشترك بين الإرادة الإلهية وبين الناسوت ما هو إلا النتيجة وليس الأساس لتجسد الكلمة لأن الاتحاد قد بدأ منذ بدء تكوين الناسوت فى بطن مريم . لقد كان إتحاداً قويا وعميقاً . لهذا السبب فإن كاليته لا يتفق مع بعض العلماء الذين يقولون بأن الاتحاد الذى يتكلم عنه ثيودوريوس ما هو إلا إتحاد أدبى* .

سبق أن أشرنا أن ثيودوريوس كان يريد هدم التعاليم الأبولوناريوسية عن الطبيعة والتعاليم الأريوسيه – وتعاليم أخرى كانت منتشرة فى عصره . ولذلك فقد حاول أن يرسم صورة لمسيح إله – إنسان . وفى محاولة رسمه لهذه الصورة الإلهية – البشرية ، أبرز بطريقة محسوسة وواضحة ، الملامح الكبيرة والصغيرة التى تشير إلى كل الصفات الإلهية وإلى كل الصفات البشرية فى شخص المسيح الواحد : كانت هذه الصفات الالهية – البشرية المرسومة فى هذه اللوحة واضحة جداً وبارزة وظاهرة لدرجة أن الناظر اليها يكاد يرى ابن الله بجانب ابن الإنسان .

كان هذا فعلا هو غرض ثيودوريوس ؛ ولكن لم يكن هذا كل غرضه . فمع أنه كان يريد أن يّميز بطريقة واضحة بين الله وابن الإنسان ، فإنه لم يهمل قط – لابل شدّد فى كل كتاباته على – الوحدة بين ابن الله وابن الإنسان . ولهذا ، ولكى يبيّن أيضا قوة وعمق هذه الوحدة ، فقد إستعمل الاصطلاح بروسوبون (Prosopon) أو إقنوم حتى يعبر به عن هذه الوحدة القوية وسيولفن بعد أن قام بدراسة طويلة ومعقدة لمفهوم ثيودوريوس لاصطلاح إقنوم = بروسوبون يقول ما ملخصه : « فإن الكلمة والإنسان المحمول كوّنا معا (بروسوبونا) أو إقنوما واحداً .... فعندما يذكر ثيودوريوس هذا الاصطلاح (بروسوبون) إقنوم يعنى أنه يوجد شخص واحد أو إقنوم واحد ، الذى يتكلم عنه الكتاب المقدس إما ليشير به إلى الكلمة أو إلى الإنسان المحمول وهذا الشخص الوحيد الإقنوم « πρόσωπον » هو نتيجة اتحاد الطبيعتين (Sul. 263) (Home. Cat. 3.10) .

فعندما نرى فى كتابات ثيودوريوس الاصطلاح بروسوبون يجب أن نفهم حالا بأنه يقصد به شخص المسيح = أى اللاهوت والناسوت معا الله – الإنسان . فهو يستعمل

---

* فيما يخص مشكلة الاتحاد الجوهرى والادبى انظر كل من :
Greer P. 56, Tixeront 15 - 17.

هذا الاصطلاح لكى يعبر به عن الوحدة القوية العميقة الموجودة بين هذين الجوهرين المختلفين : اللاهوت والناسوت . فعندما يريد التحدث عن الله يتكلم عن اللوغوس أو عن ابن الله أو عن اللاهوت أو عن الابن الوحيد ..... وعندما يريد التحدث عن الناسوت فهو يستعمل كلمة الإنسان أو ابن الإنسان أو ابن داود أو ابن مريم أو ابن إبراهيم الخ ... ولكن عندما يريد أن يتحدث عن الاثنين متحدين معا : اللاهوت والناسوت فهو يستخدم الاصطلاح إقنوم (بروسوبون) وبهذا إستطاع ثيودوريوس أن يقدم صورة للمسيح يمكننا أن نسميها صورة ثنائية وحدوية (Image dualiste Unitaire) فهى صورة ثنائية لأنه يتكلم عن كل طبيعة بطريقة تكاد تكون إنعزالية عن الناسوت وعن اللاهوت . وهى أيضا صورة وحدوية (Unitaire) لأنه حاول عن طريق إستخدامه للاصطلاح بروسوبون أن يقوم مسيحا واحداً وبما أننا بصدد الحديث عن إستعمال ثيودوريوس لكلمة إقنوم لا يفوتنا أن ننبه الدارس إلى أن أسقف موبسيوست لايعلم بوجود شخص ثالث أو إقنوم ثالث تنتج عن إتحاد اللوغوس بالإنسان يسوع . وكما يقول كالتيه (Galtier) بأن هذا الفكر لا أثر له لا فى تعاليم الآباء ولا فى تعليم ثيودوريوس (Galtier 178) إن كل ما يريد أن يقوله هو أن الكلمة اتحد بنفسه فى عملية التجسد الناسوت وأصبح الاثنان إقنومان واحد* وهذا ما يسميه ثيودوريوس بعملية السكن .

بعض الأمثلة لشرح عملية إتحاد الطبيعتين

استعمل أسقف موبسيوست عدة صور لكى يشرح بها الاتحاد بين اللاهوت والناسوت . فقد حاول أن يقدم فى تعاليمه طبيعتين فى مسيح واحد وفى إقنوم واحد . ولقد إستخدم فى شرحه لهذه الوحدة التى يسميها الوحدة المضبوطه أو الوحدة الوثيقة أو الوحدة الصحيحة عدة أمثلة كتابية وغير كتابية لندرس بعض هذه التشبيهات التى أراد أن يشرح بها معجزة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

١ – مثل السكن (L'inhabitation)

إن وحدة الطبيعتين المختلفتين اللاهوت والناسوت تحققت فيما يسميه بنظرية « سكن الكلمة الإلهي فى الإنسان المحمول L'inhabitation du uerbe divin dans L'home assumptus* .

---

* وكما يقول جريلمير (Grill....) عندما نريد البحث عن الازدواجية يجب أن نرجع إلى الطبيعة أو الهيبوستاس . ولكن عندما نريد البحث عن الوحدة يجب أن نرجع إلى البروبويون (الأقنوم) (Grillmeier 413)

* تعبير لاتينى يعنى الانسان المحمول أو الناسوت .

وفى شرحه لهذه المشكلة إستخدم – مثل معاصريه – بعض الاصطلاحات التى تعبر عن سكن الله فى الإنسان . مثل إتحاد ، إرتباط ، سكن ، علاقة ، حلول ، خيمة ، هياكل الخ ..... .

وكان الأنطاكيون يستعملون هذه الاصطلاحات (Tixeront 16 - 22) . وبما أن ثيودوريوس أنطاكى فقد إستخدمها هو أيضا لكى يشرح بها معجزة التجسد . ولكنه كرر كثيراً كلمة « سكن » ولحسن الحظ بإن أطول الشذرات أو الاقتباسات الباقية من كتاباته والتى وصلت إلينا هى من الأجزاء التى تتكلم عن موضوع السكن أى علاقة الكلمة بالإنسان De inearnatione. Y. frag..1 of leoncius. p.g. 66. 972 - 996 .

لقد سبق أن أشرنا فى الصفحات السابقة عن مفهوم ثيودوريوس ليوحنا ١ : ١٤ فهو يعتقد بأن الكلمة لم يصر أو لم يتحول إلى جسد ، بل أن الكلمة أو اللوغوس ، الله نفسه سكن فى الإنسان يسوع . فالله لم يتحول إلى إنسان . وبهذا فقد حاول أن يتجنب مشكلة التغيير أو التحويل فى جوهر الله . ولقد كانت هذه النقطة من نقاط الضعف فى تعاليم ثيودوريوس لأنه لم يستطع أن يفهم كيف أنه من الممكن أن يصير جسداً جسداً دون أن يفقد لاهوته أو يتخلى عنه . ولهذا السبب ، وحفاظا على عقيدة التمييز بين الطبيعتين وعلى وحدتهما ، فقد لجأ إلى عملية السكن لكى يحل مشكلة وحدة المسيح أو الإقنوم .

فهو يعتقد بأن الكلمة قد اتحد بالناسوت منذ اللحظة الأولى للتجسد . وإتخذ اللوغوس هذا الناسوت أو الإنسان أو ابن داود بحسب الجسد ، كهيكل له . وعن هذا الهيكل : أى عن جسده يقول المسيح « ... إنقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمة (يو ٢ : ١٩) فهو الخيمة التى حلّ فيها اللوغوس « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا » كول ٢ : ٩) وهنا يلاحظ القارىء وجود عنصرين مختلفين تماما . الخيمة والساكن فى الخيمة أو الهيكل والساكن فى الهيكل . فالأول يختلف عن الثانى فى الجوهر . كذلك الكلمة اللاهوت حل فى الناسوت فى الإنسان يسوع الناصرى . هذا هو التمييز بين ما هو لاهوتى وما هو بشرى . بين الله والإنسان . وبالرغم من هذا الاختلاف فى الجوهر . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد .... » فإن الله قد إتخذ لنفسه يسوع كسكن وكهيكل له . لأنه جاء ليسكن بملء لاهوته فى هذا الإنسان يسوع . وبالرغم من هذا الاختلاف الجوهرى العظيم بين العنصرين ، يشدد ثيودوريوس على الوحدة بينهما ، فإن هاتين الطبيعتين أصبحتا إقنوما واحداً وشخصاً واحداً بفضل عملية الاتحاد العميق الذى حدث بين الجوهرين .. وهو يقول « لم يكن إلهاً فقط ولا مجرد إنسان ، ولكنه كان فى الاثنين بالطبيعة إلهاً وإنسانا (Home. Cat. 8.1) .

والسؤال الذى يخطر على ذهن القارىء هو : ما الفرق بين سكن اللوغوس فى يسوع

الناصرى وسكن الله فى الإنسان المؤمن ؟ ألم نصبح نحن كمؤمنين هياكل لله ؟ (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢ كو ٦ : ١٦) أو ما الفرق بين سكن الله فى يسوع وسكنه فى الأنبياء والرسل والمؤمنين عامة وقيادته لهم ؟

يعتقد أسقف موبسيوست بأنه توجد عدة طرق لحلول الله وسكنه فى الإنسان . فإنه موجود بطريقة عامة فى العالم ، ولكنه موجود بطريقة خاصة أيضا فى المؤمنين وبطريقة أخص فى الأنبياء والرسل ترى هل حلّ اللوغوس على الإنسان يسوع الناصرى بطريقة من هذه الطرق ؟ لقد إعتقد البعض بأن الاتحاد أو السكن الذى يتكلم عنه ثيودوريوس هو إتحاد أدبى فإن جرير (Greer يظن بأن إتحاد جوهر بآخر غير ممكن ، إذ أن جوهر الواحد يُبعد أو يلاشى بوجوده جوهر الآخر (Greer. 56) ويوافقه على ذلك تيكسرونت (Tixeront 16 - 20) أما أسقف موبسيوست فهو يعتقد بأن الله يسكن فى الأبرار أو فى القديسين لأنه يجد مسرته فيهم . وبناء عليه فإنه حل بملء اللاهوت فى ابنه يسوع لأنه وجد مسرته فيه . ألم يقل له الآب عند المعمودية « أنت ابنى الحبيب الذى به سررت » (مر ١ : ١١) ألا يوجد إذن أى فرق فى مفهوم ثيودوريوس بين سكن الله فى المؤمنين والأنبياء وبين سكن اللوغوس فى يسوع الناصرى ؟ إن معلم موبسيوست يرى فروقا شاسعة بين الحالتين . فإن كان اللوغوس قد حلّ فى يسوع وسكن فيه عن طريق المسرة ، إلا أنه سكن فيه كابن . وهنا يختلف سكن اللوغوس فى الإنسان المحمول اختلافا كليا عن سكن الله فى المؤمنين الذين صاروا هم أيضا أولاداً لله عند قبولهم الابن كمخلص (يو ١ : ١٢) ويقدم ثيودوريوس عدة فروق بين بنوية يسوع وبنوية المؤمنين :

أ – لا شك أن الله يريد أن يكون الإنسان هيكلا له بصفة دائمة ، ولكن للأسف الشديد ما أكثر المرات التى يبتعد فيها الإنسان عن سيده ، وبدل أن يُصبح سكناً لله يصبح سكنا للشيطان . وهنا يظهر الفرق الكبير بين سكن الله فى الإنسان المؤمن وسكنه فى الإنسان المحمول : ابن داود فإن يسوع أصبح منذ اللحظة الأولى للتجسد سكنا للوغوس وظل هكذا إلى أن جلس عن يمين الآب وحتى الآن . فلقد أصبح يسوع هيكلاً ، أو مسكنا للوغوس بصفة مستمرة بلا إنقطاع . ولقد كتب يقول « لم يكن هيكلا لوقت ما أو من وقت لآخر ، كلا فإنه هو هيكله الذى لا ينفصل عنه إذ أنه مرتبط بروابط قوية تفوق الوصف » (Hom. Caté. 8:7) (Tixeront 18 Greer. 57 - 59) ويواصل شرحه فى هذه العظة التعليمية فيقول « يجب أن نفهم جيّداً هذه الوحدة التى لا تعرف الانفصال . فإن هيئة العبد لا يمكن أن تنفصل فى أى لحظة عن الطبيعة الإلهية التى لبستها (Hom. Cat. 8:13) إن ثيودوريوس يعتقد بأن هذا الاتحاد الذى تمّ بين اللوغوس والناسوت كان قويا وعميقا لدرجة أن اللاهوت كان مصاحباً وملازما للناسوت فى كل لحظات الحياة وأخطرها . فحتى فى ساعات الصلب والموت لم يبتعد عنه

(Galtier 173) ففى الساعات الحرجه الخطيرة لم يبعد اللاهوت الموت عن الإنسان يسوع لأن الموت يوافق طبيعة الناسوت ، فالموت أمر طبيعي للانسان ، على أن اللاهوت تدخلّ لكى ينقذه من الموت النهائى . ولذلك فقد أقامه وأجلسه عن يمين الآب مكللا بالمجد والعظمة (عب ٥ : ٧ – ٨) (E.amann. D.T.C. 260) .

ب – إن التجسد لم يكن مجرد تعاون فقط بين الكلمة والإنسان المحمول ، كما يتعاون الله مع المؤمنين ، بل أن اللوغوس قد حلّ فى هذا الإنسان لكى يكمل بهذا الإنسان المُتَّجَسد وفيه كل شيء : أى عملية الخلاص « إن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كو ٥ : ١٩) ففى ابن آدم (ابن إبراهيم) قام الكلمة اللوغوس ابن الله الوحيد بتنفيذ عملية خلاص البشر[١٠] .

فعندما حلّ اللاهوت فى الناسوت . كان اللاهوت هو الذى يحرك ويرشد ويجرى المعجزات . فهو الذى كان يقوم بأخذ المبادرات . كما أنه أشرك المحمول (الإنسان) فى صنع قواته وأمجاده وهنا يظهر التعاون بين اللاهوت والناسوت ، هذا التعاون الناتج عن الوحدة الوثيقة القوية بين الاثنين (Galtier 176) وهنا يشير ثيودوريوس إلى فارق ثالث بين سكن الله فى الإنسان وسكنه فى يسوع الناصرى .

ج – عندما سكن اللوغوس فى الإنسان يسوع منحه إمتيازات إلهية لابل أشركه معه فى المجد والكرامة .... ولقد وعظ الأسقف قائلا « ... ولكنّ هاتين الطبيعتين المتميزتين تظلان فى جوهرهما ويظل إتحادهما لازماً لأن المحمول يشترك مع الحامل فى الشرف وفى المجد لأنه لأجل هذا أراد الله بان يحمله (Hom. Cate. 8:17) ويعتقد ثيودوريوس بأن كلام المسيح فى يوحنا ٥ : ٢١ – ٢٣) يوضح فكرته هذه فإن الآب قد منح الابن أن يقوم بعمل المعجزات ، لابل أن الناسوت سيدين العالم أيضا مع اللاهوت (Hom. 7: 13) هذه الشركة فى المجد والكرامة نراها واضحة فى الرسالة إلى أهل فيلبى فإن الذى رُفِعَ وأُعطِى اسماً فوق كل اسم والذى ستجثوا له كل ركبة هو الإنسان المحمول – لأن الكلمة غير محتاج إلى هذه الرفعه . وبما أن الكلمة هو الذى رفع الإنسان يسوع إلى المجد والعظمة فقد أشركه أيضا معه فى قبول العبادة . فهو معبود أيضا مع اللوغوس . لأن الإنسان واللوغوس يكونان معا الإقنوم الثانى فى الثالوث . والثالوث آب وكلمه وروح قدس وهم موجودون معا فى الإنسان المحمول (يو ١٤ : ١٠ ، ١ : ٣٢ – ٣٤ ، ١ كو ٢ : ١١ (E. Amann D.T.C. 265) .

فإن ثيودوريوس يعتقد بأنه بفضل الاتحاد وعن طريقه – صار الكلمة اللوغوس والإنسان يسوع إقنوما واحداً (Comm... On EPH.. Swete I P, 142) ويستعمل

10. Hom. .... Caté.... 5:18, 7:13, 5: 5-6, 7:14

ثيودوريوس مثل صورة آخر لشرح هذه الوحدة بين اللاهوت وبين الناسوت وهو :

٢ – مثل الزوج والزوجة

يعتبر معلم أنطاكية من الرجال الكتابيين العظماء لأنه حاول دائما فى كتاباته أن يؤيد أفكاره العقائدية بنصوص من الكتاب المقدس . ولهذا فهو يرجع كعادته إلى الكتاب المقدس لكى يبرهن على وحدة المسيح . ولذلك فهو يستعمل مثل الزوج والزوجة وكيف أنهما قد أصبحا بعد الزواج واحداً من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد (مت ١٩ : ٥ – ٦) لقد أراد ثيودوريوس باستخدامه لهذا النص أن يبيّن أنه بالرغم من أن الرجل هو شخص مستقل ، وكائن وكذلك المرأة أيضا شخص مستقل ؛ إلا أنهما بعد الزواج يصيران شخصا واحدا لا إثنين . وهكذا عند إتحاد الكلمة بالإنسان يسوع الناصرى ، ليسا بعد أقنومين (Prosopa) ولكنهما إقنوم واحد . وهذا ما قد سبق أن سميناه عند معلم أنطاكية : أى أن كل طبيعة تظل محتفظة بخواصها ومميزاتها ، وهى متحدة فى نفس الوقت مع الطبيعة الأخرى باتجاه قوى . أى تمايز فى الطبيعتين وتوحيد فى الإقنوم : مسيح ثنائى الطبيعة أحادى الإقنوم[١١] .

٣ – مثل الروح والجسد

استخدم أسقف موبسيوست مثل الروح والجسد لكى يعبر به أيضا عن وحدة اللاهوت والناسوت فى المسيح الواحد . ولقد إحتفظ فاكوندوس الهرمانى (Facundus d'Hermian) باقتباسات من الكتاب الرابع لثيودوريوس ضد أبولوناريوس حيث يقول « ... إن الإنسان مكّون من روح وجسد ... وهما طبيعتان ، ولكنه لا يوجد إلا إنسان واحد لهاتين الطبيعتين . فإن اختلاف الطبيعتين يظل باقيا لأن الروح شىء والجسد شىء آخر . الواحد غير مائت بينما الآخر مائت . الواحد عاقل بينما الآخر غير عاقل . ومع ذلك فان الاثنين لا يكونا إلا إنسانا واحداً ...... (Grillmeier 407) ويقتبس ثيودوريوس النص الذى إستعمله القديس بولس « .... إذا أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى .... » (رو ٧ : ٢١ – ٢٥) فهو يعتقد بأن الرسول يرى فى الإنسان وحدة واحدة مكّونة من عنصرين مختلفين فى الجوهر : جوهر الروح وجوهر الجسد ومع ذلك يكونان وحدة واحدة تدعى الإنسان .

بهذه الأمثلة : مثل الهيكل والساكن فيه ، ثم مثل الرجل والمرأة ، واخيراً مثل الروح والجسد ، أراد ثيودوريوس أن يقدم لنا مسيحا واحداً فى طبيعتين مختلفتين : طبيعتان

11. Leoncius, Swete. 11, 299. Sullivan. 269, J. Turmel 318, Greer. 59 - 61, Norris 228 - 235.

يتحدثان بدون إمتزاج أو إختلاط (سيولفن Sul. 281) لقد اقتبس الموبسيوستى عددا كبيراً من الفصول الكتابية التى تتكلم عن الطبيعتين والتى تتكلم أيضا فى الوقت نفسه عن الوحدة بينهما ، وأن كل طبيعة من الاثنين توصل خواصها ومميزاتها للأخرى . وهذا ما يدعى فى تاريخ العقائد بـ (La Communication Des Idiomes) أى الخواص أو الصفات التى يمكن تطبيقها على الطبيعتين أو الصفات والخواص والمميزات المشتركة : أو مشاركة وتوصيل المشاعر والصفات والاحساسات والخواص بينهما . كقول الرسول « ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركا إلى الأبد أمين » (رو ٩ : ٥) فإن الرسول ينسب هنا إلى المسيح الذى هو حسب الجسد صفة إلهية ، إلهاً مباركاً ثم صفة بشرية (حسب الجسد) ولقد اتبع نفس الطريقة فى شرحه لقول يوحنا ٦ : ٦٢ ، ٣ : ١٣ ... ولآيات أخرى كثيرة فى العهد الجديد .

ولقد قبلت كنيسة الاسكندرية وعلمت بفكرة (La Communication des Idioms) = الاشتراك فى المميزات والصفات . لأنها قبلت عقيدة الاتحاد العضوى الجوهرى . ولكن ثيودوريوس رفض هذه العقيدة لأنه ظن بأنه يجب نسبة كل صفة وكل مميزة إلى طبيعة معينة على حدة . وبالرغم من ذلك فإنه قبل تطبيق هذه القاعدة عند نسبتها إلى الإقنوم الذى يشمل الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية . لكن هل الإنسان المحمول (يسوع) هو نفسه الكلمة (ابن الله) ؟ ومع أننا سبق أن تكلمنا عن هذه المشكلة إلا أنه من الضرورى أن نرجع اليها إذ أن آمان يقول أن تهمة التعليم بوجود ابنين فى المسيح موّجهة إلى أنطاكية بصفة ، وإلى ثيودوريوس بصفة خاصة ولقد حاول معلم أنطاكية نفسه الرد على هذه التهمة .

وعندما نتعرض لدراسة موضوع الابن فى مفهوم ثيودوريوس نلمس مشكلة حساسة وشائكة جدا . عن الاتهام الموجة إلى ثيودوريوس وحده ، بل هو اتهام ردده تكراراً ومراراً بعض المعلمين – وخاصة معلمو الاسكندرية – ضد التعاليم الأنطاكية الأزدواجية . إذ أنهم إتهموا معلمى أنطاكية بأنهم ينادون بوجود ابنين فى المسيح . فما هو مفهوم ثيودوريوس لهذه المشكلة العقائدية .

٤ – مشكلة الابن فى مفهوم ثيودوريوس

ولكى يكون الأمر واضحاً فى أذهاننا ، يجب أن نرجع إلى الأمثال التى إستعملها أسقف موبسيوست لكى يبرهن بها على وحدة الطبيعتين وعلى تمييزهما الواحدة عن الأخرى . فقد إستعمل مثل الرجل والمرأة : إنهما إثنان ولكن بعد الزواج صارا جسداً واحداً . والروح والجسد هما أيضاً جوهران مختلفان ، ولكن طريق إتحادهما كونا إنسانا واحداً ، والهيكل والساكن فيه : أنهما اثنان ولكنهما بعد الاتحاد يكونا وحدة واحدة .

كان هدف ثيودوريوس من إستعماله لهذه الامثال ، هو إظهار إيمانه وتمسكه بالوحدة القوية بين الطبيعتين ، ودليل على أنه ينادى بالازدواجية التوحيدية أى انه نادى بطبيعتين ولكن فى شخص واحد بهذه الطريقة وفى هذا الاتجاه نفسه يتكلم ثيودوريوس عن ابن الله وابن داود اللذين إتحدا معا وأصبحا إقنوما واحداً ووحدة واحدة . وهنا نسأل السؤال الآتى : هل علّم أسقف موبسيوست بوجود ابن لله وابن للإنسان ؟ وماذا قصد بذلك ؟ وهل هذا يعنى بأنه علّم بوجود ابنين لله ؟

كان ثيووريوس يحاول فى كل حياته أن يهدم التعاليم الأريوسية والأبولوناريوسية ، وبعض الهرطقات الأخرى . ولهدم هذه الهرطقات ، رأى أنه من الضرورى التشديد على وجود طبيعتين فى شخص المسيح : اللاهوت والناسوت . وفى كلامه عن ابن الله تعرض لنفس المشكلة فإنه يريد أن يبرهن على اتحاد ابن الله اللوغوس ، مع ابن إبراهيم ، ابن داود ، دون أن يخلط بينهما . فقد إتحدا دون إمتزاج أو ذوبان الواحد فى الآخر . ولكى يثبت هذه الوحدة بين ابن الله وابن داود ، فإنه يرجع كعادته إلى الكتاب المقدس . ثم إلى قانون الإيمان الذى قام هو نفسه بتفسيره . فهو يقتبس أولا قول الرسول بولس « ..... عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات .... » (رو ١ : ٣) « ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الابد أمين (رو ٩ : ٥) أنا والآب واحد (يو ١٠ : ٣) الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة : (كو ١ : ١٥) . لقد رأى فى هذه الآيات وغيرها ثنائية الطبيعة . كما أنه يعتقد بأن ابن داود أو الذى من نسل داود يختلف عن الذى يدعى ابن الله أو اللوغوس . إذ يرى أن الذى يصفه الرسول إنه من نسل داود هو غير الذى يصفه بأنه ابن الله أو الذى هو إله مبارك . إن بكر كل خليقة ليس هو نفس الابن الوحيد ... لأن الابن الوحيد بحسب مفهومه ، هو الذى من جوهر الآب والذى كان معه أيضا منذ الأزل ، وأما الذى هو من نسل داود فهو ذلك الإنسان المحمول الذى خرج من بطن مريم العذراء (Hom. 3. 4 - 6) ولكى يؤيد هذا الفكر فقد رجع إلى قانون الإيمان الذى يشرحه ويقتبس الجملة الآتية منه : « الابن الوحيد المولود من الآب بكر كل خليقة ..... » فهو يعتقد بأن الابن الوحيد ليس هو بكر كل خليقة .... » ،ويوجد فرق بين الاثنين . لا بل إنه من المستحيل أن يكون هو نفسه وحيداً وبكر كل خليقة لأن لفظ البكر يطلق على الشخص الذى له إخوة عديدين وخاصة أن الرسول يقول « أى أنه بكر لهذه الخليقة : أى بكر الأخوة الذين سيقبلون للتبنى بعده . وأما عبارة الابن الوحيد فهى تطلق على شخص واحد بدون إخوة (Hom. 3. 7) فإن الكتب المقدسة تقدم لنا هذا الابن الوحيد كالابن الذى له سلطان مطلق وصاحب العظمة والمجد « ورأينا مجده كما لوحيد من الآب (يو ١ : ١٤) فهو الابن الذى كان فى

حضن الآب وأن إرتباطه بالآب يبيّن لنا الصلة القوية بينه كابن طبيعى بالاب . لأنه من جوهر الآب مولود منه منذ الأزل (Hom 3:6) وأما عبارة « بكر كل خليقة » فتطلق على يسوع الإنسان لأنه بكر الذين سيقبلون النبوة معه : أو بكر الخليقة الجديدة (Home.... Cate. 3:9) فبكر كل خليقة تشير إلى الإنسان يسوع المخلوق وليس الابن الأزلى الوحيد والمشترك مع الآب فى الخليقة وفى شرحه لقانون الإيمان يحدد بأن الابن الوحيد ليس هو البكر . فهو يعتقد بأن الآباء ، قد أرادوا باختيارهم هذه الجملة من قانون الإيمان التمييز بين الاثنين ، إنهم يعلّمون بأن الذى كان على هيئة الله قد حمل برحمته « واحداً » من طبيعتنا . فإن الابن الوحيد هو إذن ابن الله بالطبيعة ولقد وعظ يقول « .... الابن الوحيد هو ذاك الذى وَلِدَ من الآب وهو وحده ابن وهو موجود دائما مع الاب .... » لأنه هو بالحقيقة الابن الخارج من الآب (Hom. 3) وأما بكر كل خليقة فهو ينطبق على الإنسان المحمول . فإن الابن الوحيد هو إذن ابن الله بالطبيعة ولكن بكر كل خليقة هو ابن بالتبنى : أو بكر الخليقة الجديدة (Sullivan 268 Norris 211 - 216) المخلوقة فيه وبه : أى بكر المؤمنين .

وفى كتابة المعنون بعنوان التجسد يشرح هذه الفكرة فهو يعتقد بأن الابن الطبيعى هو اللوغوس أو ابن الله ، لأنه هو وحده أيضا الذى وَلِدَ من جوهر الآب وأن حالته تختلف عن الآخرين (Vosté 26: 1/19 - 21 Galtier 344) .

يعتقد ثيودوريوس بأن الابن الوحيد أو اللوغوس هو غير ذاك الذى يقول عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى الجزء الأول من هذه الآية « كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا » . وهنا نرجع إلى السؤال الذى سبق أن سألناه هل يعتقد ثيودوريوس بوجود ابنين ؟ يجيب ثيودوريوس على هذا السؤال فى نص احتفظ به فاكوندوس (Facundus) واقتبسه آمان (E. Amann. D.T.C. 265) وسنحاول أن نلخص جوابه هنا : « عندما نتكلم عن الطبيعتين ، فهذا لا يعنى بأننا نتكلم عن سيدين أو عن ابنين أو عن مسيحين . فهذا يعتبر جنون . فبما أن الواحد هو ابن وسيد بالطبيعة ، والثانى ليس ابنا ولا سيداً بالطبيعة فإننا نقول بأن الثانى يُمنح هذه الطبيعة الصفة عن طريق إتحاده القوى بالابن الوحيد . وهكذا فإننا نعترف بأنه لا يوجد إلا ابن واحد ونحن نعلم بأن الذى يملك هاتين الصفتين بالطبيعة هو حقيقة ابن وسيد (وإلى هذا الاسم الحقيقى) نضيف الهيكل الذى يسكن فيه بطريقة لا تعرف الانفصال بسبب الاتحاد الذى تمّ معه والذى لا يعرف أيضاً الانفصال . ونحن نعترف بأنه بفضل هذا الاتحاد صار الإنسان المحمول (L'Homme Assumptus) هو ابن وسيد . وبولس الرسول يعطى لقب ابن الله إلى الإنسان المحمول المولود من نسل داود ، ليس لأنه ابن الله فى حد ذاته ، ولكن بسبب الاتحاد مع الابن الحقيقى » (Amann. D.T.C. 265) يعترف ثيودوريوس

بوجود ابن واحد وسيد واحد ، لابل يقول إنه من الجنون التكلم عن سيدين أو ابنين أو عن مسيحين . ولقد رجع إلى هذه الجملة عدة مرات الذين أرادوا تبرير أسقف موبسيوست من الهرطقة أمثال آمان . والسؤال الذى يجب أن نسأله هو ترى ألم يعلم بوجود ابنين ؟ إن ما يريد أن يقوله فى النص السابق الذكر وفى نصوص أخرى لا يسمح لنا بأن نحكم بأنه علّم بوجود ابنين طبيعيين لله أو سيدين أو مسيحين . بل أنه نادى بوجود ابن واحد حقيقى : أى اللوغوس والذى يقول عنه « فبما أن الواحد هو ابن وسيد بالطبيعة والثانى ليس هو ابنا ولا سيداً بالطبيعة .... » فان اللوغوس فى عرف ثيودوريوس هو الابن الوحيد والطبيعى لله لأنه خرج من جوهره ومساو له فى الطبيعة والجوهر . ويقول عن هذا الابن وهكذا فاننا نعترف بأنه لا يوجد إلا ابن واحد وهذا هو الابن الوحيد الطبيعى الذى يتكلم عنه ثيودوريوس . ولكن يُضاف إلى هذا الابن الطبيعى والوحيد والحقيقى الابن المُتبنى الإنسان يسوع الناصرى ، أو الهيكل الذى يقول عنه ثيودوريوس « نضيف الهيكل الذى يسكن فيه بطريقة لا تعرف الانفصال ..... » وهكذا يصبح الهيكل أو الابن المُتبنى أو اللوغوس الحامل ، إقنوما واحداً عن طريق الوحدة . مثل إتحاد الروح بالجسد والمرأة بالرجل ، والهيكل والساكن فيه . وهذه الوحدة لا تلاشى الطبيعتين والطبيعتان لا تلاشيان الوحدة .

وهكذا يعلن اسقف موبسيوست بأنه لم يعلم بوجود ابنين لله ، إذ أن ما يسميه المحمول أو الإنسان . أو ابن أدم ليس هو ابناً طبيعياً لله بل ابن بالتبنى . وهذا الاخير صار عن طريق الوحدة الوثيقة واحداً فى الإقنوم الذى جمع الاثنين . ويتساءل سيولفن فيما إذا كانت هذه الفكرة قد حلت المشكلة فعلا . إن سيولفن يعتقد بأن المشكلة لم تحل بعد . لانه حتى وإن كان ثيودوريوس لا يرى إلا ابنا واحداً طبيعيا فإن الابن الثانى المُتبنى موجود . وهذا الأخير ليس هو نفس الابن الطبيعى (Sul. 270)

إن هم موبسيوست الأعظم كان مركزاً على تمييز الطبيعتين بالرغم من اتحادهما . فقد أراد أن يقدم لنا مسيحا ذات طبيعتين متميزتين ولكنهما متحدتان . كما أنه كان يريد أيضا أن يتجنب الاندماجية فشدّد كثيراً على وجود ابن الله الكلمة وحقيقته ثم على وجود وحقيقة ابن الإنسان . ولذلك يمكننا أن نقول بأنه علّم بوجود رب واحد وسيد واحد ومسيح واحد فى طبيعتين متمايزتين . إلا أنه بالغ كثيراً فى التشديد على التمييز بين الطبيعتين وبين الابنين لدرجة انه لم يكن بعيداً عن الانزلاق فى هرطقة فصل هاتين الطبيعتين والتعليم بوجود ابنين .

تحليل قصير لبعض عظاته التعليمية

عظاته التعليمية « Les Homélies Catéchetiques »

قلنا إن إكتشاف سلسلة العظات التعليمية للاسقف ثيودوريوس فى سنة ١٩٣٢ غير الاتجاه فى الحكم على تعاليمه الكرستولوجية . ومع أن ضيق المجال لا يسمح لنا هنا بأن نحلل الست عشرة عظة المكتشفة – والتى القاها الموبسيوستى على طالبى العماد فى كنيسته . فإننا سنلقى نظرة سريعة على بعض النقاط العقائدية الهامة التى تحتويها بعض هذه العظات التعليمية . كان الغرض من هذه العظات شرح قانون الإيمان النيقوى أو قانون إيمان الـ ٣١٨ أب* لطالبى العماد قبل انضامهم للكنيسة .

العظة الثالثة : تعّرض فى هذه العظة لشرح القول « نؤمن .... برب واحد سيدنا يسوع المسيح الابن الوحيد المولود من الله بكر كل خليقة .... وقد رجع فى شرحه لهذه الجملة إلى الكتاب المقدس لكى يبرهن على لاهوت المسيح (١ تيمو ٣ : ١٦ ، يو ١ : ١ و١٤) وعلى أن طبيعته هى من نفس طبيعة الآب . فالابن الذى هو الكلمة .

ومن جوهر الآب نفسه ، وقد سكن فى الإنسان يسوع الناصرى لاجل خلاصنا نحن البشر . (Hom. 3. 4 - 5) فإن ابن الله سكن فى ابن داود (رو ٩ : ٥) واللاهوت حلّ فى الناسوت .

من هو بكر كل خليقة ؟

يعتقد ثيودوريوس أن بكر كل خليقة ليس هو الابن الوحيد ، بل يرى أنه يوجد فرق بينهما . ويظن أن الكتب المقدسة تعلم بأن الابن الوحيد هو صاحب المجد « ورأينا مجده (يوحنا ١ : ١٤) فهو أيضا الذى كان فى حضن الآب منذ الأزل (Hom. 3.8) وهنا يرفض هرطقة أريوس ويقول : لقد تجرأ أريوس بالقول بأن المسيح هو عمل الله وخُلِقَ من لا شيء ....

العظة الرابعة : « وُلِدَ من الآب قبل كل الدهور » يقول ثيودوريوس بأن نسبة الابن للاب قديمة لا يسبقها قديم . وتختلف كل الاختلاف عن نسبة المؤمنين لله كأبناء له . فهو الابن الوحيد الذى من جوهر الآب وبناء على ذلك فهو ابن طبيعى لله ، وموجود معه قبل كل وجود . وهذا القول لا ينطبق إلا على الابن الطبيعى وبما أن الله موجود منذ الأبد فكذلك الابن الوحيد لأنه الله ايضا ، إله من إله وأزليته مساوية تماماً لأزليه الله الاب . (Home 4.2) فالمسيح ليس إذن عملا من أعمال الله فى الخليقة بل هو الله نفسه العامل

---

* راجع من ص ٣٥٧ . ٣٦٠ من هذا المجلد

والخالق مع الله (Home. 4:3) فهو مساو لله وهو أيضا جوهره : مساو له فى الطبيعة وفى الجوهر . « أنا والاب واحد (يو ١٠ : ٣٠) (Home 4:14) (يو ١٠ : ٢٧ و٢٨ ، ١٤: ٩ – ١١) وهو أيضا خالق مثل الاب(يو١ :٣ ، عب ١ : ٢) .

العظة الخامسة : « الذى من أجل خلاصنا .... » فلأجل خلاصنا نحن البشر نزل الكلمة إلى العالم ، ولكن العالم لم يعرفه (يو ١ : ١٠ – ١٢) لأنه قد وجد فى هيئة إنسان (فى ٢ : ٧ ، رو ٨ : ٣ ، اتى ٣ : ١٦) وبهذا يرفض ثيودوريوس تعاليم مارسيون ولايتنيوس وغيرهما ، الذين علّموا بأن المسيح لم يأخذ شيئا من طبيعتنا البشرية المادية لا الجسد ولا الروح بل أخذ شبه جسد ، وظهر لأعين الناس كما لو كان جسداً .... إنه يكرر بطريقة لا تعرف الملل حقيقة أن الكلمة أخذ إنساناً أو حلّ على إنسان كامل وهذا الأخير مكّون من روح بشرية عاقلة وجسد حقيقى لكى يخلص الإنسان روحاً وجسداً من الخطية وسيطرتها رو ٥ : ١٢ و١٥ ، ١ كو ١٥ : ٢١ – ٢٢) وبهذا رفض تعاليم أريوس وانوميوس وابولوناريوس .....

العظة السادسة : « الذى وُلِدَ من مريم وصُلب .... » يقول ثيودوريوس فى شرحه لهذه الجملة ، بأن الآباء إستطاعوا أن يلخصوا فى هذه الجملة القصيرة كل حياة يسوع ، من ميلاده إلى موته وقيامته . وهو يقول إن الآباء لا يعلموننا بان الطبيعة الإلهية للابن الوحيد ولدت من امرأة ؛ كما لو كانت قد أخذت بدايتها من بعد حادثة التجسد ، لأن الطبيعة الإلهية مولودة من الآب قبل كل الدهور فإن اللوغوس أو الكلمة لم يستمد وجوده من مريم إذ أنه كائن وموجود قبل أن توجد مريم وإبراهيم وهنا يشدد على عملية الاتحاد بين الطبيعتين التى تعلم بها الكتب المقدسة ، فهما طبيعتان متحدتان فى إقنوم واحد . والرسول يتكلم عن هذه الوحدة (رو ٩ : ٥) فإن المسيح بحسب الجسد الذى يتكلم عنه الرسول ، خرج من نسل اليهود . وأما جملة « إلها مباركا » يقصد به الكلمة الابن الوحيد ولكى يميز بين الطبيعتين يستعمل ثيودوريوس عبارة الحامل أو المحمول . (فى ٢ : ٦ – ٧) فالحامل هو الكلمة ابن الله الذى سكن فى المحمول الذى هو الإنسان يسوع الناصرى (Hom. 6.5) وفى كلامه عن الصلب يرى أن الذى صُلِب والذى مات هو الإنسان يسوع لا الطبيعة الالهية ، أى الإنسان المحمول « انقضوا هذا الهيكل ..... » (يو ٢ : ١٩) .

العظة الثامنة عن التجسد : لقد سبق أن ذكرنا بان ثيودوريوس إستعمل عبارة الحامل والمحمول وقصد بالحامل الكلمة أو اللوغوس ثم قصد بكلمة المحمول الإنسان أو ابن الإنسان : يسوع الناصرى . وقد ردد هذين الاصطلاحين فى كتاباته عدة مرات لكى

يشرح بهما مفهومه للاهوت وللناسوت وعملية الاتحاد التى تمتّ بينهما . كما أنه استعمل أيضا هذين الاصطلاحين فى عظاته التعليمية . والعظة الثامنة من أهم عظاته التعليمية الكرستولوجية ، لأنه يشرح فيها عملية التجسد واتحاد اللاهوت بالناسوت : إتحاد اللوغوس ابن الله بالإنسان يسوع الناصرى إتحاد بين الحامل = الكلمة و المحمول = الإنسان . ولقد كرر كثيرا حقيقة أن الكتب المقدسة تتكلم عن هذه الوحدة بين الطبيعتين . وهذا الاتحاد هو إتحاد بدون إختلاط أو مزج للطبيعتين . لان كل طبيعة منهما إحتفظت بخواصها ومميزاتها بالرغم من الاتحاد القوى الكامل بينهما . ولقد نتج عن هذا الاتحاد الأقنوم الواحد لشخص المسيح « أنا والآب واحد » ، ويقول ثيودوريوس ، بان كلمة واحد لا تلغى وجود أنا أو وجود الأب فهما إثنان فى العدد ، ولكن واحد فى الجوهر وفى الهدف . مثل الرجل والمرأة . فهما إثنان ولكن أصبحا جسداً واحداً . إن اللاهوت والناسوت طبيعتان مختلفتان ومتميزتان الواحدة عن الأخرى فى الجوهر ، ومع ذلك فإنهما واحد عن طريق الاتحاد . ففى عملية الاتحاد وبفضلها أصبح الإنسان المحمول ، الهَيكلَ الذى لا يخرج منه أبداً الساكن فيه (اللوغوس) ولا ينفصل عنه بأى حال من الأحوال . لان هذا الاتحاد عميق قوى الروابط ويفوق كل وصف وادراك بشرى كما إنه إتحاد لا يعرف الانفصال أو الاندماج . وعن طريق هذا الاتحاد أصبحت الطبيعتان : اللاهوت والناسوت ابن الله وابن الإنسان إقنوما واحداً ومسيحا واحداً معبوداً مع الآب والروح القدس وله أيضا كل كرامة وعز وسجود .

إن الدارس لكتابات اسقف موبسيوست يستطيع أن يدرك من أول وهلة تشديده على التمييز بين الطبيعتين بين اللاهوت والناسوت ، بين ابن الله وابن الإنسان الخ .... ومن هنا بدأت الاتهامات تنهال على أسقف موبسيوست بأنه قسم المسيح الواحد إلى اثنين .

ومما لا شك فيه بان ثيودوريوس بالغ كثيراً وبطريقة لا جدل فيها فى محاولته التمييز ، ولا أقول تفريق أو فصل الطبيعتين ، اللاهوت والناسوت ، ابن الله وابن الإنسان .... ، لدرجة تُشعر القارىء فى أحيان كثيرة كما لو كان يتكلم عن ابنين : ابن الله وابن الإنسان . لابل تكلم فعلا فى بعض كتاباته عن ابنين (Hom... 3:8, 15 - 16) ولكن هذه المبالغة الواضحة فى إسلوبه فى معالجته لمشكلة التمييز بين اللاهوت والناسوت والتشديد المتكرر على عقيدة الطبيعتين . كل هذا راجع إلى الظروف والهرطقات التى إنتشرت فى عصر هذا المعلم الأنطاكى . ولهذا فقد إستخدم قلمه وعلمه ودراساته لمقاومة هرطقة أريوس التى أنكرت مساواة جوهر الأب بجوهر الابن . كما أنه أراد أيضا أن يهدم التعاليم الابولوناريوسية التى لم تعترف بوجود روح بشرية فى المسيح كما أنها نادت بوجود طبيعة واحدة إلهية فيه . فلكي يقاوم هاتين الهرطقتين : هرطقة أريوس وهرطقة أبولوناريوس وغيرهما إستعمل إسلوباً عقائديا خلا فى بعض الأحيان من المرونة كما خانه التعبير مرات

أخرى فانزلق إلى طريق محفوف بالأخطار العقائدية . ومما لا شك فيه فإن أسقف موبسيوست قد بالغ لا بل تطرف فى بعض الأحيان وفى بعض العبارات الكرستولوجية فى كلامه عن التمييز بين الابنين وخاصة فى كلامه عن ابن الله وابن الإنسان ، عندما حاول أن يميز بطريقة قاطعة بين ابن الله اللوغوس ، وبين ابن الإنسان يسوع ابن مريم ، ففى هذه المحاولة لم يكن بعيداً عن الانزلاق فى هوّة تقسيم ابن الله وابن الإنسان . وفصل اللاهوت عن الناسوت . ومما لا جدال فيه أيضا أن ثيودوريوس قد إرتكب بعض الأخطاء ولم ينج من إرتكاب بعض الاخطاء العقائدية الخطيرة . ولكن هذا التطرّف وهذه المبالغات الظاهرة فى أسلوبه العقائدى الكرستولوجى لا تبرر فى نظرنا الأحكام التى صدرت ضده وضد تعاليمه . ولا يمكننا بأن نصفه بالهرطقة ، لان العصر الذى عاش فيه والظروف التى أحاطت به ساهمت أيضا فى دفعه للتطرف والمبالغة فى التمييز بين اللاهوت والناسوت . ومن الاجحاف ، لابل من الظلم أن يحرم هذا المعلم وأن نلقى بتعاليمه عرض الحائط . وخاصة بأن الحكم الذى صدر ضد تعاليمه كان مبنياً على بعض الاقتباسات التى أثبت بعض العلماء عدم الثقة فى صحة بعضها* إن لم يكن الكثير منها . على أى حال ستكون لنا الفرصة للرجوع إلى هذه النقطة فى رحلتنا العقائدية التاريخية فى المجلد الثالث . إذا أذن الرب بذلك .

وفى ختام هذا الفصل نود أن نلفت نظر الدارس إلى التشابه الكبير بين أفكار ديودوريوس الطرسوسى الكرستولوجية وبين أفكار تلميذه الأسقف ثيودوريوس الموبسيوستى وتلميذ هذا الأخير نسطوريوس .

* الرجاء الرجوع الى ص ٣٥٣ – ٣٦٢ من هذا المجلد للتعرف على أراء بعض العلماء الذين يؤيدون والعلماء الذين يرفضون هذه النظرية .

بعض المراجع عن حياة وتعاليم
ثيودوريوس الموبسيوستى

1. Abramowski Trad. ... 51 - 53 Frag. ... 36.
2. E. Amann Dict. de., Theologie catholique. tome 15e ...... 235 ....
3. E. Amann la doctrine Christologique de Théodore de Mopsueste. Res 14 (1934) 160 - 190.
4. Briére dans Revue de L'orient Chretien 10 (30) 1946 voir Kelly. p 312 - 314. Briére: Trad ... Frag.... 4 P. 161 Voir Frag.... 19, 20, 42, 28 (P. 270) Frag. .... 11. (P. 262), 15 (P. 264)
5. Cyrille. Frag... 3. P.G. 76. 1438 b. 1439 a, Frag. 5 PG 76. 1440 1 - 2 Frag... 2.
6. P. Th. Camelot. Hist... des con.... oeu.... (2) Ephèsc et Chalcedoine.
7. Danielou et H. Marron, Nouvelle Hist.... de L'eglise .... ed. du seuil.
8. R. Devresse. Essai sur Théodore de mopsueste. Citta del Vaticano
9. R. Devresse. dans Rev. des Sci... Rel... T. 13. (1933) P. 426. R. De. par quelle voie nous sont pârvenus les commentaires de Théodore de mop....
10. Eusèbe d'emèse. Ed... Buytaert. q. voir aussi Grillmeier (291 - 298)
11. P. Galtier. Rev. Rec... scie... Rel. (1957) 160 - 186.
12. P. Galtier. Théodore de mop.... Sa pensée sur l'incarnation. p. 169 - 172, 338 - 339.
13. R. Greer. Theodore of Mopsuestia Exegete and theologian.
14. A. Grillmeier op. cit... pp. 390 - 413.
15. F. Hayward Les conciles oeu....
16. M. Jugie le liber ad baptiza ndos de theodore de Mopsueste dans E.O. 34 (1935) 262 - 271.
17. J. Kelly initiation a la doctrine des Pères de L'eglise. 312 - 319.
18. Leoncius. swete 11, 299.
19. Liebaert incarnation..... 169 - 170.
20. A. Mingan a. commentary of Theodore of Mopsuestia. on the nicene creed c. woodbrooke studies 5) Cam...
21. F.X. Murphy. CSSR - P. Sher wood. O.S.B. constantinople II, III. P. 28.
22. R. A. Norris manhood and Christ. Study in christology of theodore of Mopsuestia.

27. J. Tixeront hist... des dogmes. Tome 3 11 - 22.

28. H. Tuchle - C. Bihlmeyer. Hist... de L'eglise. Tome 1. P. 346 - 349.

29. J. Turmel. Hist. des Dogmes.... The seven Ecumenical councils of the undivided church. Editied with notes gâthered from the writings of the greatest scholars. By Henry R. Percival. M. A., D. D. P. 299 - 323.

٣٠ - مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة الجامعة ..... جمع وترجمة وتنسيق حنانيا الياس كسّاب ص ٤٤٦ - ٤٨٥.

23. J. quasten. initiation aux pères de. L'eglise. tome 3 p.p. 564 - 594

هذا الكتاب ثلاثه أجزاء مترجم عن الانجليزية . ولكننا نفضل الترجمة الفرنسية لانها تحتوى على ٥٠٠ شاهد أضيفت اليها عند الترجمة

24. M. Richard. La tradition des fragments du traite peri tès enanthropesos de theod... Mups... Mus. 46 (1943) 55 - 75.

25. M. Richard, Mus. 56 (1943) 63 - 66. Hypostâse. 23 - 24.

26. F. A. Sullivan. S.J. The Christology of Theodore of Mopsuestia.

الجـزء الرابـع

الفصــل الأول

نسطوريوس NESTORIUS

من هو نسطوريوس ؟ أين وُلِدَ وأين عاش ؟ هل هو هرطوق ، كما حكمت بذلك معظم الكنائس فى القرن الخامس ؟ أم هو أرثوذكسى - كما إعتقد ويعتقد البعض الآن ؟ ما هى تعاليمه التى حُكِمَ بهرطقتها ، إن كان هرطوقيا ؟ هل كانت روما والاسكندرية على صواب فى حكمهما ضد نسطوريوس ؟ وهل كان مجمع أفسس منصفا فى حكمه عندما حكم بخلع وحرم رئيس أساقفة القسطنطينية ؟ ما هى التعاليم الكرستولوجية التى نادى بها نسطوريوس ؟ ما موقف الاكتشافات الحديثة من تعاليمه ؟

سنحاول فى هذا الفصل الإجابة على هذه الاسئلة وغيرها التى تتعلق بقضية نسطوريوس وتعاليمه . ولكن قبل الإجابة على هذه الاسئلة نود أن نقول ، إن الذى يدرس تاريخ الفكر المسيحى الخاص بشخص ربنا يسوع المسيح (Christologie) . نلاحظ تنوّع وتطور الأفكار والمعتقدات التى ظهرت فى كل عصر من العصور الأربعة الاولى . ولا نريد أن نكرر هنا ما سبق أن قلناه عن هذه المعتقدات ؟ فقط نريد أن نذكّر القارىء الكريم بظهور إتجاهين عقائديين (لاهوتيين) فى القرن الرابع فى غاية الأهمية . فبدون فهمهما جيّدا يصعب علينا أن نتابع بسهولة تطور الفكر العقائدى (اللاهوتى) .

فالاتجاه الأول : هو تعاليم الذين نادوا بعقيدة الكلمة - جسد Verbe Chair أو Word - Flesh أو Logos - Chair = اللوغوس - جسد .

والاتجاه الثانى : هو تعاليم الذين نادوا بعقيدة الكلمة - انسان Verbe - Homme أو Word - Man= الكلمة إنسان . اللوغوس - انسان Logos - Anthropos .

حاول أتباع الحزب الاول ، الذين نادوا بعقيدة الكلمة — جسد ، التشديد على اللاهوت « والكلمة صار جسداً .... » (يو ١ : ١٤) فقد تكلموا عن الله وعظمته وعن اللوغوس وتجسده . كان اللاهوت هو الذى يسيطر ويحكم ويقود الجسد . هذا هو التعليم الذى تمسكت ونادت به كنيسة الاسكندرية . أما التيار الثانى وهو اللوغوس — إنسان . فقد علّم أتباع هذا المذهب أن الله ظهر فعلا ، ولكنه ظهر فى إنسان يدعى يسوع الناصرى . وكان هذا الإنسان كامل التكوين من روح عاقلة وجسد حقيقى . هذا هو ما قد علّمت به مدرسة أنطاكية[١] .

وهنا يظهر خلاف عقائدى« كرستولوجى » جديد . فإن مدرسة الاسكندرية تعترف بوجود اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح يسوع . وكذلك أيضا مدرسة إنطاكيا علّمت بأن اللوغوس سكن فى هيكله . أى أن اللاهوت حلّ فى الإنسان يسوع الناصرى . فلا جدال إذن فى موضوع الاعتراف بوجود اللاهوت والناسوت فى المسيح يسوع ، لكن الجدال كان مركزاً على طريقة الاتحاد .

و هنا تظهر المشكلة العقائدية الكرستولوجية الجديدة فى تاريخ الفكر المسيحى : وهى مشكلة الاتحاد . فإن معلمى القرن الخامس لم يعودوا يختلفون على وجود اللاهوت فى الناسوت أو على حقيقة ناسوت المسيح ، بل أن النزاع العقائدى (الكرستولوجى أى الخاص بشخص المسيح يسوع) أصبح مركزاً على كيفية وطريقة إتحاد الطبيعتين فى المسيح يسوع[٢] ولقد شغلت مشكلة الاتحاد عقول الآباء والمعلمين منذ القرن الرابع إلى مجمع خلقدونية وما بعده . ولهذا السبب نلاحظ بأن الصراع الكرستولوجى من أول القرن الخامس أصبح مركزا لا على عقيدة اللوغوس — ساركس أى الكلمة — جسد أو اللوغوس — انثربوس أى الكلمة إنسان ، بل أن الصراع دار حول مشكلة الاتحاد وكيف تمّ هذا الاتحاد[٣] . فهل حل الكلمةالابدىفى إنسان يدعى يسوع ، وفى فترة معينة من حياة هذا الإنسان رفّعه الله بسبب تقواه إلى درجة اللاهوت ؟[٤] أم هل حلّ الكلمة فى بطن العذراء القديسة مريم فى اللحظة التى سمعت فيها البشارة من فم الملاك ؟ (لو ١ : ٢٦ — ٣٨) وهل يسمح لنا أن نقول بأن هذا الجنين الذى تكّون فى بطن القديسة العذراء مريم ، هو الله ؟ وهل يسمح لنا أيضا بناءٍ على هذا ، أن ندعو مريم العذراء أماً لله ؟ هذه هى المشكلة التى أثيرت فى بداية أسقفية نسطوريوس . وسوف نرجع إلى هذا الموضوع فى حينه .

---

١ — تجنباً للتكرار راجع ص ١٥٢ — ٢٠٧ من هذا المجلد

2. A. Grillmier. 273 - 282, 419 - 422.
3. J. Kelly. Initiation à la doctrine des Pères de l'eglise. Les editions ducerf 1968. P.321 - 324.
4. A. Harnack précis de L'histoire P. 202 - 203.

ومما لا شك فيه بأن مشكلة نسطوريوس بدأت عندما هوجمت عقيدة أمومة مريم لله . ولكن فى حقيقة الأمر ، لم يكن هذا الهجوم هو السبب الوحيد الكافى لثورة كيرلس فى الاسكندرية وإجتماع مجمع فى روما (فى أغسطس ٤٣٠) برئاسة البابا كيليستينوس (Celestin) وإجتماع مجمع الاسكندرية وأفسس تحت رئاسة القديس كيرلس ، بل كانت توجد أسباب أخرى عقائدية (لاهوتية) وسياسية ، عملت على توسيع الفجوة وعلى إثارة روح الانقسام بين أعضاء الجسد الواحد . وسوف نتعرض لبعض هذه الاسباب فى شرحنا لحياة وتعاليم نسطوريوس . وبما إننا نحاول شرح تعاليم رئيس أساقفة القسطنطينية لا يمكننا إهمال بعض الأسئلة التى تفرض نفسها فرضاً على هذا البحث ، هل كان نسطوريوس هرطوقيا فعلا عندما حكمت عليه بذلك أغلبية الكنائس المجتمعة فى أفسس فى سنة ٤٣١ فى مجمع كان يرأسه كيرلس الاسكندرى ؟ أم كان نسطوريوس ضحية وكان يجب الوقوف بجانبه وعدم حرمه كما فعل المجمع المنعقد فى نفس المدينة وفى نفس الفترة بقيادة يوحنا الأنطاكى ؟ فهل كان نسطوريوس ضحية فعلا ولم يُفهم ولم تفهم تعاليمه ؟

إن المجمع الذى عُقِدَ فى أفسس تحت رئاسة أسقف الاسكندرية حكم بخلع وحرمان نسطوريوس . ووافقت رومه على هذا الحكم ، كما وافق أيضا فيما بعد يوحنا الأنطاكى وبعض أنصار نسطوريوس على خلعه لكى يحققوا معاهدة السلام مع كيرلس فى سنة ٤٣٣ . ومن ذلك الوقت وحتى وقتنا هذا ، أعتبر نسطوريوس هرطوقيا فى أعين الأغلبية الساحقة من الكنائس الشرقية والغربية . وبناء على ذلك فقد قدمت الكنيسة نسطوريوس كهرطوقى باعتباره الذى علّم بأن يسوع المسيح وُلِدَ من العذراء مريم انسانا وانسانا فقط وليس إلهاً. وان اللاهوت مُنح له بسبب استحقاقاته . ويعلق العالم الكاثوليكى آمان (E. Amann) على هذا التصريح بالقول « إن تقديم نسطوريوس بهذه الطريقة يدل على السذاجة فإن كل ما كتب عن نسطوريوس فى الثلاثين سنه الأخيرة يلزمنا بان نعيد النظر فى هذه القضية من جديد[٥، ٦] .

ولكى نفهم شخصية نسطوريوس وتعاليمه بطريقة صحيحة وعادلة على قدر ما نستطيع أن نحكم بطريقة صحيحة وعادلة ولو جزئيا ، يجب أن ندرس ولو بإيجاز حياة هذا الرجل ، والوسط الذى عاش فيه ، والتيارات التعليمية المنتشرة فى عصره والتى تأثر بها .

---

5. E. Amann. Rev..... S.R. 1949. Laf faire Nestorius vue de Rome P. 5 - 6. Voir J. Quasten. 719.

٦ — الشماس منسى القمص . كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٦٢ .

حياة نسطوريوس

١ - ميلاده

لم يستطع المؤرخون والعلماء الاتفاق لا على أصله ولا على ميلاده . فقد تضاربت الآراء فيما يخص أصله . فهناك أسطورة قديمة تقول بأنه من أصل فارسى ، وأن جده يدعى عادّى (Adai) وكان يقطن مدينة اتاك (Atac) . على أنه ترك تلك المدينة وجاء مع زوجته التى تعّى امالكا (Amalca) وسكنا مدينة ساموزاط . وكانا كلاهما وثنيين ، وقد أنجبا ولدين ، وكان الابن الاكبر يدعى باربا السمين والذى معناه (ابن بعل السماء) فأنجب ولدا واسماه نسطوريوس . وكان الابن الثانى لعادّى يدعى ابى اسوم ، والذى يعنى (أبى تصرف خطأ) ولقد رُزق هو أيضا بابن فاسماه ثيودوريطس (Theodoret)* .

كان نسطوريوس قصير القامة أشقر ، واسع العينين ، جميل المنظر ، بديع الصوت(٧) ويعتقد كواستن (J. quasten) بأن نسطوريوس ينحدر من عائلة فارسية كانت تسكن مدينة مرعش وقد وُلِدَ بعد سنة ٣٨١ على أن الدكتور اسد رستم يظن أنه ولد « فى ضواحى مرعش فى الربع الأخير من القرن الرابع ومن أبوين سوريين أو فارسيين »(٨) وأما كاميلو (Camelot) فهو يعتقد بأنه ولد بعد سنة ٣٨١ . وإننا نتفق مع العالم الكاثوليكى آمان (Amann) بأنه من الصعب تحديد سنة ميلاد نسطوريوس ويجب قبول تحديد تقريبى بانه ولد فى الربع الاخير من القرن الرابع* كما انه من الصعب أيضا تحديد أصله بطريقة أكيدة وقاطعة . فإن البعض يظن أنه سورى ، والبعض الآخر يظن أنه فارسى وأما بعض النساطرة فيظنون أنه من أصل يونانى .

---

* ثيودوريطس هو أسقف قورش (CYR) ومعلمها الشهير الذى سوف يكلفه يوحنا الأنطاكى بالرد على الحرمانات التى أصدرها كيرلس ضد نسطوريوس . ويشك فى صحة هذا النسب . وإلا لقام أعداء نسطوريوس ضده لأتهامه بالمراطقة .

7. F. Nau. Rev. de L'orient chertien (1909) 1. 14. P. 12 - 4 - 126.
8. J. quastan 3 vol. P. 717.

د. اسد رستم . الجزء الاول ص٣٠٧ . ذكر سابقاً

* للتوسع فى دراسة هذا الموضوع انظر :—

1. Bonifas. T. 2 102 - 106,
2. E. Amann. D. T. Cat. T. 11. P. 80,
3. J. Tixeront 196.
4. Emhordt W.C. 8 Lamasa. The oldest christian people. N. Y. 1926. P. 4 - 9.

٥ — سويروس يعقوب توفا : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية ص ٣٤

٢ - حياته فى المدرسة والدير

لا نعرف الكثير عن حياته المدرسية ، فعلى ما يبدو أنه درس فى مدارس مرعش حيث كان قد نشأ وتربى .. ولقد شعر يدعوه لحياة النسك والتعبد ، فانطلق إلى مدينة أنطاكية والتحق بدير فى ضواحيها يدعى دير أبربيوس (Euprepius)[(٩)] . وكان هذا الدير يتمتع بشهرة علمية عظيمة . إذ قام بالاشراف عليه كل من كارتربوس وديودوريوس الطرسوسى . ولقد كان هذا الأخير عالماً من العلماء الذين قادوا الفكر العلمى التعليمى (اللاهوتى) فى أنطاكية ، ثم صار اسقفا لكنيسة طرسوس* وترهب أيضا فى هذا الدير المعلم ثيودوريوس الموبسيوستى ، ويوحنا فم الذهب ، ثم يوحنا الأنطاكى وثيودوريوس . وصار يوحنا الأنطاكى أسقفاً لأنطاكية وصار ثيودوريوس أسقفاً على كرسى مرعش فى نفس الوقت الذى صار فيه نسطوريوس رئيس أساقفة مدينة القسطنطينية . وقد قاما بدور هام جداً فى مساعدة نسطوريوس والدفاع عنه فى بداية الصراع مع كيرلس ، أسقف الاسكندرية .

فى ذلك الدير الذى تعلم فيه كل العمالقة والعلماء الذين ذكرنا بعض اسمائهم وخاصة ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الموبسيوستى - درس أيضا نسطوريوس . وهنا يتساءل كثير من العلماء فيما إذا كان نسطوريوس قد تتلمذ على يدى المعلم ثيودوريوس الموبسيوستى أم لا ؟ ولقد انقسم العلماء والباحثون عندما حاولوا الإجابة على هذا السؤال . فإن البعض (مثل تيكسرونت) يعتقد بأن الشاب نسطوريوس كان على علاقة طيبة ووثيقة مع الشيخ المعلم ثيودوريوس . وقد نزل (نسطوريوس) ضيفاً على معلمه وهو فى طريقه إلى مدينة القسطنطينية عندما دعاه الامبراطور لكى يُنصب بسقفا عليها . ويعتقد البعض أيضا تأييدا لهذا الرأى بأن الاسقف الشيخ قد زوّد الشاب نسطوريوس بعدة نصائح ووصايا وارشادات وتعاليم . فقد نصحه بالأعتدال والتسامح . وذهب هذا الفريق أبعد من ذلك فى تأكيده لوجود علاقة قوية بين المعلمين ، فإن هاوارد (F. Hayward) يظن بأن نسطوريوس كان تلميذا لثيودوريوس . كما أن كواستن يؤيد الرأى

---

9. J. Quastan. 717. J. F. Bethune baker. 13.

★ ولد ديودورس الطرسوسى فى العشرات الاولى من القرن الرابع فى أنطاكية . ومات فى حوالى سنة ٣٩١ - ٣٩٢ (انظر هذا المجلد ص ١٧٢ - ١٨٠)

★ فيما يخص علاقة نسطوريوس بثيودوريوس الرجاء الرجوع إلى :-

1. Tixeront. 2. Quastan. 3. F. Hayward. 4. Brier. M. Legende syria que de Nestorius. 19. Nau. F. Heraclid de Damas 6.

٩ - ليكورى : تاريخ الهرطقات مع دحضها ص ١٠٣ ٥ -٦ - عيسى أسعد الطرفة النقية فى تاريخ المسيحية .

القائل بأن نسطوريوس درس على يدى ثيودوريوس وهذا ما حاول آفكر (Evaqre) أن يثبته[١٠] كذلك بونيفاس فهو يعتقد بأن الذى أسند إليه مهمة رعاية شعب كنيسة أنطاكية والاهتمام بتعاليم العقائد فيها هو أسقف انطاكيا نفسه[١١] .

أما البعض الآخر فقد إعتقد بأنه من المستحيل بأن يكون نسطوريوس قد تتلمذ على يدى ثيودوريوس . فان الاستاذ كاميلوت (Th. Camelot) يستبعد هذا الأمر بالقول . « إذا كان نسطوريوس قد وُلِدَ بعد سنة ٣٨١ فإنه من الصعب أن يكون تلميذاً لثيودوريوس الذى كان أسقفا لمدينة موبسيوستى فى سنة ٣٩٢[١٢] أما العالم آمان (E. Amann) فهو يعتقد بأنه لا توجد أدلة كافية تثبت وجود علاقة قوية بين الرجلين ، كما أنه يبدو من الصعب تأكيد أن نسطوريوس تتملذ على يدى ثيودوريوس . وفى مقال آخر يقول نفس العالم إنه غير مؤكد أيضا أن نسطوريوس قد نزل ضيفا على الأسقف ثيودوريوس وهو فى طريقه إلى القسطنطينية الأمر الذى حاول العالم بارهادفذابا (Barhadvesabba) أن يثبت صحته[١٣] .

من العرض السابق . يبدو أنه من الصعب إثبات أو نفى حقيقة أن نسطوريوس قد تتلّمذ على يدى المعلم ثيودوريوس اثناء فترة الرهبنة . لأن الوثائق الخاصة بحياة نسطوريوس فى تلك الفترة قليلة وغير أكيدة ، ولكن بالرغم من ذلك يمكننا القول بأن نسطوريوس تأثر بشدة بتعاليم ثيودوريوس الموبسيوستى[١٤] سواء كان تلميذا له بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . فإن تعاليم الاثنين متشابهة إلى حد كبير جداً . وقد إتبع الاثنان بطريقة واضحة وصريحة التعاليم الكرستولوجية الانطاكية . كما سنشرح ذلك فيما بعد .

ترك نسطوريوس دير أبربيوس عندما دعى لرعاية إحدى كنائس انطاكيا . وعلى ما يقال فإن ثيودوريوس هو الذى قام بسيامته كاهنا وأسند إليه مهمة تعليم العقائد المسيحية[١٥] *

بدأ نجم نسطوريوس يلمع عاليا فى سماء أنطاكية كواعظ . فبالرغم من أن سقراط المؤرخ الذى كان معاصراً له فى القسطنطينية يصفه بشراسة الطبع وبالغرور والكبرياء

---

10 Evaqre. Hist. eccl. 1. 2. P.G. 86. 245.

11. Bonifas. T.2 102 - 106.

12 P. Th. Camelot. Ephese et Chalcedoine P.25

13. E. Amann. D.T. Cat. T. 11. 90-91. D.T.C. 15. 236.

14. E. Amann. D.T.C. 91.

15. F. X. Murphy et. sherwood. P. 25.

★ يقول العالم آمان اننا نجهل تاريخ سيامته شماسا وكاهنا : انظر ايضا ليكورى ص ٢٠٣ ، ثم عيسى اسعد ١٠٩

واحتقاره للقدماء وتعاليمهم ، لبلاغته فى الكلام ، الأمر الذى قاده إلى الجهل وعدم المعرفة(١٦) ، ولكن على ما يبدو فإن نسطوريوس كان واعظا مفوها وخطيبا قديراً(١٧) إستطاع بسلاسة أسلوبه وبمعرفته الكتابية وبرخامة صوته أن يستحوذ على الباب سامعيه(١٨) فذاع صيته وانتشرت سمعته ليس فقط فى أنطاكية بل وصلت إلى القسطنطينية المدينة العظيمة مقر الامبراطور(١٩) .

16. Socrate. The ecc. hist. 7. 32. 171
17. Gennade De Vir ill., 53, Quastan 717.
18. J. F. Buthene - Baker 6.
19. E. Amann D.T.C. 91.

الفصـــل الثانى

نسطوريوس رئيس أساقفة القسطنطينية

كان مركز رئيس أساقفة مدينة القسطنطينية فى ذلك الوقت مرموقا ومرغوبا ، وخاصة بعد أن دُعيت المدينة بروما الجديدة لوجود الامبراطور وحاشيته فيها . ولهذا السبب ولاسباب أخرى ، كان كرسى رئيس أساقفة القسطنطينية يشد أنظار الكثيرين من الطموحين . وهذا ما حدث عندما تُوفى الاسقف أتيكوس (Atticus) فى سنة ٤٢٥ ؛ إذ تقدم لخلافته كل من بروكلوس (Proclus) وفيلبس (Philippe) وسيسينيوس (Sisinnius) وتم معا إنتخاب هذا الاخير ونُصب رئيس أساقفة فى ٢٨ فبراير سنة ٤٢٦[١]. ولم يطل جلوسه على الكرسى ، إذ أنه توفى فى سنة ٤٢٧ . وهنا ظهر من جديد للخلافة الطالبان القديمان ، بروكلوس وفِيْلبُس وآخرون عديدون[٢] على أن الامبراطور ثيودوريوس الثانى (Théodose II) وضع فى قلبه أن يختار أجنبيا للجلوس على كرسى روما الجديدة . ولذلك إتجهت أنظاره إلى أنطاكية إذ أنه من المحتمل بأن شهرة الواعظ المفوه كانت قد وصلت إلى القسطنطينية ، وإلى آذان الامبراطور نفسه . خصوصا وأن بعض النصوص من عظاته كانت قد إنتشرت فى هذه المدينة[٣] ونسطوريوس نفسه يقص لنا فى كتابه الذى سماه بازار هيراقليدوس[٤] كيف أن الامبراطور إختاره ودعاه من انطاكية لكى يكون اسقفا على مدينة القسطنطينية ، لأن الاكليروس لم يتفقوا على تعيين أسقف محلى ، ولأن فجوة الخلاف إتسعت بين الرهبان والاكليروس والشعب على اختيار أسقف وطنى . ولهذا السبب فقد إختار الامبراطور رئيس اساقفة أجنبيا ، لكى يبتعد عن

---

1. Socrates The Eccl. Hist. 7. 26. (169).
2. Martin Jugie Echos d'orient (1911) No. 90. P. 257.
3. Gennade de Script. eccl. N 53. P. L. T. LV III Col. 1088 - 1089.
4. Bazaar Of Heraclides P. 279 - 281.

الخلافات والانشقاقات التى كان يمكن أن يثيرها المرشحون المحليون لهذا المركز[٥] ولذلك فقد طلب الامبراطور ثيودوريوس الثانى بأن يحضر نسطوريوس إلى أنطاكية وان ينصب أسقفا عليها[٦] .

لم تكن هذه هى المرة الاولى التى نرى فيها اسقفا أجنبياً ومن أنطاكية بالذات يتربع على كرس القسطنطينية . فقد عين البلاط الامبراطورى فى سنة ٣٩٧ على كرس القسطنطينية الواعظ الشهير والتقى الورع والمحبوب القديس يوحنا فم الذهب وهو انطاكى ايضا[٧]

وعندما فكر الامبراطور فى إختيار نسطوريوس كرئيس أساقفة المدينة اعتقد أنه سوف يتجنب إنقسامات واضطرابات كان يمكن أن تحدث عن طريق اختيار أسقف وطنى . فهل إستطاع فعلا أن يتجنب هذه الانقسامات فى اختياره لنسطوريوس ؟

نسطوريوس رئيس اساقفة القسطنطينية وإنفجار المشاكل العقائدية والسياسية

١ - مطاردته للهراطقة

عندما نُصب نسطوريوس الأنطاكى رئيسا لأساقفة القسطنطينية فى يوم ١٠ أبريل (نيسان) ٤٢٨ وهى السنة التى توفى فيها المعلم ثيودوريوس الموبسيوستى ، ألقى خطابا على مسامع الامبراطور والشعب مبينا فيه مخططه الدينى والسياسى . وقد قال مخاطباً الامبراطور « هبنى بلاداً بدون هراطقة ؛ أمنحك السماء بديلا ، استأصل معى الهراطقة أقِف بجانبك فى محاربتك للفرس »(٨ ، ٩ ، ١٠) .

من الغريب العجيب أن هذا الرجل الذى يبدأ خطاب تنصيبه بهجوم عنيف قاسى شرس ، ضد الهراطقة ، قدم هو نفسه للمحاكمة ، وخلع من منصبه وطرد ونفى خارج البلاد كهرطوقى ، بعد ثلاث سنوات تقريبا من تاريخ القاء هذا الخطاب ! ! ! ! ولكن ، هل كان فعلا هرطوقيا ؟ هذه هى القضية التى لم ينفق عليها العلماء المعاصرون والتى

5. J. F. Bthune - Baker op. Cit. 6 - 8
6. M. Jugie Echos d'orient 1911. No. 90. 257
7. E. Amann D.T. Cat. 11. P. 91.
8. Socrates Scholasticus. The Eccl. Hist. 7 : 29.
9. J. Jugie. Echos. op, cit 258.
10. F. Loofs Westoriana P. 171.

سنتعرض لها فيما بعد . ولكن الامر الذى إتفق عليه العلماء هو ان نسطوريوس كان متعصبا لا يهاود ولا يلين فى محاربته لكل ما يُشتم منه رائحة الهرطقة . ولهذا السبب فقد بدأ خطابه فى يوم تنصيبه بدعوة الامبراطور لمساعدته فى إستئصال جذور الهرطقة أينما وجُدت فى الامبراطورية ولم تكن هذه الكلمات كلمات جوفاء بلا معنى ولا قصد ، بل كان يعنى كل كلمة قالها فى خطابه . ولذلك قام بحملة مسعورة ضد الأحزاب والمذاهب والشيع الدينية . وكانت أول ضحاياه جماعة الأريوسيين . فبعد تنصيبه بخمسة أيام فقط ، حاول أن يهدم المكان الذى إعتاد أن يجتمع فيه الأريوسيون سراً . وعندما علم هؤلاء بالأمر ، أضرموا هم أنفسهم النار فى المكان . ولقد إمتدت النيران إلى البيوت المجاورة فاحترق بعضها[11] مما أثار اضطرابات فى المدينة وفى المدن المجاورة . وبعد هذه الحادثة صدر فرمان إمبراطورى بتاريخ ٣٠ مايو (أيار) بمتابعة الهراطقة أينما وجدوا ، وطردهم ولم يستثنى من هذا الاضطهاد إلا جماعة البلاجيين . وكانت قائمة المغضوب عليهم طويلة شملت : - أتباع أريوس وأبولوناريوس ، والنوفاتيين والمقدونيين ، والأقنوميين والفالانتينيين والمونتانيين والمركيونيين ، والبولسيين ... وآخرين كثيرين[12]*

٢ - **هجومه على بعض العادات والتقاليد**

قام أيضا بحرب شعواء ضد بعض العادات والتقاليد المعروفة والمقبولة فى المدينة . وعمل جاهدا على الغائها . مثل المسارح والغناء والرقص والملاهى . مما أثار غضب الرومان عليه . كما أنه هاجم ايضا تطرف الرهبان والاكليروس[13]

٣ - **هجومه على الامبراطورة بولخارى (Pulchérie)**

كانت الامبراطورة بولخارى أخت الامبراطور قوية الشخصية ، واسعة النفوذ ، وكثيرة المطالب . ولقد إعتادت تناول طعام العشاء فى قصر الأسقفية بعد اشتراكها فى الأفخارستيا (العشاء الربانى) . على أن نسطوريوس لم يقبل هذه العادة . مما أثار غضب الإكليروس والبلاط الإمبراطورى ضده . ولم يكتف بذلك ، بل أمر بأن تُمسح صورتها التى كانت قد رُسِمت على المذبح . وكان من المعتاد أيضا أن يتناول الامبراطور الافخارستيا (العشاء الربانى) فى يوم عيد القيامة داخل الهيكل . ولقد سبق أن طلبت

---

11. Socrates. Op. Cit. 169 - 172. P. G. Col 804.

12. E. Amann D. T. C. T. 11. 91.
★ اتفق معظم المؤرخين على ان نسطوريوس كان المحرك والعامل على اصدار هذا الفرمان الامبراطورى لاضطهاد الهراطقة . (انظر Socrates. 7. 29 E. Amann D.T.C. 91. Bardy. 165 - 166, Jugie Echos. 258

13. M. Jugie. Echos... op. cit 258.

الامبراطورة نفس الامتياز من الإسقف السابق سيسينيوس ومنحه لها . أما نسطوريوس فقد رفض ذلك :

ففى يوم عيد الفصح توجّهت إلى الهيكل لكى تتناول العشاء الربانى كعادتها داخله ، فمنعها من الدخول قائلا لها بان هذا المكان لا يدخله إلا الكهنة . وعندما شدّدت على الدخول قال مرة ثانية بان هذا الهيكل لا تطأه إلا أقدام الكهنة . فقالت له : « ألا يحق لى بأن أدخل إلى هذا المكان لانى لم ألد الله ؟ « فأجابها » أنت ولدت الشيطان ، ثم طردها من الهيكل » إننا نتفق مع جيج بأنه ليس من السهل التحقق من مدى صحة هذه القصص ، ولكن من المؤكد أن الامبراطورة كانت ضد نسطوريوس من بداية ظهور النزاع العقائدى حول مشكلة أم الله ، ويشير هو نفسه إلى ذلك فى كتابه هيراقليدس .

٤ – هجومه على لقب أم الله للعذراء القديسة مريم

إعتقد البعض أن نسطوريوس هو الذى بدأ بالهجوم على فكرة منح لقب أم الله لمريم[١٤]* ولكن حقيقة الامر غير ذلك . وقد سبق أن أشرنا إلى أن ثيودوريوس الموبسيوستى تعرّض لهذه المشكلة[١٥] التى كانت موضوعا للجدل والمناقشة فى أنطاكية وفى القسطنطينية . فإن نسطوريوس لم يهاجم فى بداية الأمر نسبة لقب أم الله للعذراء القدسة مريم . ولكن عندما نُصّبِ أسقفا لمدينة القسطنطينية وجد نفسه أمام تيارين من التعاليم العقائدية ، وكان عليه بصفته أسقفا أن يتدخل لحل هذه المشكلة[١٦] ولنحاول الآن أن نتتبع تطور الصراع العقائدى بين هذين التيارين .

اناستاسيوس ANASTASE

عندما جاء نسطوريوس إلى القسطنطينية أحضر معه من أنطاكية شماسا يدعى اناستاسيوس أولاه كل تقدير وإحترام ، وكلفه بمهمة الوعظ والتعليم ، لابل إعتبره المستشار الشخصى له فى كثير من الأمور[١٧] .. وكان أناستاسيوس على ما يُعتقد من تلاميذ ثيودوريوس الموبسيوستى[١٨] .

---

١٤ – الشماس منسى القمص . ٢٦٢

١٥ – انظر هذا المجلد ٢٣٥ – ٢٣٨ ، ٣٣١ – ٣٣٦

16. A. Grillmeier 432

★ انظر ايضاً كتاب Iris Habib El Massri The Story Of The Copts. P. 193.

17. Socrates. Op. Cit. 32. P. 170 - 171.

18. J. Tixeront Op. Cit. 23 Voir Bonifas. 2e Vol. 102 - 106.

وفى يوم من الأيام قام أناستاسيوس بالقاء عظة فى الكنيسة عن أمومة مريم لله ، وقال فيها « بانه لا يجب أن ندعو مريم أماً لله ثيوتوكوس (Theotokos) لانها بشر ، ومن المستحيل أن يولد الله من مخلوق بشرى[19] كانت هذه الجملة عبارة عن قنبلة إنفجرت فى الكنيسة* وكان الشعب ينتظر من رئيس الأساقفة الذى كان حاضرا وسمع هذه العظة ، أن يتخذ موقفا معارضا من أناستاسيوس ومن تعاليمه . ولكن على العكس فقد أيده فى أفكاره[20] وهنا انقسم الشعب والرهبان إلى حزبين . حزب تقليدى يرفض آراء أناستاسيوس ، وحزب ضد التقليد يقبل آراء أناستاسيوس[21] وأمام هذا التشويش والاضطراب جاء الشعب وبعض الاكليروس إلى رئيس الأساقفة فى القصر الأسقفى لكى يعرضوا عليه هذه القضية ويسمعوا حكمه النهائى فيها . وأصغى نسطوريوس إلى شكوى الحزبين . وبعد ذلك تحدث معهم حديثا طويلا وسألهم أسئلة كثيرة . ويقول هو نفسه عن هذه المحادثات التى دارت بينه وبين أعضاء هذين الحزبين : « ولما سألتهم أدركت أن الحزب الأول لا ينكر الناسوت ، كما أن الحزب الثانى لا ينكر اللاهوت ، ويعترف كل منهما باللاهوت وبالناسوت ، ولم يختلفا إلا على كلمات واصطلاحات . فإن أتباع أيولوناريوس يقبلون عبارة « أم الله » وأتباع فوتيوس (Photin) يقبلون لقب أم الإنسان . وعندئذ حاولت أن أخرجهما من هذا الصراع فقلت : « يمكننا أن نقبل ما يقوله الحزبان فى ضوء تعليم الإنجيل الذى يقول « وَلِدَ المسيح ... فاذا دعوتم مريم أم المسيح فانكم تشيرون بهذا الاسم إلى الاثنين ؛ يعنى أم الله وام الإنسان » .

وعندما سمعوا هذا الكلام قالوا بأن المشكلة قد حُلِت أمام الله[22]* ولقد ظن نسطوريوس بأن إقتراحه باستعمال لقب أم المسيح بدلا من أم الله قد حلّ فعلا المشكلة العقائدية المعقدة* ولذلك فقد بدأ بالقاء سلسلة طويلة من العظات العقائدية شارحا فيها تعاليمه الكرستولوجية والمريمية . ولكن الشعب أدرك أن تعاليمه تحتوى على أفكار ازدواجية[23] لابل إنهم فهموا بأنه ينادى بأن مريم لم تلد الله بل ولدت انسانا* وهنا بدأ

---

19. Socrates Op. Cit. 32.

★ يعتقد البعض بأن هذه العظة ألقيّت يوم الأحد الموافق ٢٥ ديسمبر ٤٢٨ على أن البعض الآخر من المؤرخين يعطى تاريخا تقريبياً وهو نهاية سنة ٤٢٨ (انظر Neandre. Vol. 2. P. 449, Jugie. 260.

20. A. Harnack Précis. P. 212.

21. Evagrius Hist. Eccl. 1,2.

22. Bazar d'Heraclide P. 91 - 92.

★ ترجمة بتصرف من كتابه الذى يدعى بازار هيراقليدس .

★ لقد قال نسطوريوس نفس الشئ فى رسالته إلى يوحنا الانطاكى .

★ لا أقول بإنه علّم بهذه التعاليم بل أن الشعب فهم بانه علّم بها .(انظر F. Loofs P. 185, Jugie 261

23. A. Grillmeier R. 426 - 432.

الصراع والانقسام من جديد . وكانت الأغلبية الساحقة من الإكليروس والرهبان ضد رئيس الأساقفة . على أن الأغلبية الساحقة من أعضاء البلاط الامبراطورى كانت تؤيد نسطوريوس كما أنه كان يتمتع بعطف ومحبة الامبراطور ثيودورسيوس الثانى . فمن الملاحظ بان عددا كبيرا من الرهبان كان ضد التعاليم الانطاكية الإزدواجية . مثل أيتخوس الذى كان ، رئيساً لاحدى الاديرة فى القسطنطينية .

ومما زاد الأزمة تعقيداً ظهور بعض المتعصبين المتطرفين من الجانبين . فقد قام دوروثيوس أسقف مركيا نوبوليس - بإلقاء عظة فى حضرة رئيس الأساقفة وقال فيها ، فليكن محروما كل من يدعو مريم أماً لله . وكان من المنتظر بأن نسطوريوس يظهر على الأقل عدم الموافقة على هذا التعليم ، ولكنه على العكس من ذلك فقد اشترك معه فى العشاء الربانى بعد الخدمة[٢٤] فلم يقبل الحزب المعارض موقف رئيس الاساقفة . وفى يوم من الأيام عندما كان نسطوريوس يشرح فى الكنيسة أن الله الكلمة لا يمكن أن يولد مرتين[٢٥] قاطعه محام علمانى وهو ازبيوس (Eusebe) والذى صار فيما بعد أسقف دوريلوس Dorylee معلنا ولادة ابن الله المزدوجة[٢٦] ولم يكتف أزبيوس بأن يقاطع بصوت مرتفع رئيس الأساقفة فى الكنيسة - بل إنه ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فبعد عدة أيام من هذه الحادثة[٢٧] قام بتأليف مكتوب صغير إحتوى على ستة بنود . وهى عبارة عن مقارنة بين تعاليم نسطوريوس وتعاليم بولس السموزاطى (أو السيميساطى) الذى حُكِمَ عليه وعلى تعاليمه من ١٦٠ سنة قبل ذلك[٢٨] ولقد علّق هذه البنود على باب الكنيسة فى القسطنطينية كما فعل مارتن لوثر فيما بعد . وهنا تزداد الفجوة إتساعا ويزداد الخلاف عمقا - مما أدى إلى إنفصال عدد كبير من الاكليروس عن رئيس الاساقفة . وقد إجتمع هؤلاء معا ، وعلى ما يعتقد فإنهم طلبوا من الاسقف بروكلوس (Proclus) أن يدافع عن عقيدة أمومة مريم لله . وكان بروكلوس أحد الأساقفة فى أبروشيته وقد كان مرشحا لكرسى القسطنطينية من قبل إنتخابه . وقام بروكلوس فعلا بالقاء عظة بيّن فيها بأن مريم هى أم الله ، وأن الذى ولدته هو الله الكلمة وليس انسانا . ولحسن الحظ فان نص هذه العظة مازال موجوداً[٢٩] وبعد أن أنهى الاسقف عظته الدفاعية عن مريم ، وقف نسطوريوس لكى يرد على اسقفه المعارض لأرائه ولم يفلح فى إقناعه . وهنا أضحى

---

24. St. Cyrille. epist. XIP.G.T. LXXVII. Col. 81 .
25. E. Amann. D. T. Cat 92, A. C. O. 1,1,1, P. 103 P. G. + 70 Col. 680.
26. Marius Mercator. Impii Nestorü Seromo 111, PL, T 48 COL. 769 - 770 .
27. Jugie Op. Cit 261.

٢٨ - المجلد الاول من تاريخ الفكر المسيحى للمؤلف ٦٠١ - ٦١٠.

29. A. C. O. 1,1,1, 103 P.G.T. 7. Col. 680

الخلاف واضحا والانشقاق واسعا . وعندئذ إستعمل نسطوريوس القسوة والشدة لكى يرجع الذين تزعموا حركة المعارضة ضده . فقام بحرم وخلع بعض أفراد الاكليروس أمثال فيلبس الذى كان مرشحا لكرسى القسطنطينية(٣٠) وعندئذ قام البعض بالمظاهرات كرد فعل لهذا التصرف . وصرخ البعض فى هذه المظاهرات قائلا « إننا نريد أن يحكم علينا امبراطور وليس رئيس اساقفه » فقادهم رجال زجال الشرطة إلى المحاكم فجلدوهم . وعندما إستعمل الرهبان نفس الأسلوب بمظاهراتهم ضد رئيس الاساقفة ، فإن هذا الاخير عاملهم بطريقة أقسى وأعنف . فان راهبا قد دفعته الحماسة والغيرة ثم البساطة أيضا ، فاعترض طريق نسطوريوس لكى يمنعه عن القيام بفريضة العشاء الربانى . فلم يتورع رئيس الاساقفة من لطمه على وجهه عدة لطمات ، ثم سلمه للشرطة فجلدوه وأرسل بعد ذلك للنفى . وعندئذ جاء إلى القصر الأسقفى الأرشيمنداريت باسيليوس مع بعض رهبانه لكى يحتجوا على تلك التصرفات . وطلبوا من نسطوريوس أن يفسر لهم تعاليمه . وبعد أن تركهم مدة طويلة فى الانتظار ، أرسل لهم الشرطة فقادتهم إلى المحكمة ، وهناك عاملوهم معاملة قاسية وسجنوهم ولم يطلق سراحهم إلا بعد أن ذهب نسطوريوس نفسه ولطم كل واحد منهم عدة لطمات(٣١) .

إن موقف المعارضين المعادى لرئيس الاساقفة فيما يخص عقيدة أمومه مريم لله دفعه إلى التحدث والكتابة والوعظ مرارا كثيرة فى هذا الموضوع كما لو كان لا يوجد أى موضوع آخر يجب معالجته أو الوعظ عنه(٣٢) فقد أسهب كتابة ووعظا فى معالجة هذه العقيدة مما زاد الخلاف بين الحزبين .

مـاهو مفهوم نسطوريوس لعبارة أم الله (سيوتوكوس) ؟

بعد أن رأينا تطور الاحداث من الناحية التاريخية ، لنتقدم الآن لمحاولة شرح تعاليم نسطوريوس الخاصة بأمومة مريم لله . والسؤال الأول والبديهى الذى يتطرق إلى ذهن أى دارس لهذه المشكلة هو : هل يجوز لنا أن ندعو القديسة العذراء مريم أماً لله (ثيوتوكوس) ؟ وهل إذا أطلقنا هذا اللقب منح هذا اللقب (أم الله) على القديسة المطوبة مريم فإن هذا يعنى بأننا رفعناها إلى درجة اللاهوت ؟ وهل فى رفضنا لمنحها هذا اللقب نتعرض للسقوط فى هرطقة بولس السموزاطى ؟ (السيمسياطى ؟)(٣٣) وعلم هذا

---

30. M. Jugie. Echos. Op. Cit 262.

31. Bonifas T.2. 102 - 106, E. Amann. D. T. C. 93, Jugie 262 Bardy 171.

32. J. M. A. Sallre - Dabadie. Les Conciles oecumeniques dans L. Hist. P. 95 - 96. Op. Cit. 92 - 95.

٣٣ – دكتور حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الاول ٦٠١ – ٦١٠

الأخير بأن مريم لم تلد إلا انساناً : الإنسان يسوع وليس الكلمة . فقد ولدت الانسان يسوع الناصرى . وبناءً عليه فهى ليست ام الله . فما هو إذن اللقب اللائق الذى يجب أن ندعو به القديسة مريم ؟ هل يمكن أن ندعوها أم الله ، أو أم المسيح ، أو أم يسوع أو أم سيدنا يسوع المسيح ؟ وما هى المخاطر الحقيقية العقائدية التى يمكن أن تختفى خلف إستعمال لقب دون الآخر ؟

مما لا شك فيه بأن الذى أثار مشكلة أمومة مريم لله هو اناستاسيوس وليس نسطوريوس ، ولكن المسئول الأول عن الثورة التى إندلعت بعد ذلك ، هو نسطوريوس ، إذ أنه وعظ وعلّم ودافع بكل قوته ضد هذا اللقب . وهنا يجب أن نسأل لماذا رفض ضد اسقف القسطنطينية فى بداية الأمر إستعمال هذا اللقب ؛ أو وافق على إستعماله بتحفظ شديد مع إحاطته بالتفسير عند إستعماله ؟ توجد عدة أسباب دفعت نسطوريوس بأن يتخذ هذا الموقف :-

١ - خوفه من الخلط

كان نسطوريوس يخشى أن يخلط الشعب بين المفهوم المسيحى لمريم العذراء كأم لذاك الذى كان يسكن فيه اللوغوس ، وبين المفهوم الشعبى الوثنى للآلهات العذارى . وكان يخشى أن يجعل هذا اللقب (أم الله) من مريم واحدة من الآلهات العذارى الوثنيات اللآتى كان الشعب الوثنى يعبدهن . وبناء عليه تصبح معجزة التجسد عبارة عن إسطورة من الأساطير الوثنية القديمة[٣٤] الخاصة بعبادة الآلهات العذارى . وسوف نرى فى بحثنا هذا موقف الأفسسيين المعارض لنسطوريوس اثناء إنعقاد المجمع فى مدينة أفسس أكبر مركز لعبادة الالهات الوثنيات العذارى . ألم يصرخ شعب هذه المدينة فى القديم فى وجه بولس قائلا « عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين (أع ١٩ : ٢٣- ٢٩) ؟

٢ - مكانة مريم

إحتلت القديسة مريم منذ القرون الاولى مكانة ممتازة جدا فى الكنيسة ووصلت فى بعض الأحيان إلى درجة العبادة . ولقد قارن كل من يوستينيوس واريناوس وترتليانوس طاعتها وخضوعها لله كحواء الجديدة بالمقابلة مع ما قامت به واظهرته حواء القديمة من عصيان . وهذه المقارنة تشبه المقارنة التى يقدمها الرسول بولس بين المسيح وآدم (رومية

34. Bonifas Tome 2. 100 - 106.

٥ : ١٢ – ٢٢) لا بل قد ظن بعض من هؤلاء الآباء أن مريم إشتركت فى عملية الخلاص[٣٦] وفى القرن الرابع نرى أفرايم السريانى يؤلف لها الاناشيد ولقد إشتهر رابوله (Rabbula) أسقف أودسا بصلواته الكثيرة للعذارء مريم[٣٧] .

٣ – فى اصطلاح أم الله رائحة الهرطقة

لقد سبق أن رأينا موقف نسطوريوس تجاه الهراطقة من أول يوم لتنصيبه رئيس أساقفة[٣٨] فإن الذى دفع به للوقوف بجانب الراهب أناستاسيوس ، والتشديد على ترك استعمال لقب أم الله لمريم ، هو إعتقاده الراسخ بأن هذا الاصطلاح يشتم منه رائحة الهرطقة الأريوسية والأبولوناريوسية .

لم يكن نسطوريوس هو الاول الذى تعرضّ لمعالجة مشكلة نسب لقب أم الله لمريم . فإن ديودوريوس الطرسوسى وهو معلم ثيودوريوس الموبسيوستى ، لم يقبل أن تدعى مريم أم الله . وذلك لأنه كان يعتقد بأن الذى وُلِدَ من مريم ، ليس الله الكلمة ، بل الإنسان يسوع الناصرى ، ابن مريم وابن ابراهيم وداود ، وبناء على ذلك فإنه لا يليق بان يُمنح هذا اللقب لأى بشر كان . فإن مريم هى أم الإنسان المتأله وليست أم الله الكلمة المتُجسد* وجاء بعده تلميذه ثيودوريوس الذى حاول أن يتخذ طريقا وسطا . فلو سألناه قائلين هل مريم هى أم الله أم هى أم الإنسان يسوع الناصرى ؟ فانه يجيب ، بانها أم الإنسان يسوع الناصرى ، ابن داود من ناحية الجسد ، وهى أيضا أم الله ، لان الكلمة كان يسكن فى هذا الإنسان يسوع الذى ولدته[٣٩] وإذا طرحنا نفس السؤال على نسطوريوس ، لأجاب بنفس الطريقة التى أجاب بها معلمه ثيودوريوس* وهذا يعنى أنه يمكن أن ندعو مريم أم الإنسان وأم الله . ولكن فى هذه الحالة الاخيرة يجب شرح السبب الذى من أجله ندعوها أم الله : فبما أن الكلمة إتحد نفسه بما قد ولدته مريم العذراء وبما أن الكلمة كان يسكن فى الإنسان الذى ولدته ، فيمكن القول إذن بأن مريم هى أم الله .

ومع أن نسطوريوس يسمح باستعمال لقب أم الله لمريم إذ أُعطِىَ تفسير واضح وصريح ، إلا أنه يفضل إستعمال لقب أم المسيح Christoto Kos بدلا من أم الله . وإننا

---

36. Justin Dial..., 100, Jren adv., Haer Mass. V. XIX 1, Tert. de Carne Christ 17.
37. J. F. Bethune - Baker. 5.6

٣٨ – انظر هذا المجلد ص ٤٤٥ – ٤٤٦ .

★ انظر نفس المجلد ٢٣٥ – ٢٣٦ ، ٣٣١ – ٣٣٦ .

٣٩ انظر نفس المجلد ٢٣٥ – ٢٣٨ ، ٣٣١ – ٣٣٦ .

★ لقد تتلمذ ثيودوريوس على يد ديودريوس ، كذلك تتلمذ ايضاً نسطوربوس على يد ما يعتقد بعض العلماء على يد ثيودوريوس . ولقد اتبع ثلاثتهم التعاليم الأنطاكية .

تتفق معه فى استعمال أم المسيح أو أم يسوع بدلا من أم الله وهنا نسأل لماذا حاول هؤلاء المعلمون تجنب إستعمال هذا اللقب أم الله ؟ كان نسطوريوس وثيودوريوس وديودوريوس ، يرون فى إستعمال هذا اللقب مجردا من الشرح نوعاً من الهرطقة.فقد عرفنا أن نسطوريوس كان يخشى الخلط بين الآلهات الوثنيات وبين أم يسوع ، على أنه كان يخشى أيضا فى إستعمال هذا الاصطلاح السقوط فى هرطقة عدم أزلية الابن أى عدم أزلية اللوغوس وتحديد زمن وجوده . فإذا كانت العذراء مريم هى فعلا أم الله ، فانه يمكن القول أيضا بأن الكلمة أو اللوغوس ليس أزليا كما ان مريم غير أزلية وفى هذه الحالة يوجد وقت ما لم يكن اللوغوس موجوداً فيه . وهذا ما قد نادى به أريوس والأريوسيون وهذا ما أراد نسطوريوس محاربته وهدمه . إذ أنه كان يعتقد مثل معلمه ثيودوريوس الموبسيوستى ، أن الطبيعة الالهية مولودة من الأب قبل كل الدهور ، وهى موجودة معه ، وبدايتها مساوية تماما لبداية الآب الأزلى . فإن الكلمة لم يبدأ إذن ببداية مريم العذراء ، ولم يأخذ أبدا بدايته منها . إن أصل الكلمة يرجع إلى الأب الأزلى وليس إلى مريم ، وبناء على ذلك فإن الكلمة الله لم يولد من مريم ، وليست هى الأصل بل الأب هو الأصل والمنبع للكلمة الأزلى (اللوغوس) . ويقول نسطوريوس ما معناه ، أنه لا يمكننا أن نجد فى الكتب المقدسة أية إشارة تدل على أن الله وُلِدَ من مريم ، بل أن الذى وُلِدَ من مريم هو يسوع المسيح ...... هذا ما تعلمه الكتب المقدسة ، وهذا ما نعترف نحن به ، وأن الكتب تتكلم عن تجسد الكلمة ، ولكنها لا تذكر شيئا عن ميلاده (الكلمة) فإن الذين ينادون بأمومة مريم لله ينادون بأن القديسة المطوبة موجودة قبل الله ..... وكيف يمكن لإنسان أن يلد ما ليس من طبيعته ؟ فإن كانوا قد منحوا لقب أم الله الى الوالدة فإن المولود هو بشر مثلها وليس اللاهوت (عظة رقم ٨ لنسطوريوس)[٤٠] فإن أم يسوع ، هى أم ذاك الطفل الذى ولدته وليس أم اللاهوت[٤١]ويستعمل نسطوريوس فى بعض الاحيان كلمة إستقبلت بدلا من ولدت عندما يتحدث عن التجسد أو عن ميلاد المسيح من العذراء . فاننى أقول هى التى إستقبلت الله ولا أقول التى ولدت الله ..... لانه لا يوجد إلا واحد .... وهو الله الآب الذى يمكن أن نطبق عليه إصطلاح الابوّة بالنسبة للابن الازلى فإن الله وحده هو الذى يلد الله* أيمكن للمخلوق أن يلد الخالق ؟[٤٢] ولقد احتفظ القديس كيرلس الاسكندرى بشذرة من كتابات نسطوريوس تتلخص فى أن العذراء ولدت إنسانا به الكلمة الذى مرّ بها وعن طريقها . فانها ليست أم الله . اذ أن لاهوت

---

40. Hom. Cat. 8.

41. F. Loofs Nesoriana P. 245 - 287.
J. F. Bethune - Baker 64 - 78.

* ترجمه بتصرف لبعض النصوص الموجودة فى كتاب

42. Bonifas. 100 - 106; Socrates 7.32. F. Loofs 352 - 353.

الكلمة لم يأخذ أصله أو مصدره ووجوده من مريم بل أخذ مصدره من الله لأنه إله بالطبيعة ....[٤٣] .

ويرجع نسطوريوس إلى حادثة زيارة مريم لأليصابات ، ويعتقد أن الروح القدس حلّ على اليصابات وعلى الجنين فى بطنها . ويتخذ من هذه الحادثة حجة متسائلا « فهل يمكن القول بأن اليصابات هى أم الروح القدس ؟ » .

من هذه النصوص ومن نصوص أخرى كثيرة من كتابات نسطوريوس يمكننا أن ندرك بأنه كان يتردد فى أحيان كثيرة فى استخدام لقب أم الله لمريم ؛ لانه اشتم فى هذا اللقب نوعا من الهرطقة ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك . ونحن نعلم بأنه قام بحرب شعواء ضد أتباع أريوس وأبولوناريوس . فعلى ما يعتقد بعض العلماء بان أتباع أريوس عملوا جاهدين على نشر لقب أم الله ، حتى يستطيعوا بعد ذلك الهجوم على لاهوت المسيح[٤٤] أن أريوس وأتباعه رفضوا عقيدة اللوغوس هو من ذات لاهوت الآب . فقد علّموا بأنه يمكن أن ندعوه إلهاً ، ولكن ليس من ذات الجوهر الذى منه الآب ، كما أنهم علموا أيضا بأن اللوغوس لم يوجد منذ الأزل ، بل كان يوجد وقت ما لم يكن اللوغوس موجودا فيه فبالعمل على نشر لقب أم الله لمريم كانوا يمهدون الطريق لنشر تعاليمهم لأنه إن كان يمكن القول بأن مريم هى أم الله ، فهذا يعنى بأنها حصلت على نوع من التأله بالرغم من أن طبيعتها ليست من طبيعة الله . أى أنها رفُعت إلى هذه الدرجة – كما رُفِعَ (ابنها لأنهم كانوا يعتقدون أن الابن ليس من جوهر الآب – ولكنه صار عن طريق تقواه الهاً . بهذا أراد الأريوسيون أن يلاشوا مساواة جوهر اللوغوس بجوهر الآب .

إنه مثل أمه التى تدعى أم الله (ثيوتوكرس) ولكنها ليست أم جوهر الله . ومع ذلك تدعى أم الله كما أنه يشبه أيضا أمه مع بعض الاختلاف فيما يخص وجوده . فمع أنها أم اللوغوس . فقد كان يوجد وقت ما لم تكن موجودة فيه ، وكذلك اللوغوس كان يوجد وقت ما لم يكن موجودا فيه . وهنا نفهم الخطر العقائدى الذى من أجله رفض نسطوريوس إعطاء لقب أم الله لمريم ، لأنه كان يعتقد أن الاعتراف بأمومة مريم لله سيقود الكنيسة إلى السقوط فى الأريوسية . ولذلك فقد حاول أن يدعم عظاته وتفسيراته فى رفض هذا اللقب بالرجوع إلى الكتاب المقدس وإلى قوانين الإيمان . فهو يعتقد بان الكتب المقدسة لا تتكلم قط عن ميلاد اللاهوت من العذراء ، بل عن ميلاد الناسوت أيضا . كما أن قوانين الإيمان لا تتحدث عن ميلاد اللوغوس من العذراء بل عن ولادته من الاب وعن

43. St. Cyrille Alex. adv. Nest... Frag. 37.

44. H. Grillmeier 432 - 433

ولادة يسوع من العذراء(٤٥) . وهذا حقيقى إذ انه من الصعب أن نجد قانون إيمان سابق لنسطوريوس يطلق بطريقة واضحة وصريحة لقب أم الله على العذراء مريم ، كما انه واضح أيضا أن الكتاب المقدس لم يرد فيه هذا اللقب ولكن ليس صحيحا ما ادعاه نسطوريوس فى تصريحه بأن إصطلاح أم الله (ثيوتوكوس) غير موجود فى تعاليم الآباء وقد كان هذا سبب نقد شديد له(٤٦) وهذا الأمر جعل المؤرخ سقراط المعاصر لنسطوريوس يصف رئيس أساقفة القسطنطينية بالجهل وعدم معرفته بتعاليم الآباء . ألم يقدم أريجانوس معلم الاسكندرية شرحا وافياً عن لقب أم الله فى تفسيره لرسالة بولس لأهل رومية ؟(٤٧) كما أن الكسندروس رئيس أساقفة الاسكندرية كان يستخدم هذا اللقب بطريقة عادية ، لا بل أن غريغوريوس النزينزى ذهب إلى أبعد من ذلك إذ أنه حرم كل من لا يدعو مريم أم الله(٤٨) . لقد جهل فعلا نسطوريوس بأن بعض الآباء قد منح لقب أم الله للقديسة العذراء مريم – ولكن لا يمكن أن نصفه بالجهل الكلى بسبب هذه الهفوة .

على أى حال فإن نسطوريوس قد رأى فى إستعمال هذا اللقب خطراً أريوسيا كما سبقت الاشارة . كما أنه إعتقد أيضا بأن هذه العبارة « أم الله » تخبىء خطراً أبولوناريوسيا فظيعا(٤٩) . فقد قالوا بأن الكلمة حل فى جسد بدون روح .

45. Kelly Early christian Doctrine op. cit 320 - 325; Dam. H. M. Diepen. O. S. B. Douze dialogues de christologie ancienne 67 - 69, Nestorius Epist..., Fraternas.

46. Le Livre d'heraclide de Damas. Edition P. Bedyon. Paris Leipzig. P. 220. (1910).

47. Origen Comm - in Rom. 1.1.5, Socrates 7. 32. 171.

48. Epist..., Ad. Cledoniun. Cité par. Bardy 170.

49. A. Grillmeier. 432.

الفصـــل الثالـــث

نسطوريوس وتعاليمه الكرستولجية Christologie

(التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح)

مفهومه لكلمة إقنوم

إن الذى يدرس تاريخ الفكر المسيحى بطريقة سطحية يعتقد أن أصل الصراع العقائدى بين نسطوريوس ومعارضيه بدأ برفضه هو وأتباعه على استخدام لقب أم الله . وصحيح أن الهجوم الذى بدأ به أناستاسيوس على لقب أم الله كان بمثابة الشرارة الأولى التى أشعلت النار . ولكن حقيقة الأمر ، أن اطلاق لقب أم الله على مريم العذراء أو عدم منحه ، لم يكن إلا مشكلة واحدة من المشاكل العقائدية التى عملت على إشعال النيران . هذا صحيح أيضا بأن الصراع بدأ بهذه المشكلة ، لكن الخطر الذى كان يخشاه نسطوريوس لم يكن كامنا وراء ، هذا اللقب فقط ، بل كان يهدد بازدواجية – المسيح . لأن الذى ولدته مريم لم يكن إلها فحسب ، بل كان إنسانا ايضا . أو على حد تعبير نسطوريوس فإنها ولدت الإنسان الذى كان فيه الله .

إن نسطوريوس لم ينكر قط لاهوت المسيح كما إتهمه البعض بذلك ، وسوف ندرس هذه المشكلة بالتفصيل . ولكن ما كان يخشاه نسطوريوس هو خلط أو مزج طبيعتى المسيح . ولذلك فقد أراد أن يميز بين الطبيعتين . ولكى يميز بين اللاهوت المُتَجُسدِ والناسوت إستعمل بعض الاصطلاحات التى إستعملها ثيودوريوس الموبسيوستى من قبل .

فالقديس كيرلس الاسكندرى ونسطوريوس يتفقان على أن الاصطلاحات الآتية عبارة عن مترادفات تقريبا .

وقد سبق شرحها ولا مانع من التأكيد عليها لأهميتها :

١ - **جــوهر** :

أ - **Essence** وفى اليونانية (أوسيا) وتعنى الوجود الحقيقى لكائن أى عكس ما هو خيالى .

ب - **Substancia** أى طبيعة الجوهر أما يتكون منه الشيء .

٢ - **طبيعــة** : **Natura** وفى اليونانية (فيزيس) وهى تعنى مميزات أو خواص الجوهر .

٣ - **أقنــوم** : هيبوستاس باليونانية . وتعنى أساس الشيء الموجود بذاته والقائم على ذاته .

وبالرغم من ذلك فقد قام صراع عنيف وإختلاف كبير بين هذين الأسقفين فى طريقة إستعمال هذه المفردات . فإن أسقف القسطنطينية إستخدم هذه الاصطلاحات جوهر = Essence أو (أوسيا) وطبيعة (فيزيس) أو (هيبوستاس) كحقيقة واقعية ، لكى يصف بها طبيعة من طبيعتى المسيح . بينما القديس كيرلس إستخدم بعض هذه الاصطلاحات لكى يصف بها شخص المسيح كله . حاول نسطوريوس أن يصف كل طبيعة من طبيعتى المسيح بطريقة متميزة واضحة . واعتبر اللاهوت كحقيقة واقعية وجوهر كامل فى حد ذاته . جوهر قائم بذاته وفى ذاته وعلى ذاته . فاللاهوت طبيعة كاملة وكذلك الناسوت أيضا ، هو حقيقة واقعية : جوهر كامل فى ذاته[٢] وبذاته أيضا وأما مدرسة الاسكندرية وعلى رأسها القديس كيرلس فلم تقبل هذا التعليم . لان أسقف الاسكندرية رأى فيه تقسيما لشخص المسيح الواحد . وخوفا من السقوط فى هرطقة تقود إلى تقسيم المسيح إلى مسيحين والابن إلى ابنين . نادت مدرسة الاسكندرية بعقيدة « الطبيعة الوحيدة للكلمة المتجسد » ورأى كيرلس هرطقة فى تعاليم نسطوريوس إذ أنه قسم المسيح إلى إثنين . وهنا يحتج نسطوريوس بشدة ويحاول أن يشرح عقيدته بأنها ثنائية (Dualiste) ولكنها ليست إنفصالية . ولكى يبيّن وحدة المسيح فى الطبيعتين إستخدم إصطلاحا آخر وهو : (بروسوبون) كلمة يونانية وباللاتينية Persona وإنشقت عنها كلمتا Person فى الانجليزية ثم Personne بالفرنسية ولكنهما تختلفان نوعا عن الاصل اليونانى .

أستُعِملَ هذا الاصطلاح فى وصف الحالة التى يحياها اى كائن بشرى . وكان اليونانيون يصفون به الشخصية الفردية لكل إنسان والحالة الخارجية أو المظهر الخارجى لحقيقة واقعية أو لجوهر ما . ولقد إستعملوه أيضا للاشارة إلى مجموعة المميزات أو الأوصاف التى يمكن بها تمييز شيء ما عن شيء آخر والتعّرف عليه . ويستخدمه العهد الجديد بمعنى وجه (٢ كو ٤ : ٦) أو بمعنى شخص (٢ كو ١ : ١١) .

---

2. A. Grillmeier 440 - 445, M. V. Anastos P. 123 - 125.

وهنا نرجع إلى مفهوم نسطوريوس لهذا الاصطلاح وكيف حاول تطبيقه فى تعاليمه الكرستولوجية . لقد علّم أسقف القسطنطينية بوجود طبيعتين أو جوهرين مختلفين الواحد عن الآخر : أى اللاهوت والناسوت . وكل طبيعة تحتوى على جوهر (أوسيا) أو على هيبوستاس = كيان أو وجود مستقل ثم على أقنوم يعنى هيئة أو مظهر خارجى (بروسوبون) فإن الطبيعة الكاملة تتكّون من جوهر ومن مظهر أو هيئة . فالطبيعة الإلهية تتكّون من جوهر وهيئة بروسوبون (أقنوم) والطبيعة البشرية تتكّون هى أيضا من جوهر وهيئة (اقنوم) . وقبل أن ندخل فى شرح مفهوم نسطوريوس للطبيعتين ، يجدر بنا أن نشرح مفهومه لفكرة الأقنوم أو الهيئة (Prosopon بروسوبون) . لانه إذا كان اسقف القسطنطينية قد علّم بوجود أقنومين فى المسيح فهذا يعنى انه علّم بوجود مسيحين . فالكنيسة علّمت بوجود طبيعة إلهية واحدة فى ثلاثة أقانيم : اب وابن وروح قدس . ففى حالة وجود أقنومين فى الابن هذا يعنى وجود أربعة أقانيم لا ثلاثة . فهل هذا هو ما أراد أن ينادى به معلم القسطنطينية ؟ إن هذا الادعاء إتهمه به منافسوه ومازال البعض أيضا يتهمونه به . ولكن فى حقيقة الامر أن نسطوريوس لم يعلّم بوجود أقنومين فى المسيح بل أقنوم واحد . صحيح بأن الدارس للشذرات التى وصلت إلينا فى كتابه الذى يدعى The Bazaar of Of Heraclides يلاحظ بأن نسطوريوس إستعمل عدة مرات كلمة أقنوم فى كلامه عن الطبيعة البشرية ، وكذلك أيضا فى كلامه عن الطبيعة الإلهية كما لو كان يتحدث عن أقنومين . وقبل التعرض لشرح فكرة الأقنوم فى مفهوم نسطوريوس يحسن بنا أن ندرس فلسفته الخاصة بالكائن . فهو يعتقد بأن كل كائن مستقل ، سواء كان هذا الكائن مادة أو حيوانا أو إنساناً . والله اللوغوس نفسه يتمتع بجوهر (أوسيا) ومنه (من هذا الجوهر) يستمد وجوده كما أن كل جوهر يحتوى أيضا على طبيعة (Bhysis) متميزة وهى عبارة عن مجموعة الخصائص والملامح والصفات ... التى تميز هذه الطبيعة أو التى تتفرد بها . وكل طبيعة ترتكز على جوهر ، فلا وجود للطبيعة بلا جوهر أو الجوهر بلا طبيعة . ان الواحد مرتبط بالآخر . ولكى يظهر الجوهر والطبيعة إلى حيز الوجود يحتاجان إلى عنصر ثالث فى غاية الأهمية وهو البرسوبون (الأقنوم)* وعن طريق البروسوبون أى المظهر أو الهيئة الخارجية يمكننا أن نرى وندرك الجوهر والطبيعة[5] إن هذه العناصر الثلاثة ضرورية ولازمة ومتلازمة .

وهنا يجب أن نسأل هذا السؤال كيف فهم نسطوريوس كلمة بروسوبون أو أقنوم وكيف شرحها ؟ لقد سبق أن أشرنا بأن الدارس لكتابات نسطوريوس يلاحظ بأنه يتكلم

* المقصود بالأقنوم هنا الهيئة أو المظهر . وليس الأقنوم كما هو الحال فى وصف الثالوث بثلاثه أقانيم .

5 M. V. Anastos 125 - 126... Bazaar. Of Her .... 158.

عن وجود أقنومين فى المسيح . إن كلمة أقنوم (Prosopon) فى عرف معلم القسطنطينية تحمل معنيين .

١ – تعنى المظهر الخارجى أو الهيئة أو الشكل ... ويقول لوفس (F. Loofs) . إن كلمة بروسوبون تعنى بالنسبة لنسطوريوس المظهر الخارجى غير المنقسم(٦) . كان نسطوريوس يعتقد بأن كل جوهر له طبيعة وكل طبيعة لها مظهر خارجى (أقنوم) عن طريقه يمكن أن تُدرك وأن تُفهم وأن تُرى بواسطته . ولقد أعطى نسطوريوس لهذا المظهر الخارجى أو الهيئة أو الشكل الذى عن طريقه يمكن أن ندرك الجوهر أو الطبيعة اسم بروسوبون(٧) فعلى سبيل المثال إن الإنسان مكّون من جوهر ومن طبيعة ومن مظهر أو هيئة خارجية للجوهر وللطبيعة (بروسوبون) . لان كل طبيعة وكل جوهر لهما بروسوبونها أو شكلهما أو مظهرهما الخارجى(٨) وما يقال عن الإنسان يمكن أن يقال عن اللوغوس أيضا . فهو مكّون من جوهر وطبيعة وبروسوبون : أى جوهر وطبيعة ومظهر أو شكل أو هيئة . فعندما يتكلم نسطوريوس عن اللاهوت وحده يتكلم عنه كجوهر وطبيعة إلهية . وهذا الجوهر الإلهى يتمتع أيضا بهيئة أو بمظهر خارجى . وهذا المظهر الخارجى يدعى بروسوبون . وكما يقول جريلمير فى شرحه لتعاليم نسطوريوس بأن البروسوبون هو إصطلاح يشمل الخواص أو المميزات لطبيعة ما داخليا وخارجيا .... فان البروسوبون هو الهيئة أو المظهر أو الطريقة التى يصبح بها الشىء مرئيا ويحكم عليه(٩) .

أما بروسوبون الله غير المنظور فمعترف به بطرق أخرى مختلفة . فهو الاعتراف باسمه الممجد والمكرم والاعتراف بأنه السيد والرب والقوى العظيم ، الموجود فى كل مكان .... فنسطوريوس يرى الإنسان فى هيئته أو فى بروسوبونه للطبيعة البشرية واللاهوت فى طبيعته الإلهية وفى بروسوبونه أو هيئته أو مظهره الإلهى(١٠) على هاتين الحالتين أطلق نسطوريوس لقب أو اصطلاح بروسوبونين Prosopa أو مظهرين أو شكلين . وهنا لا يمكن أن نترجم كلمة بروسوبون بأقنوم بل هيئة أو مظهر أو حالة . ولشرح هذه الفكرة اقتبس

---

6 F. Loofs Westorius 74 - 94.

٧ – لدراسه هذا الموضوع بتعمق الرجاء الرجوع الى كتابه الذى يدعى 1. Bazaar Of Her .....

2. J. F. Bethune - Baker 47 - 68.
3. Anastos op. cit. 120 - 140
4. James Hastings 325 - 327,
5. Grillmeier 426 - 520,
6. J. Tixeront III 28 - 33,
7. F. Loofs Nestorius and his place in the history of Christian Doctrin

8. Camelot chalkedon 1; 223, Note 1.

9. A. Grillmeier. 444.

10. A. Grillmeier 509.

نسطوريوس النص الكتابى المشهور « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنّه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس واذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . لذلك رفعه الله أيضا واعطاه اسما فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع .... (فى ٢ : ٥ - ١١) ففى شرحه لهذا النص تصور المسيح الابن الوحيد يقول « فمع أننى كنت فى هيئة الله فقد لبست هيئة ملموسة ومع أنى اللوغوس غير المنظور ، صرت منظورا فى الجسد ، ومع أن كل الاشياء خاضعة لى فقد أخذت هيئة (بروسوبون) رجل فقير لأجلكم فانا الجائع ، يمكنى أن أشبع الجائعين[١١] (جريلمير 443) .

مما سبق يتضح بأن نسطوريوس استعمل إذن الاصطلاح بروسوبون بمعنى هيئة أو مظهر أو كيفية أو طريقة[١٢] . ومن هنا بدأت الاتهامات ضد هذا الرجل ! إذ أن البعض إعتقد بأن نسطوريوس قد نادى أو علّم بوجود أقنومين . عندما علّم بوجود بروسوبونين فى المسيح الواحد . وكل ما كان يقصده بكلمة بروسوبون هو هيئة وليس أقنوماً فبهذا المعنى تكلم نسطوريوس عن وجود هيئتين أو عن شكلين أو عن بروسوبونين فى المسيح وليس عن أقنومين . على أن اسقف القسطنطينية قد إستعمل هذا الاصطلاح بمعنى آخر .

٢ - بروسوبون بمعنى أقنوم

رأينا أن معلم القسطنطينية إستخدم كلمة بروسوبون عندما أراد التكلم عن هيئة اللاهوت أو عن هيئة الناسوت . على أنه يستعملها فى كتاباته بمعنى آخر : لكى يشير بها إلى شخصية أو شخص أو أقنوم . واناستوس Anastos يعتقد بأن نسطوريوس يستخدم الاصطلاح بروسوبون كما نستعمل نحن حاليا كلمة شخص[١٣] ويتفق (F.Loofs لوفس مع أناستوس فى هذا الرأى فإن الأول قد لاحظ بأن نسطوريوس - وإن كان يستعمل هذا الاصطلاح بمعنى هيئة أو مظهر أو كيفية ، فإنه يستعمله أيضا بمعنى شخص . فعندما يقول هؤلاء البروسوبونات يعنى هؤلاء الأشخاص[١٤] فالمقصود به هنا أقنوم وليس هيئة . فبهذا الاصطلاح عينه (بروسوبون) أراد نسطوريوس أن يشير إلى شخص المسيح يسوع ، أى الأقنوم المشترك[١٥] .

---

11. F. Loofs nestoriana 358. 1 - 4.
12. F. Loofs Nestorius and his .... p. 74 - 94.
13. A.Grillmeier 442 Anastos 129.
14. Bazaar d'her .... 158, 208, 220 245, 247. 228, 231, 170 - 74, 216, 218, 261, 309, 322, 414 - 16 252.
15. Tixeront 28 - 32, Anastos 129 - 130 Bazaar. 319, 58, 148, 166, 170, 200.

كما عرفنا بان كلمة برسوبون لا تعنى دائما فى عرف نسطوريوس أقنوما بل تعنى أيضا هيئة أو حالة أو مظهراً . فنسطوريوس يعتقد أن كل طبيعة أو جوهر له بروسوبونه أو هيئته أو شكله . فالإنسان له بروسوبونه واللاهوت له ايضا بروسوبونه . فعند التحدث عن اللاهوت وعن الناسوت منفصلين ؛ يمكننا أن نقول بوجود بروسوبونين فيهما : توجد هيئة الله « الذى كان فى هيئة الله » وتوجد أيضا هيئة الإنسان = صورة أو هيئة العبد (بروسوبون العبد) (فى ٢ : ٥ - ١٧) هاتان الهيئتان أو البروسوبونان (Prosopa) هيئة اللاهوت وهيئة الناسوت متحدتان وينتج عن طريق هذا الاتحاد بروسوبون واحد الذى يدعى بروسوبون المسيح أو بروسوبون الوحدة : أو الأقنوم الوحيد[١٦] فإن عملية الوحدة تمّت إذن فى البروسوبون (الأقنوم) أى أقنوم واحد . وهنا نسأل كيف تمّت هذه الوحدة ؟ تّمت هذه الوحدة عن طريق عملية التبادل بين البروسوبونين (الهيئتين)[١٧] . ويشرح نسطوريوس هذه النظرية فى كتابه الذى يدعى هيراقليدس : إن هذه العملية عبارة عن أخذ وعطاء فان هيئة (بروسوبون) اللاهوت بأخذ هيئة بروسوبون الإنسان (الناسوت) . وفى نفس الوقت يعطى اللاهوت نفسه للناسوت[١٨] إن نسطوريوس يعتقد أنه توجد عملية تبادل بين الهيئتين (البروسوبونين) وعن طريق هذه العملية : عملية الاخذ والعطاء فتح البروسوبون الواحد ؛ الوحيد للمسيح والذى يمكننا أن نسميه الأقنوم الوحيد لشخص المسيح يسوع . وهذا البروسوبون الوحيد قد نتج عن إتحاد الله بالإنسان . فان الأقنوم أو البروسوبون الوحيد لم يكن هو سبب الوحدة ومصدرها بل كان النتيجة الحتمية التى آلت اليها عملية التبادل بين الهيئتين . فقد كانت عملية التبادل بين الهيئتين : من اخذ وعطاء ، عميقة وقوية جدا لدرجة أن كل هيئة (بروسوبون) كانت تخترق البروسوبون الآخر إلى أن تحققت الوحدة فى بروسوبون واحد ، أى بروسوبون مشترك . فبحسب مفهوم نسطوريوس نجد أن الأقنوم هو الاساس الذى بنيت عليه وحدة المسيح ، والذى فيه أيضا قد أعلن نفسه[٢٠] فعندما يتكلم نسطوريوس عن المسيح الوحيد بعد الاتحاد يعطى له لقب البروسوبون الأقنوم وهذا البروسوبون الذى نتج عن الوحدة بين البروسوبونين (الهيئتين) يدعى المسيح أو ابن الله أو بروسوبون الوحدة[٢١] أو الأقنوم . وهنا يجب أن ندعو البروسوبون بالأقنوم وليس بالهيئة .

---

16. Livred'héra.... 132, 282, 172, 128, 146.
17. Bazaar .... 211, Tixeront 28 - 33.
18. .... 58, 207, 200, 240, 216.
19. A. Grillmeier 508 - 509, Bazaar 250.
20. A Grillmeier 445.
21. Baz..... 218 - 220, 163, 246, 252, 261, 309.

والسؤال الذى يعترضنا الآن هو : ماذا حدث للبروسوبونين ، بروسوبون (هيئة اللاهوت) وبروسوبون (هيئة الناسوت) ؟ هل اختفيا معا بظهور البروسوبون المشترك أو الوحيد للأقنوم ؟ .

إن الدارس لكتابات نسطوريوس وخاصة كتابه هيراقليدس يلاحظ أنه يتكلم فى بعض الأحيان عن بروسوبون واحد ، وفى بعض الاحيان الاخرى بروسوبونين[٢٢] كما أنه لا يفصل فى بعض الأحيان بين البروسوبون الوحيد الذى نتج بعد الوحدة وبين البروسوبونين ، إلا عندما يريد أن يشدد على وحدة المسيح فى أقنومه[٢٣] وحتى بعد هذه الوحدة نلاحظ أنه يتكلم عن وجود بروسوبونين ، وكان من المنتظر منطقيا أن هذا البروسوبون الجديد أو الأقنوم يحل محل البروسوبونين : هيئة اللاهوت وهيئة الناسوت[٢٤] .

فبحسب مفهوم نسطوريوس ، أن عملية الاتحاد بين الهيئتين أو البروسوبونين تمت عن طريق تبادل الهيئتين واختراقهما الواحدة للاخرى وبذلك أصبحت هيئة العبد هيئة الله وهيئة الله أصبحت هيئة عبد (فى ٢ : ٦ - ١١) فإن هيئة العبد « يسوع » أصبح معبودا ومكرما كاللاهوت وهذا الاخير (اللاهوت) أصبح بدوره عبداً . ولكن هل ظهور الأقنوم الوحيد يلاشى البروسوبونين الموجودين سابقا ؟ أو بمعنى آخر هل إتحاد بروسوبون (هيئة) اللاهوت ببروسوبون (هيئة) الناسوت لا شىء وجود هذين البروسوبونين (الهيئتين) اللذين كانا موجودين قبل تكوين الأقنوم الوحيد ؟ إن نسطوريوس يعتقد بأن ظهور الأقنوم الوحيد لا يلاشى قط هذين البروسوبونين ، وانهما موجودان بطريقة ما وخاضعان لبروسوبون واحد وهو بروسوبون الاتحاد . فهو الذى يسيطر عليهما ويستخدمهما كما يستخدم الطبيعتين[٢٦] . فكما أن البروسوبونين يستخدم أحدهما الآخر فى عملية التبادل فإن البروسوبون الوحيد يستخدم هو ايضا بدوره هذين البروسوبونين . مثل استخدام الروح للجسد والجسد للروح . إن الإنسان مكون من جسد وروح ووجود الروح لا يلغى الجسد ووجود الجسد لا يلغى الروح . من هذين العنصرين يتكّون الإنسان روحاً وجسداً . ومن هاتين الهيئتين (.البروزوبوتين) يتكّون الأقنوم . على أن كل بروسوبون يظل فى طبيعته : أو بالمعنى الأدق تظل كل طبيعة فى بروسوبونها أى فى هيئتها ، وعن طريق الاتحاد يصبح هذان البروسوبونان بروزوبونا واحداً دون أن يتلاشى

22. A. Grillmeier. 447.

23. Anastos 132 - 133, Bazaar 58, 79, 89, 143, 148, 156, 161, 163.

24. Tixeront 30, Hera ....

25 Anastos 131 - 133.

26. Tixeront. 30.

أحد هذين البروسوبونين . ومن هذين البروزوبوين بتكّون البروسوبون الوحيد لابن الله = المسيح وبالرغم من هذه الوحدة بين الهيئتين ، وبالرغم من وجود أقنوم واحد للبروسوبونين بعد الاتحاد ، فإن نسطوريوس يتكلم عن بروسوبونين يتكلم عن هيئتين فى المسيح الواحد . وبالرغم أيضا من هذين البروزوبونين الموجودين فى المسيح فانه يكرر بطريقة لا تعرف الملل أنه لا يوجد إلا مسيح واحد وابن واحد ، فعن طريق هذه الوحدة وبفصلها تصبح هيئة هذا الإنسان الهاً وهيئة هذا الإله إنساناً .

ويجب أن نلاحظ نقطة هامة فى تعاليم رئيس أساقفة القسطنطينية ، فإنه يشدد على أن الذى يكّون البروسوبون المشترك أو الأقنوم الوحيد للمسيح ليس اللاهوت وحده ، ولا الناسوت وحده بل اللاهوت والناسوت فى بروسوبونهما الوحيد[٢٧] لان هذا البروسوبون الوحيد أو الأقنوم الوحيد ملك للطبيعتين : ملك للاهوت والناسوت[٢٨] وعن طريقه يعلن اللاهوت نفسه وعن طريقه أيضا يعلن البروسوبون ضعفه وعجزه كإنسان . ففى هذا البروسوبون الوحيد يمكننا أن نرى وأن ندرك الطبيعتين . وهنا نأتى إلى سؤال آخر وهو هل الوحدة تّمت بين البروسوبونين أو بين الطبيعتين ؟

٣ – مشكلة الطبيعة الواحدة والطبيعتين

لم نتحدث حتى الآن عن مفهوم نسطوريوس عن الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين ، ولكنّنا عرضنا أفكاره الخاصة بمفهومه لمشكلة البروسوبونين الواحد هل كان يعتقد بوجود طبيعة واحدة فى المسيح كما علّمت بذلك كنيسة الاسكندرية وكيرلس ؟ أم كان يعتقد بوجود طبيعتين كما علّم بذلك معلمو أنطاكية ؟ وقبل أن نجيب على هذا السؤال يجب ان نعرف أولا هل الاتحاد الذى حدث بين البروسوبونين (الهيئتين) هو إتحاد بين الهيئتين أو بين الطبيعتين ؟ .

هل تم الاتحاد بين الطبيعة الالهية والطبيعية والبشريه أم تمّ بين هيئة الإنسان وهيئة الله ؟ لقد سبق أن أشرنا إلى أن كل إنسان أو كل كائن له جوهره وطبيعته وهيئته الخارجية وهذه الأخيرة قد سماها نسطوريوس بالبروسوبون وبناء على ذلك فإنه يوجد جوهر وطبيعة وبروسوبون فى اللاهوت وكذلك جوهر وطبيعة وبروسوبون فى الناسوت ، فهل تم الاتحاد بين طبيعتى اللاهوت والناسوت ، أم أنه تمّ بين هيئتى اللاهوت والناسوت فقط ؟

إن ميلتون ف أناستوس (M.v Anastos) يعتقد بأن رئيس أساقفة القسطنطينية قد علّم بأن الوحدة التى حدثت فى المسيح إنما تّمت بين اللاهوت وبين الناسوت وليس فى

27. Tixeront. 31, Bazaar 194.

28. A. Grillmeier 508.

الأقنوم فقط . فهى وحدة بين الطبيعتين[٢٩] ويقتبس اناستوس عدة نصوص[٣٠] من كتابات نسطوريوس لكى يؤيد هذه الفكرة . ومنها قول نسطوريوس عن الإله المتجسد ، كان حقا صانعا لكل شيء ومعطيا الناموس .... له المجد والكرامة والعظمة – ولكنه كان أيضا آدم الثانى ، آدم الجديد الذى يتكلم عنه بولس (روميه ٥ : ١٤ ... ، ١كو ١٥ : ٢٢ ، ٤٥) فهو يسوع .... ففى يسوع المسيح صار الله والإنسان واحداً[٣١] ففى المسيح صار الطفل ورب الطفل واحداً[٣٢] ويواصل اناستوس شرحه لافكار نسطوريوس قائلا بإنه يعتقد بان البروسوبونيين (الهيئتين) هما الملامح المنظورة التى عن طريقها وبواسطتها أصبحت الطبيعتان منظورتين ومعروفتين للناظر . لا بل اكثر من ذلك فإن هيئة (بروسوبون) الطبيعة البشرية كان الناسوت المنظور وليس مجرد الملامح الجسدية الخارجية . وهذا يعنى الإنسان كله . كذلك أيضا اللاهوت فى هيئته أو فى بروسوبونه كان الله الممجد والمعظم[٣٣] إن اناستوس يعتقد إذن بأن نسطوريوس قد علّم بان الاتحاد قد تمّ فعلا بين الطبيعتين وليس فقط فى الهيئتين أو فى المظهرين = فى البروسوبونين .

هذا صحيح بأن نسطوريوس قد تحدث عن الوحدة فى المسيح كما لو كانت قد تمت بين الناسوت واللاهوت إلا أنه تحدث عنها أيضا بطريقة واضحة وصريحة كما لو كانت قد حدثت بين البروسوبونين وليس بين الطبيعتين . وما هو الفرق بين إتحاد البروسوبونين وإتحاد الطبيعتين ؟ إن إتحاد البروسوبونين فقط يعنى إتحاد هيئتين أو مظهرين أو شكلين خارجيين . أما اتحاد الطبيعتين فيعنى بأن جوهرين أو طبيعتين اتحدتا معا إتحاداً جوهريا وعضويا ، كاتحاد الروح بالجسد . فالاتحاد البروسوبونى هو اتحاد أدبى خارجى ، بينما اتحاد الطبيعتين هو اتحاد داخلى قوى عميق . فما هو نوع الاتحاد الذى علّم به نسطوريوس ؟ هل هو إتحاد طبيعتين ، اتحاد قوى عميق أم إتحاد هيئتين مظهرين : اتحاد هيئتين مظهرين وشكلين (بروسوبونين) يعنى إتحاد خارجى ؟

إن اناستوس يتمسك بفكرة إن معلم انطاكيا كان يعتقد باتحاد الطبيعتين يعنى إتحاد حقيقى قوى ، عميق – على أن البعض الاخر يرى بان الاتحاد الذى علّم به رئيس أساقفة القسطنطينية هو إتحاد بروسوبونين أى إتحاد أدبى ظاهرى خارجى . ولقد رجع هؤلاء الذين يرون فى تعاليمه الخاصة بالوحدة بأنها ما هى الا وحدة أدبية إلى بعض النصوص من كتاباته والتى فسروها على هواهم لكى يوضحوا أن الوحدة التى يتكلم عنها نسطوريوس

29. M. V. Anastos 127 - 133.

30. Bazaar 1, 8, 64, 92, 237, 304, 50, 53.

31. Baz..... 50, 53.

32. ...... 207, Anastos 129 - 135.

33. Anastos 129 - 135.

ما هى إلا وحدة ظاهرية خارجية بروسوبونية . مما لا شك فيه عندما ندرس بعضا من هذه النصوص ، نشعر كما لو كان نسطوريوس يتحدث عن وحدة بروسوبونين (هيئتين) وليس وحدة طبيعتين . فهو يقول . « إن الوحدة لم تحدث ابتداءً من الجوهر والطبيعة ، بل ابتداء من الأقنوم ....[٣٤] ويعلق العالم جريلمير على قول نسطوريوس هذا قائلا « إن إتحاد الله بالإنسان فى المسيح ، لا يمكن وضعه فى محيط الجوهر أو الطبيعة أو الهيبوستاس ولكن فى محيط البروسوبون[٣٥] لان التغيير الذى حدث لم يحدث فى الجوهر أو فى الطبيعة إذ أن كل طبيعة وكل جوهر ظل بدون نغيير ، ولكن التغيير حدث فى البروسوبون فى الهيئة فى الشكل .

لقد سبق أن شرحنا مفهوم نسطوريوس عن الكائن . فكل كائن مكّون من جوهر وطبيعة ثم هيئة وطبيعة . فإن بعض النصوص من كتابات نسطوريوس تقدم لنا شخص المسيح يسوع على ان اللاهوت يحتوى على الجوهر (أوسيا) ثم الطبيعة (فيزيس) ثم الشكل أو المظهر (البروسوبون) الطبيعى . هذا من ناحية اللاهوت . كذلك الإنسان يتكّون من الجوهر (أوسيا) ثم الطبيعة (فيزيس) ثم الشكل أو المظهر أو البروسوبون الطبيعى . يوجد إذن قبل الاتحاد جوهران ؛ جوهر اللاهوت وجوهر الناسوت ، ثم توجد هيئتان هيئة اللاهوت وهيئة الناسوت . وقد تمّت عملية تبادل بين الهيئتين . فإن البروسوبون (الهيئة) الطبيعى للاهوت أعطى بروسوبونه أو هيئته للناسوت ، وأخذ هو أيضا بروسوبون (هيئة) الناسوت لدرجة ان الواحد أصبح الآخر أو اندمج فى الآخر . إن عملية التبادل كانت عملية تبادل واختراق أيضا . فإن الهيئة الطبيعية* للاهوت اخترقت الهيئة (البروسوبون) الطبيعية للناسوت لدرجة الوصول إلى الاتحاد العميق بين هاتين الهيئتين ونتج عن هذه الوحدة ما يدعى بالأقنوم أو شخص المسيح : فإن أقنوم المسيح مكّون إذن من هيئتى أو برؤسوبونى اللاهوت والناسوت : وهذان مازالا حتى بعد الاتحاد العميق بينهما ، محتفظين بهيئتهما (بروسوبونهما) الطبيعتين . ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن البروسوبون الطبيعى ليس هو الطبيعة أو الجوهر بل هو المظهر الخارجى أو الصفات أو الملامح التى عن طريقها يمكن وصف جوهر أو طبيعة ، وعن طريقه (البروسوبون) نستطيع أن ندرك أو نفهم الطبيعة . أو بالمعنى الاصح أن الطبيعة سواء إلهية أو بشرية يمكن أن تصير معروفة ومدركة ومرئية عن طريق بروسوبونها (هيئتها أو شكلها) .

---

34. Baz.... 231, 317, Nav 139, 202.
A. Grillmeier 498 - 500.

35. .... 504.

★ أقول الهيئة الطبيعية وليس هيئة أوبرسوبون الطبيعيه لان المقصود هنا هو الهيئة أو البروسوبون الطبيعى وليس الطبيعة بمعنى أوسيا أو فيزيس

إن بعض النصوص من كتاباته تدل على أن الذى تغير أو تحول من شيء لآخر ؛ يعنى الذى أخذ صورة أو هيئة أو بروسوبون الآخر ليس الطبيعة بل البروسوبون ، (الهيئة) أى أن التغير لم يحدث فى الطبيعة بل حدث فى البروسوبون (فى الهيئة أو فى الشكل) .

ويشرح جريلمير مفهوم نسطوريوس للتجسد فيقول « ما معناه « إن بروسوبون الابن الإلهى يستخدم بروسوبون الناسوت ، كما لو كان ممثله أو كما لو كان بروسوبونه ، وهنا يحصل بروسوبون هيئة الناسوت على بروسوبون (هيئة) اللاهوت أى هيئة المجد والارتفاع ... على أن هذا التبديل أو التغيير مقصور على البروسوبونين المتغيرين . وهذا التغيير لم يلمس الجوهرين اللاهوت والناسوت ثم يواصل جريلمير شرحه فيقول ، بأن نسطوريوس يتمسك بفكرة أن البروسوبونين يتغيران وليس الجوهرين وذلك لكى يتجنب السقوط فى المونوفيسية Monophysisme* الواحدية الطبيعية .

إن الدارس الواعى لتاريخ الفكر المسيحى لا يأخذ فى إعتباره التصريحات والتعاليم فقط التى ينادى بها أى معلم ، ولكنّه يبحث أيضا بتدقيق وإخلاص وأمانة وبحيادية عالمية نزيهة ؛ عن الأسباب التى دفعت المعلم أو أى قائد فكر فى أى حقبة أن يعلم بهذا التعليم . وقد أصاب جريلمير الهدف عندما قال فى شرحه لافكار نسطوريوس « لكى يتجنب السقوط فى المونوفيسية » ولقد سبق أن أشرنا بأن أسقف القسطنطينية كان يخشى أن تنزلق الكنيسة إلى السقوط فى المونوفيسية التعليم بطبيعة واحدة = (الواحدية) التى كانت منتشرة فى عصره . إن كثيرين من معارضى نسطوريوس إتهموه بأنه كان يعلم بأن عملية الوحدة تمت فى البروسوبونين ولا فى الطبيعتين(٣٦) وبناء على ذلك فإنهم يعتقدون أن نسطوريوس علّم بأن التغيير الذى حدث لم يتم إلا فى البروسوبون ، يعنى فى الشكل أو فى الهيئة الخارجية وليس فى الطبيعة الإلهية أو فى الطبيعة البشرية ، ذ أن الكلمة لم يأخذ الطبيعة البشرية بل أخذ الهيئة الخارجية فقط ، إنه لم يلبس الطبيعة البشرية . بل لبس القناع : قناع الإنسان ، وفى حقيقة الأمر ليس هو إنسان بل هيئة إنسان . هل هذا هو ما قد علّم به نسطوريوس ؟ إذا كان اسقف القسطنطينية علّم بهذه التعاليم ، يعنى بوحدة الهيئتين فقط ولم يعلم بوحدة الطبيعتين ، أى وحدة اللاهوت والناسوت فإن تعاليمه تستحق الحكم الذى أصدره مجمع أفسس (سنة ٤٣١) بالهرطقة والابتعاد عن الحق الكتابى القديم . على أننا نعتقد بأن الحكم الذى صدر ضده وضد تعاليمه يحتاج الآن إلى إعادة النظر فيه من جديد فى ضوء الأبحاث والاكتشافات الحديثة التى تميل ليس فقط إلى تخفيف هذا الحكم ، بل تبرئة رئيس أساقفة القسطنطينية من هذه الهرطقة . ألم تتمسك الكنيسة الكاثوليكية

* المونوفيسية Monophysisme هى التعاليم التى تعترف بوجود طبيعة واحدة فى المسيح وهى التى نادت بها كنيسة الاسكندرية .

36. Bazaar. 195, Tixeront 31.

زمنا طويلا بهرطقة وحرم المصلح مارتن لوثر ؟ وأنا لا أقول بأنها رفعت الحرمان عنه لكنها بدأت تفكر جدّيا فى دراسة قضيته بطريقة عادلة ونزيهة . وإننى لا أقول بأن نسطوريوس لم يرتكب أخطاء عقائدية ولكنى أتساءل إزاء الأبحاث الجديدة والتى تعرضنا لدراسة بعضها فيما إذا كان نسطوريوس فعلا هرطوقيا وعلّم بوجود ابنين ومسيحين عندما علّم بوجود طبيعتين فى المسيح ؟ وهل قسم فعلا المسيح الواحد إلى مسيحين ؟

فما هو اذن مفهومه لمشكلة الطبيعتين ؟

علم نسطوريوس بوجود طبيعتين فى شخص المسيح يسوع ، فهما طبيعتان متميزتان الواحدة عن الأخرى . الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية ، لأن الكلمة اللوغوس الأبدى الذى كان فى حضن الآب منذ الأزل حلّ فى الجنين فى بطن القديسة مريم العذراء ومن هذا الجنين تكوّنت الطبيعة البشرية التى كانت تحمل الكلمة المتجسد اللوغوس . ولقد كتبت ما ملخصه « إن الذى كان فى حضن الآب ، هو نفسه وليس شخصاً آخر .... قد صار إنساناً بيننا . فهو فى حضن الآب والذى معنا . فهو إذن مثل الآب ..... (Bazaar 250 - 258) ويقول فى نص آخر « ففى المسيح صار الطفل ورب الطفل واحداً (Baz .. 207 - 230) وهناك نصوص كثيرة أخرى من كتاباته تقدم لنا بطريقة لا تعرف الشك شخصية المسيح المزدوجة ، أى الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية اللاهوت والناسوت . الله – الإنسان[٣٧] ولنحاول الآن دراسة بعض هذه الفصول والنصوص : ففى خطابه الذى أرسله إلى القديس كيرلس بتاريخ ١٥ يونيو سنة ٤٣٠ يشرح فيه لماذا يؤمن بوجود طبيعتين فى شخص المسيح ؛ يبدأ باقتباس قانون إيمان نيقية « نؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق كل شيء ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب ومن جوهر الآب .... الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماءوتجسد وتأنس . وتألم وقام وفى اليوم الثالث ..... » .

فهو يعتقد بأن آباء نيقية عبروا بقانون الايمان هذا عن إيمانهم العميق بلاهوت وناسوت[٣٨] المسيح . لان قانون الايمان يتكلم عن الابن الوحيد المولود من الاب (الطبيعة الإلهية) الذى تألم من أجلنا (الطبيعة البشرية) . ويرجع هنا إلى الكتاب المقدس لكى يثبت هذا التعليم ، فهو يعتقد بأن الكتاب يشير إلى الناسوت عندما يتكلم عن

---

٣٧ – الشواهد الآتية مأخوذة من كتابه الذى يدعى بازار Bazaar هيراقليدس وتتكلم عن وجود طبيعتين فى المسيح الواحد .

Bazaar 58, 79, 89, 143, 148, 155, 161, 163, 172, 182, 195, 300, 302, 310, 314.

38 - P. Th. Camelot. Ephése et chalcedoine hist.... des conciles oecumeniques 2. P. 25 - 28, 194 - 198.

الميلاد ، أو الآلام أو الموت أو التعب أو العطش أو فرح يسوع .... كما أنه يشير إلى اللاهوت عندما يتكلم عن المعجزات وعن القيامة أو عن الابن الذى كان فى حضن الاب أو عن ذاك الذى كان قبل إبراهيم . إذ أنه كائن وموجود قبل وجود ابراهيم (لو ٨ : ٥٨) .

فعندما يقول القديس متى « كتاب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم ..... (متى ١ : ١) .أو قوله « ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح (مت ١ : ١٦) ... قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر .... ٢ : ١٣ ... « عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الاموات يسوع المسيح رو ٣ : ٣ و ٤ ، ١ كو ١١ : ٢٤ ؛ متى ٢٢ : ٤٢ – ٤٤ ، عب ٣ : ١ – ٢ ؛ ٥ : ١ ؛ ٢ : ١٦ – ١٧ ، يو ٢٠ : ٢٨ و ٣١ و ٣٢ . اليس هذا هو النجار ابن مريم واخو يعقوب ويوسى وسمعان ....

يقتبس نسطوريوس هذه الآيات وآيات أخرى كثيرة لكى يبرهن بها على أن الكتاب المقدس يتكلم بطريقة واضحة عن الطبيعتين . فهو يتكلم عن الناسوت عندما يقول كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود .... فإن ابن داود ليس هو الكلمة أو الله ، بل يشير إلى الناسوت ، إلى الانسان يسوع الناصرى . كذلك أيضا كلام الملاك ليوسف قم وخذ الصبى : إن الصبى المشار اليه هنا هو الناسوت وليس اللاهوت . لأن اللاهوت ليس هو ابن النجار ، أو ابن داود أو من نسل داود . ثم يرجع إلى قول القديس متى الذى يشير إلى الطبيعتين معا بالقول « قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك ، فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ (متى ٢٢ : ٤٥ – ٤٦ مزمور ١١٠ : ١) أن الكلمة اللوغوس يوجه كلامه إلى الناسوت ، للانسان يسوع الناصرى . ولذلك يقول نسطوريوس « أننا ننادى بوجود طبيعتين ، توجد طبيعة لابسة وطبيعة ملبوسة ، يوجد بروسوبونان (هيئتان) البروسوبون اللابس والبروسوبون الملبوس[٣٩] وفى نص آخر يقول ما ملخصه . كان الابن يتحدث إلى الناس تارة باللاهوت وتارة أخرى عن طريق الناسوت أو عن طريق الإثنين معا .... لهذا فهو ابن الله وابن الانسان . هكذا كان يتحدث (ويعمل) عن طريق الاثنين[٤٠] وفى مكان آخر يقول « إن الذى كان منظورا (الانسان = الناسوت) يتكلم عن ذلك الذى حبل به من الروح القدس (الكلمة = اللاهوت) .... فلقد أخذ جسداً وفيه ظهر وفيه علّم ففى الجسد وعن طريقه كان يعمل حاضرا وليس غائبا[٤١] ولكى يوضح هذه الثنائية الموجودة فى المسيح كتب يقول

39. Le livre d'lleraclide P. 193.

40 Martin Jugie. La contreverse nestorienne P. 98.

41. Le livre d'her.... 51.

« لقد وَلِدَ من الاب عن طريق الطبيعة الإلهية وولد من العذراء القديسة مريم بالطبيعة البشرية . فكيف إذن تدعوها أماً لله وأنت تعرف أنه (الله = اللوغوس)لم يولد منها[٤٢] ويواصل شرحه فى كتابه بازار هيراقليدس قائلا « فان ابن الله الوحيد هو نفسه الذى خَلَقَ وخُلِقَ ، وليس فى نفس الجوهر ، وأن ابن الله نفسه هو الذى تألم ولم يتألم ، ولكن ليس فى نفس الجوهر ، لان بعض هذه الاشياء ينسب إلى الطبيعة الإلهية والبعض الآخر ينسب إلى الطبيعة البشرية . كان يشعر بما هو إلهى فى لاهوته وبما هو بشرى فى ناسوته[٤٣] إن نسطوريوس يمّيز هنا الطبيعتين : الطبيعة الإلهية من الطبيعة البشرية .

وقد يلاحظ الدارس فى هذا الاقتباس الأخير أن أسقف القسطنطينية يفتح بابا للفصل أى فصل الطبيعتين . على أى حال سوف نتحدث عن هذه النقطة عندما نتعرض لموضوع الاتحاد فى الطبيعتين . ولكن يجب أن نلفت نظر الدارس إلى حقيقة مهمة وهى : إذا كان نسطوريوس إستعمل بعض العبارات التى يشتم منها رائحة الانفصال بين الطبيعتين ، فإن ذلك يرجع إلى خوفه من التعاليم الاندماجية : أى دمج ومزج الطبيعتين وعدم التمييز بينهما . ألم يقل القديس كيرلس « بان جوهر الطفل وجوهر خالق الطفل موجودان فى نفس جوهر الله الاب » هذا ما كان يخشاه معلم انطاكيا . ولذلك فقد حاول أن يميز بين الجوهرين ، بين اللاهوت وبين الناسوت . ولكى يوضح عقيدة الثنائية التى نادت بها مدرسة انطاكية رجع إلى فيلبى « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع ايضا . الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائرا فى شبه الناس واذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، ولذلك رفعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم ...... » (فى ٢ : ٥ — ١١) .

فإن الذى كان فى هيئة الله = اللوغوس كلمة الله أخذ هيئة ملموسة محسوسة : فإن الذى كان غير منظور صار منظوراً فى الجسد الذى إتخذه . فإن ذاك الذى فى إستطاعته أن يشبع الجائعين ، تعرض للجوع[٤٤] .

يستخدم نسطوريوس اسم المسيح لكى يشير به إلى الطبيعتين : ويشدد نسطوريوس على فكرة أن كلمة مسيح تشير إلى الطبيعتين معا . ففى المسيح نجد الطبيعتين : طبيعة الابن الوحيد اللوغوس المعادل لله فى الزمن فى الجوهر = هيئة الله . كما إننا نجد أيضا الطبيعة البشرية = الناسوت هيئة العبد[٤٥] .

42. Le Livre d'her.... 408. Voir nau 230.

43. .... 204. .... 222.

44. F. Loofs Nestoriana 358 1-4 P.T. Grillmeier 442 - 446.

45. E. Amann. L'affaire Nestorius vue de Rome. R. S. R. Jan..... Avril 1949. p. 219 - 221.

وفى بعض الشذرات التى إحتفظ بها ماريوس مِركاتور Marius Mercator نرى نسطوريوس يدافع عن عقيدة الثنائية العزيزة على قلبه . وسنحاول أن نلخص هنا بعضاً من هذه الشذرات بتصرف . « من هو الذى قاسى تجربة الخيانة ، والتسليم لأيدى اليهود ؟ من هو الذى تحمل العذاب والموت ... هل هو اللاهوت أم الناسوت ؟ لماذا يقول الرب فى الليلة التى أسلم فيها « هذا هو جسدى الذى يبذل عن كثير ..... دمى الذى يسفك عنكم (لو ٢٢ : ١٤ - ٢١) لماذا لم يقل هذا هو لاهوتى المكسور عندما قدم الخبز ، ولم يقل هذا هو لاهوتى المسفوك لأجلكم عندما قدم الكأس ؟ بل يقول جسدى ودمى ؛ لأن جسده هو الذى يكسر ودمه هو الذى يسفك وليس اللاهوت[٤٦] ثم يقول فى فصل آخر ما ملخصه « تذكروا دائما ما قلته لكم مراراً عن التمييز بين الطبيعتين ، فهما مزدوجان ولكنهّما واحد فى الكرامة ، لأن سلطان الطبيعتين واحد بسبب الاتحاد (Gugie 127. Loo Fs 354 » فإن المسيح الإنسان هو الذى قال الهى الهى لماذا تركتنى وهو أيضا الذى احتمل العذاب والموت والبقاء فى القبر ثلاثة أيام .... وهنا يأتى نسطوريوس إلى جملة إشتهر بها - وهى « فأننى أفصل الطبيعتين ولكنى أوحد العبادة . فهو يرى فى شخص المسيح طبيعتين مختلفتين فى الجوهر ولكنهما لا يكونا إلا شخصا واحدا وهو المسيح الذى يعبده كشخص واحد وكأقنوم واحد . فإن الطبيعة الإلهية تختلف عن الطبيعة البشرية ولذلك فهو يقول « ليس الله هو الذى تكّون فى الرحم ، أو أن الله نفسه هو الذى خلقه الروح القدس أو أن الله هو الذى دُفن فى القبر ...... » ولكن بما أن الله كان فى هذا الإنسان يمكن دعوة هذا الإنسان الله » لوفز (Loofs 262 Baz. 209) ولهذا السبب بعينه يدعو مريم أم الله وفى نفس الوقت لا يدعوها أم الله : فهى أم الله ولكن ليس بالطبيعة : أى أن الكلمة اللوغوس لم يأخذ أصله أو مصدره من أمه . لانه قبل أن توجد القديسة مريم كان الكلمة موجوداً ، فهى إذن أم ذاك الذى عن طريق اتحاده باللوغوس يُدعى الله . فهو يعتقد بأن الذى ولدته العذراء هو الإنسان يسوع الناصرى ، على أن هذا الإنسان كان متحداً باللوغوس باللاهوت[٤٧] ولهذا يمكن بأن ندعو مريم ، حسب تفكيره أم الله إذا شرحنا ذلك جيداً ولكن يجب أن نتجنب إستعمال هذا اللقب (أم الله) إذا أسيء فهمه . أى أن يفهم من ذلك بأن اللوغوس إستمد مصدره منها .

وفى بعض الشذرات الأخرى التى إحتفظ بها ماريوس مِركاتور يقتبس نسطوريوس قول المسيح « أنقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه (يو ٢ : ١٩) ثم يردف قائلا ، هل أنا الوحيد الذى يدعو المسيح كائناً مزدوجا ؟ ألم يميز المسيح فى شخصه ، الهيكل القابل للهدم والله الذى يقيم هذا الهيكل »[٤٨] ؟ إن الهيكل الذى يتكلم عنه هنا هو

46. E. Amann op. cit 221 - 225.

47. Fragment no. 9 - 11. (Cité par) Amann op. Cit. 220 - 23.

48. E. Amann. R. S. op. Cit. 220.

الجسد : الناسوت ، وأن الذى يقيم هذا الجسد بعد الموت هو اللوغوس = اللاهوت ، ثم يقتبس أيضا قول الرب لليهود « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله (يو ٨ : ٤١). ويرى نسطوريوس فى هذه الآية إشارة واضحة إلى إزدواجيه شخص المسيح . فهو إنسان ولكنه فى نفس الوقت هو اللوغوس الذى سمع الحق من الاب . لقد حاول نسطوريوس أن يبرهن بهذه الآيات وبآيات أخرى كثيرة عن إزدواجية شخص المسيح : ولا نقصد هنا إزدواج الشخصية التى يتكلم عنها علماء النفس ، بل إزدواج طبيعتى المسيح لاهوت وناسوت فى أقنوم واحد .

٤ – تعاليم نسطوريوس عن الأفخارستيا

يلخص مارتن جيجى (M. Gugie) تعاليم نسطوريوس الخاصة بالأفخارستيا (العشاء الربانى) كما وصلت الينا عن طريق المعلومات والمصادر التى سجلها كتاب هيراقليدس ثم المقتطفات التى جمعها F. Loofs ، فى النقاط الثلاثة الآتية :

١ –اعترف نسطوريوس بالوجود الحقيقى : يعنى حضور جسد يسوع المسيح بطريقة حقيقية وليس بطريقة رمزية فى الأفخارستيا ، كما أنه لا يرى فى هذه الفريضة ذبيحة إلهية .

٢ – يرفض عقيدة التحول Transsubstantiation ولكنه يقبل نظرية الحضور المزدوج Conssubstantiation Impanation يعنى حضور الجسد من ناحية والخبز والخمر من ناحية أخرى : أى وجود هذه العناصر كلها معا .

٣ – لقد فهم وفسّر هذه العقيدة بحسب مفهومه الكرستولوجى .

رجع نسطوريوس إلى عدة فصول من الكتاب المقدس تتكلم عن العشاء الربانى (١ كو ١١ : ٢٣ – ٢٩ ، متى ٢٦ : ٢٦ – ٣٠ ، لو ٢٢ : ١٤ – ٢٣) . ففى الشذرات رقمى ١٤ و ٢٠ يقتبس كلمات المسيح « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) .إنه يرى فى هذه الآية إشارة إلى الجسد وليس إلى اللاهوت . ولذلك فهو يتساءل قائلا : « ماذا نأكل إذن ، هل تأكل اللاهوت أم الجسد ؟ ولنصغ إلى ما يقوله المطّوب بولس » فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء (١ كو ١١ : ٦) . فإن الرسول لم يقل كلما أكلتم من هذا اللاهوت ، ولكنّه يقول فى كل مرة نأكل من هذا الخبز . والرسول يكرر مرات عديدة بأننا نأكل الجسد وليس اللاهوت . ثم يواصل نسطوريوس قائلا بأن المسيح نفسه يتكلم عن جسده ، ولست أنا الذى[٤٩] أضفت كلمة جسدى (Loofs 228 Gugie

49. Sermon 3. Cité par Loofs. 227

255 - 252) إن الجسد الذى يتكلم عنه نسطوريوس هنا فى العشاء الربانى هو الناسوت وليس اللاهوت . ويحاول أن يطبّق هذه النصوص لكى يؤيد نظريته الازدواجية فالمسيح مزدوج ذو طبيعتين : لاهوت وناسوت .

والقديس كيرلس لا يقبل هذه النظرية فيقول « ..... عندما نشترك فى الجسد المقدس ، جسد المسيح مخلصنا ، فإننا لا نشترك فى جسد عادى ، فإن السيد يقول « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم (يو ٦ : ٥٣) ويواصل كيرلس شرحه قائلا لاتظنوا بأن جسد ابن الإنسان هو جسد عادى مثلنا ، وإلا كيف يمكن بأن جسد إنسان عادى يصير محييا ؟ فإنه جسد ذاك الذى صار إنسانا من أجلنا[٥٠] وهنا تظهر نقطة من نقاط الخلاف بين أسقف الاسكندرية كيرلس الذى سوف نستعرض تعاليمه بالتفصيل فى المجلد الثالث . وبين أسقف القسطنطينية . فإن هذا الأخير يعتقد بوجود عنصرين مختلفين فى الأفخارستيا الخبز والخمر من ناحية ؛ وجسد الرب من ناحية أخرى* فإنه لا يعتقد بأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد الرب أو إلى الناسوت ، بل أن جسد الرب موجود فعلا وحرفا فى الخبز وفى الخمر . على أن الخبز والخمر يظلان خبزاً وخمراً دون تحول لأن وجود جسد الرب لا يلاشى بأى حال الخبز والخمر . وأن كل ما يحدث ، هو عملية إتحاد الخبز والخمر بجسد الرب . فإن حضور الرب فى الأفخارستيا بحسب المفهوم النسطورى عبارة عن عملية إتحاد وليست

عملية تحول : كما هو الحال فى عملية التجسد ؛ فإن اللاهوت لم يتغير ويحل محل الناسوت ملاشيا إياه ؛ وأن الناسوت لم يمتص اللاهوت إمتصاصا كليا وجزئيا ملاشيا إياه أيضا بل أن كل ما حدث هو بأن اللاهوت إتحد إتحاداً عميقا بالناسوت ، إن الخبز والخمر يتحدان إتحاداً وثيقاً بجسد الرب ، وعلى المشترك أن يقبل هذا السر بالايمان : اى أن الناسوت (جسد الرب) المكسور من اجلنا موجود فى الخبز وفى الخمر ولم يحل محلهما . فهو يرفض إذن عقيدة التحول .إن نظريته عن الأفخارستيا تتفق كثيراً ونظرية مارتن لوثر المصلح الألمانى ولذلك يقول جيجى لقد كان نسطوريوس سابقا لمارتن لوثر[٥١] فى هذه العقيدة ويتفق أيضا مارتن لوثر مع نسطوريوس فى فكره أن اللاهوت ليس ذبيحة بل أن اللاهوت هو الذى يتقبل هذه الذبيحة المقدمة* .

---

50. Epi- , ad Nestorium P. G. T. 27. Col. 113. Jugie. 258.

* إن كلمة الرب يسوع ، أو المسيح او الابن ، فى عرف بسطورويوس تشير الى اللاهوات او الناسوت او الى الاثنين معاً .

51. Jugie 266.

* انظر كتاب مارتن لوثر : الدكتور القس حنا جرجس الخضرى ١٠١ – ١٠٥ ، ١٦٧ –١٧٢ .

يرجع نسطوريوس كثيراً إلى رسالة العبرانيين لكى يثبت نظرية ازدواجية الطبيعة . ولقد وصلتنا عظة كاملة باسم القديس يوحنا فم الذهب ، وفى حقيقة الأمر هى عظة من عظات نسطوريوس وفيها يستعرض شرح بعض النصوص فى رسالة العبرانيين . وليس من السهل أن نحلل كل النصوص التى إقتبسها من هذه الرسالة وشرحها .ولذلك -- نكتفى بالاشارة إلى بعض العينّات فقط .

عب ١ : ١ – ٢ يرى نسطوريوس فى هذا النص بأن كلمة « ابنه » تشير إلى اللاهوت وإلى الناسوت . فإن هذا الابن (ابن الله ، اللوغوس) الذى حَمِلَ الله به العالمين : كان موجوداً قبل التجسد ، ولكن فى الايام الأخيرة تجسد هذا الابن فى بطن مريم العذراء .

عب ٢ : ١٦ – ١٨ إن عبارة نسل ابراهيم تشير إلى الناسوت ، فإن الكلمة لم يتجسد فى ملاك (لم يمسك الملائكة) بل تجسد فى نسل ، أى فى إنسان ، فى طبيعة بشرية كاملة . ولهذا السبب كان يسوع يشبه إخوته فى كل شيء ماعدا الخطية . إن نسطوريوس يقدم لنا الإنسان يسوع وقد أخذ نفس الطبيعة الموجودة فى كل إنسان . الطبيعة بكل ميولها ورغباتها . ولذلك فقد كانت تجاربه هى نفس تجاربنا . وأن الشيطان كان يحاربه ويقاومه بكل ما أوتى من قوة . ولكن يسوع كان يحيا لله وكانت إرادته مرتبطة بارادة الله (جيجى 106) .

ويعترض جيجى معلقا ، بأن هذه الصورةالتى يقدمها نسطوريوس عن يسوع لاتنطبق على الله بل على إنسان . وهذا ما أراد فعلا أن يعلم به أسقف القسطنطينية . ولكن ليس هذا كل ما أراد أن يعلمّ به . وهنا يظهر خطأ جيجى . فإن كان قد علّم بأن يسوع كان إنساناً وإنساناً حقيقيا فإنه علم أيضا بأن اللوغوس كان يسكن فى هذا الإنسان . فإن الذى كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة ..... (لو ٢ : ٥٢) هو يسوع الناصرى وليس الكلمة = الله* على أن الله نفسه كان ساكنا بملء اللاهوت فى هذا الطفل الذى كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة .

عب ٣ : ١ إن عبارة رسول إعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع : تشير إلى الناسوت وليس إلى اللاهوت ، عب ٥ : ٧ – ٩ ..... ويقول العالم الكاثوليكى آمان E. Amann فى شرحه لأفكار نسطوريوس إن هذه النصوص فى رسالة العبرانيين تهدف إلى توزيع نشاطات المسيح المختلفة بين الطبيعتين بين اللاهوت والناسوت[٥٢] .

---

* فيما يخص مفهوم نسطوريوس لتقدم يسوع فى المعرفة أنظر لوفر Loofs 235 - 236, Bazaar 216, Jugie 104 - 106.

52. E. Amann R.S.R. 217

مما سبق يتضح جليا بان نسطوريوس يرى فى شخص المسيح طبيعتين مختلفتين اللاهوت والناسوت . إن ما كان يشغل بال نسطوريوس - هو عدم الخلط بين طبيعتى المسيح . فقد حاول فى كل كتاباته التمييز بين الكلمة المُتَجَسِد والإنسان المُتجَسَد . التمييز بين اللوغوس المولود من الله الآب قبل كل الدهور ، وبين الإنسان الذى وُلِدَ من العذراء مريم فى آخر الزمان . ولكى يوضح هذا الأمر ، فقد نسب عملية الولادة والنمو والآلام والموت والدفن إلى الناسوت ؛ ثم الوجود السابق لكل زمان وأعمال القوات ، للكلمة اللوغوس . ولهذا السبب عندما نسأل نسطوريوس قائلين ، من الذى تألم ومات ودفن ؟ يُجيب الناسوت : ومن هو الذى كان فى حضن الآب قبل التجسد ، ومن هو الذى أقام ذاك الذى ذاق الموت ؟ يجيب - اللوغوس كلمة الله .

٥ - تعاليمه عن آلام يسوع المسيح

من الجمل التى تعثر فيها بعض الناس فى القسطنطينية ، وأثارت غضب وثورة كيرلس ، قوله « إن مريم لم تلد اللاهوت .... ولا يمكن أن أعبد إلهاً قد مات ودفن[٥٣] كان يعتقد نسطوريوس بأن الكتب المقدسة تنسب عملية الميلاد والآلام والموت والدفن ... إلى الناسوت ؛ لأن اللاهوت فى جوهره وفى طبيعته غير خاضع أو قابل للآلام أو للموت أو للتغيير الذى يحدث للإنسان . ولهذا السبب فإنه يعتقد بأنه غير لائق أو مناسب بأن نقول أن الله تألم أو صُلِبَ أو مات . لان الذى تحمل الآلام والموت هو الناسوت وليس اللاهوت ، إذ أن اللاهوت لا يموت ولا سلطان للموت عليه ، بل أنه حى وهو الذى بقدرته منح الحياة لذلك الذى ذاق الموت[٥٤] فإن الذى تألم مجربا (عب ٢ : ١٨) ليس اللاهوت بل الناسوت ، وأن الذى كان يقدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات ، هو يسوع الناصرى ، الإنسان . قدم هذه الطلبات للقادر أن يخلصه من الموت . أى للاهوت الذى خلصه فعلا من الموت ، إذ منح له الحياة بالقيامة من بين الأموات (عب ٥ : ٧ - ٨) وهو ايضا أى الناسوت ، الذى صرخ بصوت عظيم قائلا الهى الهى لماذا تركتنى (مت ٢٧ : ٤٦) (رو ٥ : ١٠) ويتساءل نسطوريوس قائلا من هو الذى قاسى تجربة الخيانة والتسليم لليهود ؟ .... من هو الذى تحمل آلام الموت وعذابه ولطمات الأعداء .... ؟ اعترفوا إذن بابن الله واحد ولكنه مزدوج . الله - إنسان . وبناء على ذلك يجب أن ننسب الآلام للطبيعة البشرية والخلاص من هذه الآلام التى تحملها الإنسان المتألم ، للطبيعة الإلهية[٥٥] وهو يقول أيضا بأن الله المُتَجسِد لم يمت ولكنه أقام الجسد[٥٦] .

53. A.C. 038, Nestoriana 337 - 338.

54. Anasatos 136, Baz 237. Amann D.T.C. 148.

55. E. Amann R.S.R. 222.

56. Kelly 327.

من هذا العرض يتضح لنا جيداً بأن نسطوريوس علّم بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى : طبيعة اللوغوس ابن الله المتجسد ، وطبيعة الناسوت ، الإنسان يسوع الناصرى المُتجسَّد . فهل هاتان الطبيعتان اللاهوت والناسوت هما أقنومان أو شخصان أو ابنان ، متميزان الواحد عن الآخر . وهنا نأتى إلى النقطة الحساسة وهى عملية الاتحاد .

الفصل الرابع

إتحاد الطبيعتين
إتحاد بدون امتزاج

كيف تّمت عملية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت ؟ هل كان هذا الاتحاد إتحاداً حقيقياً وجوهرياً ، تم بين الجوهرين أو بين البروسوبونين ؟ أو بمعنى آخر هل كان إتحاداً حقيقيا عضويا أم إتحادا أدبيا خارجيا ؟

حاول نسطوريوس أن يجيب على هذه الأسئلة وغيرها خاصة باتحاد الطبيعتين . وقد رفضت كنيسة الاسكندرية تعاليم الازدواجية لأنها رأت فيها خطراً عظيما على وحدة الأقنوم ، ووحدة المسيح . فإن كيرلس الاسكندرى إعتقد بأن التعليم بالازدواجية يحتوى ضمنا ليس فقط على طبيعتين مختلفتين ، بل على أقنومين أو ابنين أو مسيحين . فإن كيرلس كان يعتقد بوجود طبيعتين مختلفتين في شخص المسيح ، وكان يخشى ازدواجية الأقنوم أو الابن . فهل نادى نسطوريوس فعلا بأقنومين أو بابنين ؟

قبل محاولة الإجابة على هذا السؤال يجدر بنا أن نلقى نظرة ولو سريعة على بعض الجمل التى انتقلت وانتشرت بطريقة مشوهة عن تعاليم نسطوريوس . فلقد إنتشرت الإشاعات بين بعض رجال الاكليروس والشعب ، بأن رئيس أساقفة القسطنطينية ينكر لاهوت المسيح ، ولا يعترف إلا بناسوته . ففى أحد الأيام صرخ المحامى ازبيوس (Eusebe) (والذى تربع فيما بعد على كرسى أبرشيه دوريلوس Dorylee بصوت مرتفع فى الكنيسة مقاطعا نسطوريوس الذى كان يشرح فكرة ان الله لا يمكن أن يولد مرتين ، قائلا بأن ولادة ابن الله كانت مزدوجة إذ ولد من الله الآب ومن العذراء مريم . واتهم رئيس أساقفة القسطنطينية بأنه من أتباع بولس السموزاطى* كما أن بروكلوس قام ضده أيضا وألقى عظة على مسامع نسطوريوس شارحا فيها أن مريم لم تلد إنسانا بل ولدت الله . وهناك

* انظر هذا المجلد من صفحة ٤٦٧ – ٤٧٠.

بعض الجمل الاخرى التى إنتشرت وتناقلها الشعب : مثل قول نسطوريوس كيف يمكن لإنسان أن يلد ما هو ليس من طبيعته ..... فإن أم المسيح هى أم ذاك الطفل الذى ولدته وليست أم الله[١] من هذه العبارات ومن عبارات أخرى ، إعتقد الشعب وبعض الاكلير وس بأن معلم أنطاكية كان ينكر لاهوت المسيح . وكل ما أراد نسطوريوس أن يقوله وان يكرره هو أن مصدر اللاهوت هو الله الآب ، وهو موجود قبل وجود مريم ، وأن أمومتها منسوبة للناسوت أولا ، ومع ذلك فهو لا ينكر بأنها أم الله ؛ على شرط أن يشرح هذا اللقب بطريقة صحيحة : يعنى أنها أم ذاك الذى كان متحداً باللوغوس . كما ألصق الراهب كاسيان (Cassien) ألصق به نفس التهمة (A.C.O. 1,1,1, P.103 P.G.70. Colp 680) .

وشنودى وهو واحد من الرهبان المصريين الذين حضروا مجمع أفسس ، كتب يقول بأن نسطوريوس علّم بأن الذى حملته مريم هو إنسان طيب مثل موسى وداود والآخرين .....[٢] وهذا النص غير موجود فى كل كتابات نسطوريوس المعروفة لدينا حتى الآن وبعض النصوص المعروفة يناقض هذا القول تماما كما سنرى فيما بعد . ومن ضمن الأقوال التى وصلت الينا مشوهة أو التى فُسِرت بطريقة خاطئة شهادة قدمها ثيودوتيوس القورشى Théodote d,Ancyre فى مجمع أفسس ، عندما قال بأن نسطوريوس قد صرّح به فى محادثة شخصية قائلا أنه لا يليق القول بأن الله رضع لبناً ولا أنه ولد من عذراء ..... أو أنه بلغ من العمر شهرين أو ثلاثة شهور ... الخ (Bethun - Bakep 71) . كما أن سقراط المؤرخ يعرفنا أن نسطوريوس قال بأنه لا يمكننى أن أدعو ذاك الذى لم يبلغ من العمر بعد شهرين أو ثلاثة الله[٣] .

وللرد على هذه الإدعاءات والأقوال قدم نسطوريوس دفاعا طويلا مدعما بالحجج . ولا مجال هنا لعرض هذا الدفاع المسهب* وعلى ما يبدو فإن بعض هذه العبارات لم يَصِل إلينا صحيحا . فسقراط مثلا سجل لنا ما قد سمعه من الشعب وكان هذا رأى بعض الشعب عن تعاليم نسطوريوس وليست هى تعاليمه . وأما فيما يخص الشهادات التى قُدِمت فى مجمع أفسس ضده فلقد تناقلت بطريقة خاطئة كما أنها فُسِرت أيضا بطريقة خاطئة — فهو لم يقل مثلا بأنه لا يستطيع أن يدعو الطفل يسوع انه الله ، بل قال أنه لا يستطيع أن يدعوا الله طفلا . وما يريد أن يقوله هو أن الله كلى العظمة والقدرة لم يغير جوهره

---

1. Bethune -Baker 42 - 44, Amann D.T.C. 93.
2. Bethune - Baker 42 - 44.
3. Socrates Hist. eccl. 734.

★ للتوسع فى دراسة هذا الموضوع الرجاء الرجوع الى كتابه الذى يدعى The Bazaar Of Heraclides 154 - 160, Gugie 125 - 127 J. F. Bethune - Baker 69 - 81.

اللاهوتى ، وأن اللاهوت لم يتحول إلى طبيعة بشرية (إلى طفل) لانه حتى بعد التجسد ظل كما كان قبل ذلك : لاهوتا كاملا . فبحسب مفهوم نسطوريوس لا يليق أن نقول أن الله صار طفلا ، ورضع ثدى امرأة أو ولد من امرأة ، أو بلغ من العمر شهرين أو ثلاثة شهور . لأنه أزلى ولا يمكن أن نحده بالزمن إذ أنه موجود قبل كل الوجود . إن نسطوريوس يرفض أن يصف الله كطفل ، ولكنه يقبل هذا الطفل كإله : الله — الإنسان . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد .... » (١ تيمو ٣ : ١٦) . وهنا نرجع إلى السؤال الذى تركناه معلقا وهو كيف تمت عملية الوحدة بين اللاهوت ، وبين الناسوت ؟ إتهم البعض نسطوريوس بأنه علّم بأن المسيح كان إنسانا وإنسانا فقط ، على أنه نال نعمة عند العماد فاصبح إبنا لله بالتبنى . ونسطوريوس برىء تماما من هذا التعليم . لابل إنه علّم بان الاتحاد الذى تمّ بين الكلمة اللوغوس وبين الطبيعة البشرية الناسوت ، قد حدث فى اللحظات الاولى من الحمل ، ولم يحدث فى اثناء العماد . فهو يقول إن الكلمة لم يولد من مريم ، ولكنه كان فى ذلك الذى ولد منها ، إنه لم يأخذ بدايته من العذراء ، ولكنه فى أثناء فترة حمل مريم كان مشتركا (متحدا) بدون إنفصال مع ذلك الذى كان يتكّون رويدا رويداً فى بطنها[٤] ولقد إستحوذ فى يوم من الأيام على مشاعر الشعب فى القسطنطينية عندما قال فى إحدى عظاته « وإننى أقول لكم هذا لكى تدركوا إمتياز وسمو الاتحاد الإلهى مع الناسوت الذى تحقق فى المسيح وهو بعد جنين ، فلقد كان الجنين ورب الجنين فى نفس الوقت ، أو كان الطفل ورب الطفل » وفى مكان آخر يشرح نسطوريوس فى كتابه هيراقليدس أن الله قد خلق الطبيعة البشرية الناسوت أو آدم الأخير بقدرته وبتدخل الروح القدس ، فهو الخالق والذى منح لخليقته هذا الجسد وقد كان متحداً بهذا الجسد منذ خلقه وتكوينه . فلم يكن أولا الإنسان يسوع وبعد ذلك الكلمة ، بل الله — الإنسان من اللحظة الاولى من عملية التجسد[٥] فان عملية الاتحاد بين الجنين الموجود فى بطن مريم وبين اللوغوس كلمة الله تّمت فى اللحظات الأولى من الحمل . هذا هو مفهوم نسطوريوس لعملية تكوين الجنين والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : ماذا حدث بعد الميلاد ؟ هل ظل الطفل ورب الطفل واحداً أم وجد مسيحان وابنان وطبيعتان ؟

قال البعض لأسقف القسطنطينية . « عندما نسمعك تتكلم ، يخيل لنا كما لو كنت ترسم شخصيتين متميزتين فى المخلص : الإنسان يسوع ابن مريم من ناحية ، ثم الكلمة ابن الله من ناحية أخرى » ويجيب نسطوريوس على هذا الاعتراض بالقول « إننى اعلن بكل ما أوتيت من قوة ، بأن المسيح واحد ، واحد هو الذى ولد من القديسة مريم أم المسيح ،

4. E. Amann R.S.R. 218, 223.

5. Le Livre d'her.. 56 - 57.

انه ابن الله . اننى اقولها واكررها لا يوجد مسيحان ، بل مسيح واحد ، لا يوجد إلا سيد واحد وليس سيدين لا يوجد ابنان بل ابن واحد[٦]* ثم يقول أيضا « لا يوجد ابن ثم ابن آخر ، ولا يوجد مسيح أول ثم مسيح ثان ، ولكنه هو نفس المسيح الواحد الذى نراه فى طبيعته المخلوقة وفى طبيعته غير المخلوقة[٧] وفى مكان آخر يقول ، بأن الله اللوغوس كان قبل التجسد ابنا وإلهاً ومتحداً بالآب ، وفى هذه الأيام الأخيرة أخذ هيئة عبد . وبما أنه كان قبل ذلك (قبل التجسد) ابنا اسما وطبيعة فلا يمكن بأن يدعى (بعد التجسد) ابنا منفصلا بعد أن أخذ هذه الهيئة ، وإلا فاننا نتحدث عن ابنين[٨] ولقد رفض أيضا بطريقة واضحة وصريحة تعاليم بولس السموزاطى الذى نادى بوجود ابنين وآعترف بان تعليمه لا يتفق وتعاليم القديس يوحنا فى الأصحاح الأول من الإنجيل[٩] ويكرر بأن المسيح وحدة واحدة وأقنوم واحد ولا يمكن عده بالرقم إثنين كما أنه لا يمكن تقسيمه . والعالم الكاثوليكى آمان (Amann) يقول إنه من المؤكد أن نسطوريوس لم يناد بتعاليم بولس السموزاطى . كما انه لم يعلم أيضا بهرطقة وجود ابنين[١٠] .

إن هذه الفصول وغيرها من كتابات المعلم الأنطاكى تثبت بطريقة لا يتطرق اليها الشك أنه لم يعلم قط بوجود إبنين أو مسيحين كما اتهمه البعض . إن الدارس غير المتنبه لكتابات نسطوريوس يتعرض بسهولة للسقوط فى هذا الخطأ وذلك لأنه شدد كثيراً على وجود طبيعتين مختلفتين فى شخص المسيح . وخاصة عندما يتكلم عن البروسوبون أو البرسوبونين وقد خلط الكثيرون معنى البروسوبون وسبق أن اشرنا أن نسطوريوس إستعمل هذا الاصطلاح بطريقتين :

١ – يعنى بهذا الاصطلاح الهيئة الشكل أو القناع أو الملامح الخارجية .

٢ – كما أنه يستعمل هذا الاصطلاح بمعنى الأقنوم أو الشخص . ففى بعض الأحيان عندما يتكلم نسطوريوس عن البروسوبون يعنى به الأقنوم أو الشخص ، وفى بعض الأحيان الأخرى يعنى به الهيئة أو الشكل . وهنا اخطأ بعض الدارسين فى فهمهم لعقيدة نسطوريوس الخاصة بأقنومين . فعندما يستعمل كلمة بروسوبونين بمعنى هيئتين أو شكلين ، إعتقد البعض بانه يقصد أقنومين . ومن هنا نتج الخطأ واتهمه منافسوه وحتى

---

6. E. Amann D.T.C. 144.

* ذكر Loofs قائمة بالمراجع الخاصة بهذا الموضوع فى كتابه الذى يدعى Nestoriana الرجاء الرجوع إليه ص ٣٩٧ .

7. Loofs 280 Kelly 325 Grillmeier 437, Nestoriana 275. 1 - 5, 283.

8. A. Grillmeier 437 - 38, Nestoriana 275. 1-5.

9. Baz... 236, Kelly 324 - 325.

10. E, Amann 154 - 155.

بعض المخلصين الغيورين ، بأنه يعلم بوجود أقنومين أو ابنين فى المسيح الواحد . والحقيقة غير ذلك كما أوضحنا فى الاقتباسات السابقة من كتاباته . فلهذا السبب ولاسباب أخرى يصفه البعض بهذه الكلمات « وبذلك قسم المبتدع السيد المسيح إلى شخصين (أقنومين)[١١] ثم أن الدكتور اسد رستم قال عنه « فان نسطوريوس الانطاكى تطرّف فى التعليم بالطبيعتين إلى حد قال عنده بشخصين أقنومين »[١٢] وحتى كتاب علم اللاهوت النظامى أرتكب نفس الخطأ فى كلامه عن نسطوريوس فقال « المذهب المعروف فى تاريخ الكنيسة بالنسطورى وهو أن للمسيح أقنومين »[١٣] وجيجى يتجه فى بعض الأحيان إلى نفس الاتجاه[١٤] .

ولكن بعد إكتشاف كتاب نسطوريوس الذى يدعى سوق هيراقليدس وترجمته ، وبعد ترجمة بعض عظاته وتعاليمه المبعثرة هنا وهناك ، وبعد أن إنكب بعض العلماء غير المنحازين على دراسة كتاباته بطريقة حيادية وجادة ، أمثال آمان E. Amann ، كيلى Kelly ، جالتيه Galtier ، تيكسرونت Tixeront ، (بونيفاس) (Bonifas) ، ف لوفز F.Loofs ، اناستوس Anastos ، كامليوت Camelot ، أعلن هؤلاء وآخرون كثيرون بأن نسطوريوس لم يعلم قط بوجود أقنومين أو مسيحين أو ابنين فى المسيح ، بل أنه تمسك بما علّمت به كنيسة انطاكيا لابل الكنيسة المسيحية عامة بوجود مسيح واحد وابن واحد ورب واحد . وهذا المسيح الواحد الابن الوحيد ذو طبيعتين متميزتين اللاهوت والناسوت اللذان اتحدا معا . ولكن كيف إتحدا ؟ وما هو نوع هذا الاتحاد ؟ هل هو إتحاد عضوى حقيقى أم هو إتحاد أدبى خارجى ؟ .

يعتقد نسطوريوس بأن الوحدة التى تمت بين اللاهوت والناسوت قد حدثت من البداية أى من اللحظة الاولى التى تكّون فيها الجنين فى بطن القديسة العذراء مريم . وعندما ولد هذا الطفل الذى كان فيه الكلمة ، كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو ٢ : ٥٢) ففى هذا الإنسان أى يسوع الناصرى سكن كلمة الله ، اللوغوس وهذا الإنسان – الله يدعى المسيح . لان كلمة المسيح تشير إلى طبيعتين متحدتين معا .

وقد سبق أن رأينا بأن حذره من الاندماجية الكاملة للطبيعتين فى المسيح قاده إلى التحدث عن التمييز بين اللاهوت والناسوت ؛ وان كان قد تطرّف نوعا فى التمييز بين

---

١١ – الشماس منسى القمص ٢٦٢ ،

١٢ – دكتور اسد رستم ٣١٢ ،

١٣ – علم اللاهوت النظامى ٧٨٨ ،

14. Jugie 95 - 99.

الطبيعتين لدرجة أن البعض اعتقد بأنه كما لو كان يتحدث عن شخصين منفصلين . إلا أنه لم يهمل قط توضيح عقيدته فى مشكلة إتحاد هاتين الطبيعتين . فبالرغم من وجود طبيعتين لا يوجد إلا مسيح واحد وابن واحد وسيد واحد ؛ وهاتان الطبيعتان تكّونان وحدة واحدة وشخصا واحداً يدعى المسيح ، وهذا المسيح لايمكن تقسيمه(١٥) ولكى يشرح نسطوريوس هذه الوحدة يستعمل الكلمة اليونانية Evwσis = وحدة أو اتحاد على أنه يفضل كلمة συνάφεια وتعني اجتماع أو اقتران Congonction . فعن طريق إجتماع أو اقتران اللاهوت بالناسوت تكّون الأقنوم الوحيد لشخص المسيح وقد انتقده البعض لاستعماله كلمة إقتران συνάφεια بدلا من كلمة وحدة . على أن أسقف القسطنطينية يرى فى إصطلاح إقتران تعبيراً دقيقاً لِمَ يرد شرحه . هذا صحيح إنه يستعمل كلمة وحدة ، ولكنه يستعمل كثيرا جدا كلمة إقتران أو إجتماع عندما يريد شرح إتحاد أو « اقتران » اللاهوت بالناسوت : لأنه يعتقد أن كلمة إتحاد قد يفهم منها فى بعض الأحيان عملية الاندماج والخلط الكامل ، أما الاقتران فهو إجماع أو إتحاد عنصرين بدون إدماج أو خلط بينهما . فان ما تمّ فى عملية التجسد بحسب مفهوم نسطوريوس هو إقتران اللاهوت بالناسوت . ولم يرد باستعمال هذا الاصطلاح (اقتران) أن الاتحاد بين العنصرين لم يكن اتحادا حقيقيا أو كان اتحاداً سطحيا ، بل أراد أن ينبر على حقيقة أن هذا الاتحاد لا يلاشى وجود الطبيعتين(١٦) ولقد تمسك كثيراً فى تعاليمه بابراز هذا الأمر وتوضيحه . فقد كان شاغله الشاغل أن يميز بين اللاهوت والناسوت ، من ناحية ومن ناحية أخرى أن يشرح أن هاتين الطبيعتين المتميزتين الواحدة عن الأخرى متحدتان باتحاد قوى ورباط وثيق متين(١٧) ولذلك فقد كتب يقول « اننى أدعو المسيح الها كاملا وإنسانا كاملا ، طبيعتان متحدتان غير ممتزجتين (Loofs 332) . وأننا نعترف بناسوت وبلاهوت الطفل ... وإننا نتمسك بوحدانية الابن فى طبيعتى اللاهوت والناسوت » (Loofs 327 - 387) وفى كلامه عن ميلاد يسوع من العذراء القديسة مريم يقول « لأجل هذا السبب قلت بأن الله الكلمة قد مرّ (ولم أقل) وُلِدَ لانه لم يستمد أصله منها . لان الطبيعتين هما مسيح واحد بفضل الاتحاد . فإن المولود من الاب بحسب اللاهوت والمولود من القديسة مريم بحسب الناسوت واحد وسيظل واحداً بسبب إتحاد الطبيعتين(١٨) وفى عظة* احتفظ بترجمتها اللاتينية ماريوس مركاتور يتعرض لمعالجة مشكلة الوحدة . فبعد أن تكلم عن المحبة

15. E. Amann D.T.C. 144 - 146, Loofs 281.

16. Bethune-Baker 90 - 91 .

17. Paul Galtier. L'unite du Christ. Etre... Personnne conscience 18 - 23.

18. Bethune - Baker 86.

* إن هذه العظة القاها نسطوربوس فى يوم ٦ ديسمبر ٤٣٠ بعد أن إستلم خطاب كيرلس وخطاب سيليسيتنوس من الوفد المصرى .

المسيحية التى يجب أن تملأ قلوب وحياة المؤمنين ، والتى هى ثمر عملية التجسد ، يتساءل الواعظ قائلا ما هو التجسد ؟ ويجيب بالقول ، التجسد هو « ان رب كل الاشياء لبس طبيعتنا كثوب لا ينفصل عن اللاهوت من الآن فصاعدا . وقد ظل الكلمة متحدا بهذه الطبيعة ومكملا فيها كل قواته . فإن بولس السموزاطى يقدم لنا فى هَذَيانه ناسوتا مجرداً من اللاهوت . كلا ، فانه توجد ازدواجية فى الطبيعة ووحدة فى الابن »[١٩] وفى مكان آخر يحاول نسطوريوس أن يشرح أن عملية الفصل أو التمييز بين الطبيعتين التى يشدد على توضيحها ، لا تعنى باى حال من الاحوال ، قطع العلاقات بين الطبيعتين أو فصلهما أو ملاشاة إحداهما ، بل كل ما يقصده هو التمييز بين اللاهوت والناسوت ، لان المسيح هو واحد وابن واحد ، وليس ابنين أو مسيحين ، فالمسيح لا يمكن تقسيمه ، والابن كابن يمكن أيضا تقسيمه[٢٠] ولقد اتهمه الراهب كاسيان (Cassien) بأنه لا يعترف إلا بناسوت المسيح كما أنه قسم المسيح أو فصل ابن الله عن ابن الإنسان ولكن عندما ندرس عظته رقم ٩ نرى أن هذا الاتهام باطل ولا أساس له . فهو يقول فى هذه العظة « إن الله لا يمكن فصله عن ذاك الذى ظهر للعيان .... فكيف يمكننى أن أتجاسر بفصل الشرف والكرامة عن ذاك الذى لا يمكن تقسيمه ، اننى أفصل الطبيعتين ولكنى اوحد العبادة ..... »[٢١] إن كلمة فصل الطبيعتين يقصد بها تمييزهما الواحدة عن الاخرى .

لقد إتهم أيضا كاسيان نسطوريوس بأنه علّم بان عملية الاتحاد بين الكلمة والإنسان يسوع ، لم تتّم إلا اثناء العماد . ولم تكن عملية الاتحاد هذه نهائية . وقد سبق أن تبين لنا أن نسطوريوس علّم غير ذلك . فإنه يعتقد أن الاتحاد بين اللوغوس وبين الناسوت تم معا فى اللحظات الاولى من الحمل . ففى بطن العذراء مريم تمّت عملية الاتحاد بين الجنين ورب الجنين . فإن الكلمة لم يستمد أصله من العذراء ، ولكنه كان منذ بداية عملية الحمل ساكنا فى ذاك الذى تكّون بقوة الروح القدس فى بطن العذراء .

يكرر نسطوريوس مراراً حقيقة أنه لا يوجد إلا أقنوم واحد ومسيح واحد ورب واحد . وهذا المسيح الواحد والرب الواحد من عنصرين مختلفين ، وكل عنصر من هذين العنصرين اللاهوت والناسوت يشتمل على عدة مميزات وصفات تميزه عن العنصر الآخر . فإن اللاهوت يعُرفَ أو يُميز بالقوة والعظمة والمجد والكرامة وبوجوده فى كل مكان وفى كل زمان وغير مرئى ..... وأن الطبيعة البشرية مميزة وتُعرفَ بأنها مرئية وملموسة ومحسوسة ، وضعيفة ومحدودة القدرة الخ .... والسؤال الذى ما زال يتردد هو : كيف أن هذين العنصرين المختلفين تماما فى الجوهر إتحدا معا وصارا أقنوما واحداً ؟ هل يمكن القول بأن ١ + ١ = ١ ؟ وبدون شك هذا الأمر مستحيل حسابيا .

19. E. Amann R.S.R. 240 - 241.

20. .... 222 - 223.

21. F. Loofs Nestoriana 263.

ويحاول آمان Amann أن يشرح هذه الفكرة فيقول : فلنفرض أنه يوجد فى المسيح أو فى الأقنوم الوحيد مجموعتان من الصفات والخواص . ولنسمى المجموعة الاولى بالاحرف الابجدية أ + ب + ج وهى عبارة عن المميزات أو الصفات الخاصة باللاهوت ، ثم نسمى المجموعة الثانية بنفس الاحرف ولكن بحروف صغيرة أ + ب + ج وهى الصفات أو المميزات البشرية أو الخاصة بالناسوت . فالنتيجة تكون إذن أ + ب + ج الصفات أو الخواص أو العناصر الإلهية = أ + ب + ج . الصفات أو الخواص والعناصر البشرية = أ + ب + ج + أ + ب + ج . ثم يواصل شرحه بالقول ولكى نطبق هذه العملية على شخص الرب يسوع المسيح نقول إن المسيح التاريخى ظهر لنا وقد جمع فى شخصه صفات ومميزات وعناصر الهية وصفات وعناصر بشرية . إنه ابن مريم تربى فى الناصرة ، وكان يهوديا يعظ بنفس الطريقة التى كان يعظ بها المعلمون اليهود فى عصره قاسى آلاماً حقيقية ومات على الصليب .... ومع ذلك ففى كل حياته وفى كل تصرفاته وأعماله التى كان يقوم بانجازها فى هيئة العبد كان اللوغوس موجوداً فيه بصفة مستمرة .... لم يوجد إنفصال بين الطبيعتين ، الهيئتين : هيئة الله وهيئة الإنسان . فالمسيح واحد وأقنوم واحد[٢٢] .

كان معلم انطاكيا يعتقد بالوحدة الحقيقية الوثيقة والعميقة بين اللاهوت وبين الناسوت . كان اللاهوت فى الناسوت والناسوت فى اللاهوت . لان عملية التجسد لم تغير شيئا فى الطبيعتين أو فى جوهرهما ، بل أن كل طبيعة ظلت محتفظة بخواصها ومميزاتها . ولاجل هذا السبب فقد رفض بأن تنسب لله الميلاد أو الآلام الجسدية التى قاساها أو الموت ، كذلك رفض أيضا أن تنسب للإنسان صفات إلهية ، مثل حضوره فى كل مكان ومعرفته بكل شيء الخ ... وبالرغم من هذا التمييز بين الطبيعتين ، الذى يبدو كما لو كان إنفصالا بينهما ، نرى وحدة قوية وعميقة جدا بينهما بفضل أقنوم الوحدة[٢٣] فإن وجود طبيعتين مختلفتين الواحدة عن الاخرى لا يعنى وجود شخصين الواحد بجانب الاخر ، مرتبطين بعضهما بروابط سطحية واهية . كلا ، بل يوجد أقنوم واحد يجتمع فيه العنصران الأساسيان بكل خواصهما ومميزاتهما .

إن عملية التجسد فى مفهوم نسطوريوس تعنى الاتحاد وليس التغيير . ففى كلامه عن اللوغوس يقول ما معناه ؛ إنه لم يصبح طبيعة بشرية مع أنه إتحد بطبيعة بشرية ، فمع أننى قلت بأنى اميز الطبيعتين وانى أوحد العبادة ، فاننى لم أقل باننى أفصل الطبيعتين الواحدة عن الأخرى ..... »[٢٤] .

---

22. E. Amann D.T. Cat 151 - 153.

23. Kelly 323 - 330.

24. Loofs 240, Baz.... 241, 432.

نظرية التبادل والاختراق

كان كيرلس يعتقد بأن اسقف القسطنطينية ينادى بوجود أقنومين أو شخصين . وكل ما يوجد بينهما هو رباط المحبة المتبادلة فقط .... ورفض نسطوريوس هذا الفكر محاولا ان يبيّن بان الوحدة التى تربط بين الطبيعتين هى وحدة أعمق وأقوى من المحبة نفسها وهنا يقدم نظريته المعروفة بنظرية التبادل والاختراق . فهو يعتقد بأن هذا الاتحاد الذى تمّ بين الاثنين كان عبارة عن عملية إختراق اللاهوت للناسوت . فإن كل طبيعة إخترقت الأخرى وعاشت فيها . على أن عملية التبادل هذه لا تؤدى إلى إندماج أو خلط الطبيعتين الواحدة بالأخرى . فإن الجوهرين يخترق أحدهما الآخر بدون خلط أو تحويل أو إندماج أو مزج[٢٥] فإن اللاهوت ظل لاهوتا والناسوت ظل ناسوتا ، على أن اللاهوت والناسوت إخترق أحدهما الآخر ، وسكن الواحد الآخر لدرجة أن الناظر إليهما لا يرى الا شخصا واحدا وهو المسيح ، فعن طريق هذه العملية ، أى عملية التبادل والاختراق فى شخص الأقنوم الوحيد للمسيح ، تتبادل الطبيعتان الصفات والخواص والمميزات الخاصة بكليهما . وهنا يقبل نسطوريوس نظرية تبادل الخواص والمميزيات للطبيعتين والتى رفضها سابقا . وهنا يقبل أيضا فكرة أن الله تألم وحزن وفرح ومات الخ ... لأن الله الذى هو غير قابل للآلام والموت والحزن والفرح ... سكن فى ذاك الذى هو قابل للآلام والموت والحزن . إن الله لم يتألم ولم يمت كإله على أنه سكن فى طبيعة بشرية قابلة للآلام والموت[٢٦] فعلى سبيل المثال ، أن الملك يتألم عندما يرى تمثاله قد أهين أو حُطِم ....[٢٧] فإن الله لا يتألم فى طبيعته إذ أن طبيعته الإلهية فوق كل إحساسات بشرية معروفة لدينا . ولكنه تألم فى نفس الوقت بسبب الطبيعة البشرية التى لبسها والتى كان يسكن فيها . فعن طريق الاتحاد وبسببه كان الله يتألم . فالاتحاد الذى يتكلم عنه نسطوريوس لم يكن إذن اتحادا سطحيا أو أدبيا كما يعتقد جيجى بل كان إتحاداً عميقا وقويا . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو الآتى : - إذا كان نسطوريوس علّم فعلا باتحاد حقيقى قوى عميق بين الطبيعتين لماذا إذن رفض بطريقة قاطعة الاتحاد الهيبوستاتيكى أو الاتحاد الجوهرى الذى علّم به القديس كيرلس ؟ .

فهم نسطوريوس بالخطأ ما كان يقصده القديس كيرلس من جملة الاتحاد الجوهرى أو الهيبوستاتيكى فلقد اعتقد أسقف القسطنطينية بأن كيرلس يعلم بأن الطبيعة الإلهية إتحدت واندمجت واختلطت بالطبيعة البشرية ، لدرجة الزوال والتلاشى . ولقد نتج عن طريق هذا الاتحاد والاختلاط والاندماج للطبيعتين ، طبيعة واحدة أو طبيعة ثالثة : لا هى الاولى

25. Baz ..... 234, A. Grillmeier 498 - 520, Tixeront 3 : 28 - 35.

26. Grillmeier 438 - 444.

27. Kelly 327 Jugie 91 - 93.

ولا الثانية . ولكنها خليط ومزيج من الاولى والثانية ، كما يحدث فى العمليات الكيميائية . إذ انه يمكن إنتاج مادة مختلفة أو ثالثة عن طريق تفاعل مادتين مختلفتين . ومما لاشك فيه ان القديس كيرلس لم يعلم بهذا التعليم . على أن نسطوريوس اعتقد أن اسقف الاسكندرية ينادى بهذا الفكر . ولاجل هذا السبب فقد رفض هذا الاتحاد الذى يدعى الاتحاد الجوهرى أو اليبهوستاتيكى أو العضوى . ولهذا السبب أيضا فهو يسأل القديس كيرلس بالقول « ما هو هذا الاتحاد الجوهرى الذى لا يُفهم ؟ وكيف يمكن أن نقبله دون أن نفهمه ؟ وكيف تفهمه أنت ؟ وكيف يمكن أن يُفهم ؟[٢٨] ويواصل اسئلته لكيرلس فيما إذا كان يعتبر الجوهر كأقنوم ، كما نقول جوهر واحد للاهوت (الثلاثة أقانيم) ؟ .... ومع ذلك فان الاتحاد ليس هو إتحاد الأقانيم بل اتحاد الطبيعتين[٢٩] .

كان يخشى نسطوريوس أن تعاليم كيرلس تقود إلى ظهور طبيعة جديدة مزيج من الاثنين ، فانه خشى أيضا ان هذه التعاليم حتى وإن لم تؤد إلى ظهور طبيعة جديدة لا هى الاولى ولا هى الثانية فانها تؤدى إلى إخفاء وتلاشى الناسوت أو التقليل من أهميته ومكانته .

وهناك خطر آخر كان يمثل دائما أمام عينى اسقف القسطنطينية ومن أجله رفض ايضا تعاليم القديس كيرلس الخاصة بالاتحاد الجوهرى ، وهو مزج الخواص والصفات والمميزات الخاصة باللاهوت وبالناسوت لدرجة عدم فصلهما الواحدة عن الأخرى . فإن كان الله يتألم فعلا وحقيقة فى لاهوته لآلام الجسد ، وإن كان هذا الاخير يتأله عن طريق اشتراكه فى صفات اللاهوت ، فان الجسد يصير لاهوتا واللاهوت يصير ناسوتا . وعندئذ لا يمكن التمييز فيما بعد بين اللاهوت وبين الناسوت داخليا وخارجيا* كرر نسطوريوس فى كل كتاباته أن الوحدة بين اللاهوت والناسوت لا تلاشى بأى حال من الاحوال وجود هاتين الطبيعتين . إن كل طبيعة من الطبيعتين المتحدتين فى أقنوم المسيح الواحد تظل محتفظة بكل أوصافها وخواصها اللاهوتية والبشرية . فلا يوجد تغيير فى الجوهرين بل يوجد تبادل عن طريق الأقنوم الواحد ، لابل أن كل طبيعة تخترق الاخرى . وتعيش فيها ومعها .

إن الاتحاد العضوى الجوهرى الذى يقترحه القديس كيرلس ، بدأ لنسطوريوس بانه يخفى فى طياته إندماجا أو إختلاطا للطبيعتين . وهو الامر الذى حاول دائما نسطوريوس ان يتجنبه (Kelly 325) .

---

28. E. Amann D.T. Cat. 149 - 150.

29. Baz... 229, Grillmeier. 506.

* لدراسة هذا الموضوع بتوسع الرجاء الرجوع الى المراجع الآتية :

Bethune - Baker 176 - 188, Amann 149 - 150, Baz... 137, 186 - 190, Jugie 91 - 95, A grillmeier 505 - 508, Baz. 249, 324 - 328 Kelly 324 - 326, Tixeront 24 - 26, J. Liebaert 91 - 94.

ولكى يوضح هذه الوحدة العميقة والقوية بين اللاهوت والناسوت ، إستعمل بعض الأمثلة من الكتاب المقدس وبعض الأمثال التى استخدمها أيضا بعض الآباء :

١ – مثل الهيكل :

رجع نسطوريوس إلى قول الرب يسوع لكى يشرح عملية الازدواجية : « .... انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه .... واما هو فكان يقول عن هيكل جسده ..... » (يو ٢ : ٢٠ ، ٢٢) حاول بهذا المثل أن يبّين إزدواجية الطبيعة ووحدة الأقنوم ولهذا يقول « هل أنا الوحيد الذى يدعو المسيح كائنا مزدوجا ؟ ألم يُميز يسوع نفسه الهيكل الذى يمكن هدمه والله الذى يقيمه ؟ (A mann. R.sr. 220) ونلاحظ هنا وجود جوهرين مختلفين الواحد عن الآخر الهيكل المهدوم والذى يقيم الهيكل : الناسوت واللاهوت : وهنا الازدواجية . على أنه لا يترك هذين العنصرين أو الجوهرين منفصلين فهو يقول فى إحدى عظاته « .... ربما أننا نتكلم عن الهيكل » فإن هذا الهيكل غير منفصل عن اللاهوت لابل أنه متحد به إتحاداً وثيقا وموشحا بالقوة الإلهية التى تشركه فى أعمالها وتؤهله على السيطرة على كل شىء (Amann R.S. R. 223) ومن الازدواجية يأتى إلى وحدة الأقنوم وعدم فصل الطبيعتين فصلا تاما . ثم يقتبس كلمات الرسول بولس إلى أهل كولوسى ٢ : ٩ « فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا . فإن اللاهوت الكلمة حلّ بكل لاهوته فى الناسوت ، والناسوت أصبح الهيكل والمسكن الذى يسكنه اللوغوس . فالساكن والمسكون أصبحا أقنوما واحداً وشخصا واحداً ذات طبيعتين مختلفتين . ففى هذا المثل نرى تمسك نسطوريوس بوحدة المسيح من ناحية ، وإزدواجية الطبيعتين من ناحية أخرى . ومن الملاحظ أن معلم أنطاكية كان يرجع دائما إلى الطبيعتين أو الى الجوهرين ، عندما كان يريد تمّييز هذين العنصرين الواحد عن الآخر . وعندما كان يريد شرح وحدة هذين العنصرين أو الجوهرين كان يرجع إلى الأقنوم الواحد الوحيد : المسيح[٣٠] .

عندما يستعمل نسطوريوس مثل الهيكل والساكن فيه ، فقد اظهر تمسكه بتقليد الكنيسة القديم والمعروف ، إذ أن الكتاب المقدس إستخدم هذا المثل كما إستعمله أيضا كثيرون من أباء الكنيسة . ألم يستخدمه القديس ليون فى مكتوبه الشهير المعروف باسم المجلد (Tome* فإن ناسوت المسيح هو الهيكل الذى حلّ فيه اللاهوت وعن طريق هذا

---

30. A. Grill Meier 501 - 503.

* إن هذا المكتوب أرسله البابا ليون إلى مجمع خلقدونية ، وعندما إطلع عليه نسطوريوس وهو فى منفاه ، قدم شكراً لله لأن كنيسة روما محتفظة بالايمان الصحيح وأن تعليم هذا المكتوب تتفق تماما وتعاليمه حسب قوله .Amann. D.T. Cat 145

الأقنوم الوحيد وفى هذا الهيكل كان اللاهوت والناسوت متحدين باتحاد قوى عميق ، وعن طريق هذا الاتحاد أيضا كان اللاهوت يشرك الناسوت فى عملياته وقواته ومجده . فان العبادة التى تُقَدم لشخص المسيح لا تقدم للكلمة منفصلا عن الناسوت ، بل تقدم للاثنين معا ، لأنه لا يوجد إلا إله واحد ومسيح واحد وابن واحد معبود ومسجود له من الجميع .

٢ – مثل وحدة الروح والجسد

والمثل الآخر الذى إستعمله أسقف القسطنطينية لكى يشرح به عقيدته فى وحدة اللاهوت والناسوت ، هو وحدة الروح والجسد . فإن الجسد يحتاج للروح الذى يعطى للجسد الحياة والحركة . كما أن الروح يحتاج للجسد لكى يدرك ويلمس ويعترف بجوده[٣١] إن الجسد جوهر يختلف عن جوهر الروح ولكن عن طريق عملية الاتحاد التى تتم بين الجوهرين المختلفين يتكّون الإنسان . وهكذا فإن إتحاد اللوغوس كلمة الله بالناسوت الإنسان يسوع الناصرى نتج الأقنوم الوحيد للمسيح فمن الجسد المائت ومن الروح الخالدة يتكّون الإنسان كله .[٣٢] ويكمل الواحد الآخر . ولا يمكن القول بأن هذا الإنسان المكّون من جوهرين مختلفين الروح والجسد هو شخصان : بل شخص واحد وإنسان واحد . كذلك اللاهوت والناسوت اللذان يكّونان مسيحا واحداً وأقنوما واحداً بالرغم من وجود جوهرين مختلفين[٣٣] ولا يمكن القول بأنهما شخصان أو أقنومان أو مسيحان .

٣ – مثل العليقة الملتهبة

اعتقد القديس كيرلس بأن تعاليم نسطوريوس فصلت الطبيعتين وقسمت المسيح الواحد[٣٤] ولكى يدافع عن وحدة المسيح يذكر نسطوريوس مثل العليقة الملتهبة بالنار (خر ٣ : ١ – ٥) .. كانت النار فى العليقة والعليقة كانت ناراً والنار عليقة فكان كلاهما ناراً وعليقة ، ولم يكونا عليقتين ولا نارين لان الاثنين كلاهما ، كانا فى النار وكانا

---

31. Anastos 126.

للتوسع فى دراسة مثل الهيكل الرجاء دراسة المراجع الآتية :

Amann. R.S.R. 220 - 23, D.T.C. 137, 145, Baz. 24, 239. F. Loofs. 406, 398, Bethune-Baker 85, Liebaert 192, Kelly 324 - 326. Grillmeier 512, 516. Jugie 107 - 108, Hayward 35 - 38.

32. Kelly 325, Baz.... 262, 81, 275, 299. Tixeront. 24 - 25.

33. A.G. Rillmeier. 439, Loofs 330 - 331.

34. Baz.... 35, 233 - 234.

فى العليقة ، فلا يوجد إنقسام بل وحدة[٣٥] ويستعمل القديس كيرلس نفس المثل فى عظة القيامة سنة ٤٢٩[٣٦] . بهذا المثل أراد نسطوريوس أن يشرح عملية الاتحاد بأنها ليست عملية إتحاد أدبى خارجى وسطحى ، بل هى عملية إختراق وتبادل . إن كل طبيعة تخترق الأخرى وتوجد فيها بداخلها وخارجها مثل العليقة الموجودة فى النار والنار التى تلتهم العليقة ؛ ومع ذلك فإن النارَ لا تلاشى العليقة وان هذه الأخيرة لا تخفى فى داخلها النار . فإن كلا منهما إحتفظ بجوهره وبطبيعته مع إتحاده الوثيق القوى بالآخر . فبالرغم من وجود هذين الجوهرين « النار والعليقة » لا يمكن القول بانه يوجد ناران وعليقتان ، ولكن بسبب الاتحاد الذى تمّ فى هذين العنصرين لا توجد إلا نار واحدة وعليقة واحدة . هكذا إتحد اللاهوت بالناسوت اتحادا كاملا . ولكن بالرغم من هذا الاتحاد فقد ظلت كل طبيعة من الطبيعتين محتفظة بخواصها ومميزاتها الطبيعية . فهو إتحاد بدون خلط أو مزج وبدون تغيير أو تحويل من طبيعة إلى أخرى .

لقد إستعمل نسطوريوس امثالا كثيرة أخرى مثل الملك الذى يلبس ثوب الجندى أو يلبس ملابس خادمه[٣٧] فإن هذا لا يعنى بان الملك تحول فعلا إلى جندى أو خادم . لقد ظل ملكا مخفيا بالرغم من المظهر . بهذه الامثال وبامثال كثيرة أخرى حاول نسطوريوس جاهدا ومخلصا أن يشرح عقيدته فى شخص الرب يسوع المسيح ابن الله الأقنوم الوحيد .

٤ – الوحدة بحسب المسرّة أو الوحدة الأدبية

بالرغم من كل ما قاله نسطوريوس عن الوحدة ، فإن البعض رأى ان هذه الوحدة التى يتكلم عنها ما هى إلا وحدة سطحية أدبية وغير حقيقية لأنه وصفها فى بعض الاحيان بعبارة الوحدة حسب المسرة[٣٩] . فما هى هذه الوحدة التى يسميها الوحدة حسب المسرّة ؟ .

إن المقصود بهذه العبارة إظهار حقيقة أن الطبيعة البشرية ليست طبيعة خامدة كآلة لا حركة لها ، بل أن الناسوت كان يتمتع هو أيضا بحرية أو على الأقل بنوع من الحرية . لأنه كان موجودا وعاملا ومتعاوناً مع اللاهوت .فإن حلول اللاهوت فى الناسوت لا يلاشى رغبات وميول الإنسان يسوع الناصرى ، بل أن حلوله صقل رغبات وميول

---

35. Baz. 234, Grillmeier 516 - 517.

36. St. Cyrille Hom.. Pasch. 17. P. G. 81c., Tixeront 26 - 27. Jugie 111 - Herc. 141 - 142.

37. Baz.,... 84, Jugie 111., Grillmeier 444 518.

38. Grillmeier.

39. Bazaar 231, Amann 150. D.T. cat.

الإنسان لكى تكون حسب رغبات وميول الكلمة اللوغوس* لان الكلمة حلّ بملء اللاهوت فى المسيح . لان الله الاب سرُ ان يحل فيه (متى ٣ : ١٧ ، مر ١ : ١١ ، لو ٣ : ٢٢) .

يتعرض نسطوريوس هنا لمشكلة أخرى وهى ، هل كان حلول الكلمة فى يسوع الناصرى يشبه حلوله فى الانبياء والرسل والقديسين ؟ يشرح اسقف القسطنطينية بطريقة واضحة الفرق الشاسع الواسع بين حلول الروح القدس على الانبياء وعلى الرسل وعلى القديسين ، وبين وجوده فى الإنسان يسوع الناصرى « حلّ بملء اللاهوت » إن الروح القدس كان يقود القديسين فى العهدين ، وكان يحل عليهم وفيهم وكان حلوله متفاوتا من واحد للآخر . أما وجود الكلمة فى الإنسان يسوع فإنه يختلف ، كل الاختلاف . فهو الوحيد الذى إستطاع ان يصرح بحق « أنا والاب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) « من رآنى فقد رأى الاب » (يو ١٤ : ٩ ، ١٠ : ٣٧ ، ١٥ : ٢٦ ، ١٠ : ٣٨) فإنه لا يوجد ولا واحد لا من الملائكة أو القديسين استطاع أن يستعمل عن حق هذا الأسلوب . فإن القديسين إستطاعوا أن يقوموا بعمل المعجزات ؛ ولكن كانوا يقومون بعملها باسم ذاك الذى أرسلهم وأهلّهم لعمل هذه المعجزات . أما يسوع فكان الوحيد الذى إستطاع أن يأمر أن تجرى المعجزات فتُجرى لأنه كان الله – الإنسان ، وكان الله الكلمة ساكنا فيه بطريقة مستمرة منذ لحظة التكّوين فى بطن القديسة مريم[٤٠] إن اسقف القسطنطينية يرى الفرق الكبير والبون الشاسع بين حلول الكلمة أو بالمعنى الاصح إتحاد الكلمة بالناسوت وحلول الروح القدس على الانبياء . لقد نتج عن إتحاد الكلمة اللوغوس بالإنسان يسوع الناصرى أقنوم واحد وشخص واحد يدعى يسوع المسيح . الأمر الذى لم يحدث قط عند حلول الروح القدس على الانبياء أو على الرسل ، والامر الذى لم يستطع أن يدعيه عن حق أى نبى حقيقى أو رسول حقيقى أو قديس حقيقى . إن الوحدة التى تمت بين اللاهوت والناسوت كانت وحدة حقيقية وقوية ولا يمكن قبولها أو فهمها إلا بالايمان الذى هو عطية الله . هذا هو المسيح الذى علّم به أيضا نسطوريوس. فما هى هرطقته ؟

---

* لقد سبق ان تكلم ثيودوريوس الميوسيوستى عن اتحاد المسرة فى المسيح 150. Amann D.T.C. P.

40. Jugie 103 - 110, Baz.... 52 - 54, F. Loofs 289 - 291, Amann D.T.C. 145.

الفصـــل الخامـــس

تدخّل القديس كيرلس الاسكندرى وكيليستينوس (أوسيليسيتيوس) الرومانى فى مشكلة الصراع العقائدى الكرستولوجى (Celestin)

كان نسطوريوس واعظا بارعاً كما أنه كان طموحا فى الحصول على المجد والسعى إليه . ولذلك فقد عمل على نشر عظاته وتعاليمه التى كان يفخر بها[١] . فلم تمضِ إلا عدة شهور على تنصيبه رئيس أساقفة حتى نشر فى نهاية سنة ٤٢٨ مجموعة من عظاته . وانتشرت هذه العظات على نطاق واسع ، وخاصة عظاته التى هاجم فيها تلقيب مريم بأم الله[٢] والتى تحدث فيها أيضا عن الإزدواجية فى شخص المسيح . وصلت هذه العظات إلى الاسكندرية ، وانكب بعض الرهبان فى الصحراء على دراستها . وهنا يظهر القديس كيرلس العظيم على مسرح الأحداث . فبعد عيد فصح سنة ٤٢٩ قام أسقف الاسكندرية بكتابة رسالته العقائدية الطويلة لرهبانه فى الصحراء الذين تعرّضوا لمناقشة آراء نسطوريوس التى إنتشرت بانتشار عظاته فى الأديرة . لم يذكر بطريرك الاسكندرية فى رسالته التعليمية هذه إسم نسطوريوس لكنه ناقش فى رسالته تعاليمه مفنداً ورافضا التعاليم التى تبناها ونادى بها أسقف القسطنطينية ، لابل إقتبس بعض الفقرات من عظاته . ولا يوجد أدنى شك أن الشخص المقصود الرد عليه . كان نسطوريوس دون ذكر اسمه صراحة . ويقول كيرلس فى هذه الرسالة أن مريم جديرة بهذا اللقب (أم الله) وأن هذا اللقب تقليدى ، ومقبول ومعترف به من آباء الكنيسة ، وأن الذين لا يقبلونه ولا يستعملونه يظهرون جهلا عقائديا ، لابل ينادون بتعاليم مشكوك فى صحتها[٣] ومع أن هذه الرسالة كانت موجهة إلى رهبان مصر فقد إنتشرت – ليس فقط فى بعض الأديرة

1. Amann R.S.R. 1949. N. 23. 25, 208 - 209.
2. Sermon No. 9.
3. E. Amann D.T.Cat. 95 - 96.

الاخرى خارج مصر – بل إنها وصلت إلى مسامع نسطوريوس نفسه . وهنا هبّ أسقف القسطنطينية غاضباً ثائراً . وعلى ما يبدو فإن عظته رقم ١٠ كانت عبارة عن رد على الرسالة العقائدية التى أرسلها كيرلس لرهبانه فى الصحراء ، ولقد إحتوت تلك العظة على بعض العبارات الجارحة لاحساسات أسقف الأسكندرية . ومن هنا إندلع الصراع بين أسقف القسطنطينية وأسقف الاسكندرية . ويعتقد بعض العلماء أنه كانت هناك عدة أسباب عقائدية وسياسية دفعت أسقف الاسكندرية أن يتخذ هذا الموقف من أسقف القسطنطينية .

١ – أسباب عقائدية : كان القديس كيرلس يتمسك بتعاليم القديس العظيم أثناسيوس . ولقد تمسك بجمله كان يعتقد بأنها من كتابات القديس أثناسيوس : وفى حقيقة الأمر إنها كانت من كتابات أبولوناريوس . وهى جملة « واحدة هى الطبيعة الإلهية المتجسدة[٤] (E. Amann Q.T.C. 94) كان كيرلس يعلم بوجود طبيعة واحدة ، وبالرغم من ذلك سوف نرى فيما بعد وخاصة بعد معاهدة سنة ٤٣٣ أن أسقف الأسكندرية لم يرفض رفضا قاطعا عقيدة الطبيعتين . أما نسطوريوس ومدرسة انطاكيا فقد علما بوجود طبيعتين فى المسيح .

٢ – كان نسطوريوس لا يقبل فكرة أن الله ولد أو تألم أو مات وان مريم هى أم الله ... على أن كيرلس كان يعتقد بأن الكلمة قد ولد فى جسد بشرى حتى وإن كان لم يأخذ أصله ووجوده من أمه . كما انه تألم فى هذا الجسد ....

فعندما كان كيرلس يتأمل فى هذه التعاليم الازدواجية التى نادى بها نسطوريوس وكان يخشى إنزلاق اسقف القسطنطينية فى هرطقة وجود ابنين ومسيحين فى المسيح : وهى الهرطقة التى سبق أن حُكم ضدها فى مجمع الاسكندرية فى ٣٦٢ . وكيف يمكن له وهو خليفة القديس اثناسيوس أن يقبل ما قد رفضه القديس اثناسيوس ؟ لقد كانت هذه التعاليم سببا فى إثارة بعض الاضطرابات بين الرهبان (C.Y.R. Epist 1, P.G. T. 77) .

٢ – أسباب سياسية : ١ – كان كيرلس يسعى لنشر نفوذه وسلطانه فى الشرق من الناحية الدينية والسياسية* .

---

4. 25, 208, 209, D.T.C. 94 - 96.

للتوسع فى هذه النقطة انظر :

A. Harnack Précisdel hist. 110 - 114.
Anastos 119 - 120 Boni Fas 105 - 110, Danielou 387 - 389. Kelly 328 - 329.

دكتور اسد رستم الجزء الاول ٢٥٦ و ٢٧٢ – ٢٨٢ .

٢ - كان الصراع بين كرسى الاسكندرية وكرسى القسطنطينية صراع قديم عميق. فعندما قرر المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية فى سنة ٣٨١ ترتيب القسطنطينية فى المكانة الثانية بعد رومه ومنح رئيس أساقفة هذا الكرسى لقب مسكونى أثار هذا القرار غيرة الاسكندرية . ألم يكن الاسقف ثيوفيلوس وهو خال كيرلس المعارض الاول وهو الذى تزعم حركة محاكمة ونفى رئيس اساقفة القسطنطينية وهو يوحنا ذهبى الفم فى سنة ٤٠٣ ؟ !!! . يعتقد البعض بأن هذه الأسباب واسباب أخرى أيضا دفعت كيرلس بأن يتخذ موقفا سلبياً من قضية نسطوريوس .

وقد كتب القديس كيرلس رسالة أخرى فى نهاية صيف سنة ٤٢٩ يمكن أن نسميها الرسالة الأولى إلى نسطوريوس إذ أنها رسالة مباشرة له مع أنها الرسالة الثانية فى مشكلة نسطوريوس . وكان رد نسطوريوس على هذه الرسالة بمثابة علم وصول بدون أى تعليق من جانبه[٥] (P.G. 76. 44. Epist 1,1,1 Loofs 168) . وفى نفس الوقت تقريبا ، وبينما الظروف متأزمة بين القسطنطينية والاسكندرية جاء بعض المصريين إلى أسقف القسطنطينية يقدمون شكاية ضد كيرلس وتصرفاته ، الأمر الذى يذكرنا بما حدث مع الإخوة الأربعة الطوال الذين جاءوا إلى القسطنطنية وقدموا شكوى ضد الأسقف ثيوفيلوس خال كيرلس[٦] وهنا يمكننا أن ندرك إلى أن حد كانت الظروف متأزمة ومتوترة بين الاسكندرية وبين القسطنطينية ..

وسبق أن رأينا أن نسطوريوس لم يرد على رسالة كيرلس إلا بعبارة قصيرة : تعرفه فقط بأن رسالته وصلت . فاعتبر كيرلس هذا الصمت وعدم الرد على الرسالة السابقة إهانة له . (Bonifas 2. 108) ولكنه مع ذلك لم ييأس فكتب له رسالة ثانية وقد صارت هذه الرسالة رسالة مشهورة فى تاريخ العقائد . وقد كتبها فى يناير - فبراير ٤٣٠ ولطولها نكتفى ببعض الاقتباسات منها . فبعد مقدمة طويلة عن الادعاءات المنتشرة والأقاويل الكثيرة التى تناقلها البعض حتى وصلت إلى مسامع أسقف القسطنطينية ضد أسقف الاسكندرية يدخل كيرلس فى صلب الموضوع مبتدءاً بقانون إيمان مجمع نيقية الذى يعلن بصراحة ووضوح أن نفس الابن الوحيد والمولود من الآب إله حق من اله حق نور من نور ..... صار جسدا صار إنساناً تألم ومات وقام فى اليوم الثالث ثم صعد إلى السماء .... ونحن لا نقول بأن طبيعة الكلمة تغيرت أو تحولت لكى يصير جسداً أو تحول إلى إنسان ، بل عن طريق الاتحاد الهيبوستاتيكى (إتحاد الكلمة بجسد تحركه روح عاقلة) أصبح إنسانا بطريقة لا توصف ، فإن الطبيعتين اللتين تقابلتا فى الوحدة الحقيقية مختلفتان . ونشأ عن الاثنين مسيح واحد وابن واحد لأن الاتحاد لم يلاشى اختلاف الطبيعتين ...

5. Amann R. Sr.
6. E. Amann D.T. Cat. 96. Jugie Echos. 263.

فمع أنه موجود قبل الدهور وقد وُلِدَ من الآب فقد قيل إيضا بأنه وُلِدَ من امرأة وهذا لا يعنى بأن طبيعته الالهية بدأت وجودها فى العذراء ..... لأنه من الخفه لا بل من الجهل أن يقال عن ذاك الذى هو موجود منذ وجود الآب بأنه يحتاج الى ميلاد ثان لكى يوجد . ولكن من أجل خلاصنا قد أخذ جسدا وولد من أمرأة بحسب الجسد .... فإن الذى وُلِدَ من القديسة العذراء ، والذى إستقر عليه الكلمة ، ليس هو إنسان عادى .... وعندما تألم فهذا لا يعنى بأن الله الكلمة قد تألم أو قد شعر بالضربات أو بثقوب المسامير أو بالجروح .... لان اللاهوت غير قابل للآلام ولكن بما أن الجسد الذى أصبح جسده قد قاسى الآلام . فإنه يقال بأن الكلمة هو الذى تألم من أجلنا فغير القابل للآلام كان فى الجسد الذى كان يتألم .... وكما يقول الرسول .... لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد (عب ٢ : ٩) ، وهذا لا يعنى بأنه اختبر الموت (أو مات) فى طبيعته (الإلهية) فانه من الجنون المناداة بهذا القول أو التفكير فيه .... إننا نعترف بمسيح واحد ورب واحد .... فلا يجب إذن تقسيم المسيح إلى اثنين(٧) .

ومع أن نسطوريوس رفض هذا الخطاب وإعتبره غير ارثوذكسى كما سنرى فإن الدارس المدقق يلاحظ بلا عناء إتفاقاً كبيراً جداً بين تعاليم الرجلين فى نقاط عديدة . فكيرلس يعتقد بأن الوحدة لا تلاشى وجود الطبيعتين وهذا ما شدّد عليه كثيراً معلم انطاكيا . على أى حال سوف نتعرض لهذه الفكرة فيما بعد .

لم يقف نسطوريوس أمام هذا الخطاب العقائدى صامتاً كما فعل عند إستلامه الخطاب الأول . بل قام هو أيضا بدوره بكتابة رسالة عقائدية فى ١٥ يونيو ٤٣٠ يرفض فيها تعاليم كيرلس ، ويشرح أفكاره التعليمية . فبعد مقدمة طويلة يقول فيها بأنه يتغاضى عن الشتائم التى ذكرها القديس كيرلس فى خطابه السابق ، يرجع هو أيضا إلى نص قانون ايمان نيقية « أؤمن برب واحد يسوع المسيح ابنه الوحيد ....» .

ويقول نسطوريوس بأن كلمات الابن الوحيد ، يسوع المسيح ، السيد .... هى أسماء عامة يمكن تطبيقها على اللاهوت والناسوت وهذا ما علّم به الأنبياء وهذا ما يعلّم به أيضا المغبوط بولس « فهو يستعمل الاصطلاح المسيح ليشير به إلى الطبيعتين .... فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع » (فى ٢ : ٥ — ١١) . ويشرح نسطوريوس بأن الكتاب المقدس يتكلم عن موت المسيح ولكن لا يقصد هنا موت اللاهوت أو موت الله . فإن لفظ المسيح يعنى اللاهوت والناسوت . فهو إذن قابل للموت وغير قابل للموت : ففى لاهوته غير قابل للموت ، ولكن طبيعته البشرية قابلة للآلام والموت .... فعندما تتكلم الكتب المقدسة عن تجسد الرب فإنها تنسب الميلاد والآلام للناسوت وليس

7. P.G. 77. 44 - 49, A.C.O. 1,1,1, 25 - 28 Voir Aussi Camelot 191 - 94.

للاهوت . ولهذا السبب يجب أن ندعو القديسة العذراء مريم أم المسيح (Christotokos) وليس أم الله (Theotokos ويرجع نسطوريوس إلى الموضوع الذى يشغل باله دائما وهو إزدواجية المسيح فيذكر شواهد كتابية كثيرة محاولا بها أن يثبت أن الكتاب المقدس يتكلم عن طبيعتين مختلفتين ومتميزتين الواحدة عن الأخرى . ويخاطب كيرلس قائلا « اسمع ماذا يقول الإنجيل » كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم (متى ١ : ١) فمن الواضح ابن الكلمة لم يكن ابن داود ... ويعقوب وَلِدَ يوسف رجل مريم التى وُلِدَ منها يسوع الذى يدعى المسيح (متى ١ : ١٦ ، ١٨ ... يو ٢ : ١ أع ١ : ١٤ ، متى ٢ : ١٣ ، رو ١ : ٣ وفيما يخص آلامه : فإن المسيح تألم فى الجسد (رو ٨ : ٣ ، ١ كو ١٥ : ٣ ، ابط ٤ : ١ ، ١ كو ١١ : ٢٤ ، ويضيف قائلا بأنه توجد شواهد أخرى تعرفنا بأن لاهوت الابن لم يولد حديثا وهو غير قابل للآلام .

بعد أن قدم نسطوريوس عرضاً مسهبا لتعاليمه الازدواجية ختم خطابه بكلمات جارحة تهكمية كما ضمنه مقارنة تخلو من اللياقة مقتبسا كلمات العهد القديم « وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود وكان داود يذهب ويتقوى وبيت شاول يذهب يضعف[٨] (٢ صمو ٣ : ١) قصد نسطوريوس بهذه المقارنة بأن بيت داود الذى كان يتقدم هو القسطنطينية التى تمسكت بالتعاليم الصحيحة وأن بيت شاول الذى كان يضعف هو الاسكندرية التى تمسكت بالهرطقة بحسب ما كان يعتقد نسطوريوس .

رد كيرلس على نسطوريوس

عندما إستلم كيرلس رسالة رئيس أساقفة القسطنطينية شعر بأن هذه الرسالة تحمل فى طياتها تهديداً شخصيا . كما أنه شعر بأنها خطيرة جدا من الناحية العقائدية . وخاصة بالنسبة للقب أم الله . ولذلك فقد جمع كل كتابات نسطوريوس التى وصلت إليه ، ثم قام بعد ذلك بفحصها وتحليلها تحليلا دقيقا مبينا ما فيها من غث وسمين ليستخلص التعاليم الهرطوقية التى ينادى بها نسطوريوس[٩] ويُعرف هذا المجلد الضخم باسم « ضد تجديف نسطوريوس » ولقد كتبه فى سنة ٤٣٠ . ويعتقد كواستن بأنه كُتب فى خريف هذه السنة[١٠] .

يحتوى هذا المجلد الضخم على خمسة أجزاء . ولقد تعرض نسطوريوس فى الجزء الأول لمعالجة مشكلة لقب أم الله وفى الأجزاء ٢ — ٥ تعرض لمعالجة مشكلة ازدواجية شخص المسيح .

8. P. G. 77. 49 - 57, Aco 1,1,1, 29 - 30, Camelot 194 - 198, Amann D.T.C. 96.

9. E. Amann D. T. C. 96 - 98 R.S.R. 208 - 210 J.M.A. Salles - Dabadie. Les conciles oecuméniques dans L'histoire 95 - 100.

10. J. quasten 187.

رسائل كيرلس إلى السلطات الحاكمة

لم يكتفِ كيرلس بكتابة هذا المجلد الذى رفض فيه تعاليم نسطوريوس ، ولكنه كتب عدة رسائل أخرى أرسلها إلى الامبراطور ثيودوسيوس الثانى كما أنه أرسل رسالة إلى زوجته الامبراطوره أدوسى (Eudocie) وإلى أخته (أخت الامبراطور) بولخارى Pulcherie ثم أرسل رسالتين إلى الأميرتين الشابتين (اختا بولخارى أركادى (Arcadie) ثم مارين (Marine)[١١] .

لم يهاجم كيرلس فى هذه الرسائل أسقف القسطنطينية بطريقة مباشرة ، كما أنه لم يدافع عن شخصه ؛ بل حاول أن يعرض بطريقة واضحة أفكاره وتعاليمه للسلطات المسيحية الحاكمة فى ذلك الوقت ، إذ كان من شأنها التدخل لمساعدة المسئولين لفض المشاكل الدينية . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هل كانت تعلم روما بهذا الصراع العقائدى فى الشرق ؟ ومن الذى أخذ المبادرة بذلك . نسطوريوس أم شخص آخر ؟

---

11. A.C.O. Bid 62 - 118, Amann 97 - 98. R.S.R. 209 - 211, J.M.A. Salles - Dabadie 97 - 100, M. Jugie Echos 164.

الفصـــل الســادس

وصول أخبار الصراع العقائدى إلى روما

يرى بعض الباحثين المعاصرين فى شخصية ماريوس مركاتوريوس (Marius Mercator) العين المبصرة والأذن السامعة واليد الكاتبة فى تعريف روما بما كان يحدث وما كان يسمع أو يعمل فى القسطنطينية . كان ماريوس مركاتوريوس رجلا علمانيا ، ولكنه كان دارسا متعمقا فى أمور الدين . ولقد كتب خطابين فى صيف ٤١٨ إلى القديس أغسطينوس بخصوص قضية البلاجيين[1] ويحتمل بأنه أرسل هذين الخطابين من روما مقر إقامته . ولقد مدحه القديس أغسطينوس لمعرفته الواسعة بالكتب المقدسة . كما أن جيروم يذكره فى إحدى رسائله Epist.. 154 Ed.. Helberg. du corpus de vienne. T. Ivi .3. P. 368 وعلى ما يبدو فإن هذا العلمانى العالم ، قد ترك العالم وترهب فى دير فى القسطنطينية أو فى إحدى ضواحيها . (E. Amann Rev. des. Sc Rel. N. 17 23) وعلى ما يُعتقد بأن الكرسى الرسولى الرومانى كلفه بطريقة تكاد تكون رسمية بأن يقوم بإمداده بالأخبار والمعلومات التى تهم روما من الناحية الدينية والسياسية . وهنا نرى اسم ماريوس مركاتوريوس يظهر من جديد فى صراعه ضد البلاجيين فى القسطنطينية فى سنة ٤٢٩ . كما أنه قام بعمل نبذه تحتوى على مقارنة بين تعاليم بولس السموزاتى وتعليم رئيس أساقفة القسطنطينية . كما قام أيضا بجمع سلسلة من عظات نسطوريوس وترجمتها إلى اللاتينية . فهل هو الذى أخبر روما بما كان يحدث فى هذه المدينة وخاصة موضوع نسطوريوس ؟* .

---

1. Amann. R.E.R.S. Rel. 1949 N. 23. P. 7. P.L.T. 33. Col. 868 - 874.

* لمعرفة المزيد عن شخصية ماريوس مركاتوريوس الرجاء دراسة المراجع الآتية :
E. Amann. L'affaire Nestorius vue de Rome. Rev. Sc. Rel. 1949. n. 23. P.6 - 17, Geschichte der römischen litetratur t. 4. b. p. 481, 525 - 526, E. Amann. D.T.C.T. 9. p 2481 - 85.

ومع أن معظم القرائن تشير إليه بأنه هو الشخص الذى وصّل أخبار النزاع العقائدى إلى روما ، إلا أن هذه النظرية قد استبعدت . لأن ماريوس مركاتوريوس لم يبدأ فى جمع عظات نسطوريوس إلا بعد مجمع أفسس . وربما بعد معاهدة السلام التى عقدت فى سنة ٤٣٣ . ويبدو أن ماريوس مركاتوريوس لم يجرؤ على مهاجمة نسطوريوس إلا بعد أن خُلِعَ من منصبه وجُرّد من سلطانه ؛ وعندئذ قام بمهاجمته علانية (Amann 16) .

وهنا نرجع إلى نفس السؤال الذى سألناه سابقاً ، من هو إذن الذى وصّل أخبار صراع القسطنطينية والاسكندرية العقائدى لروما ؟* .

ظن البعض بأن القديس كيرلس هو الذى إتهم نسطوريوس بالهرطقة ، وهو أيضا الذى قام بحملة دعائية ضد أسقف القسطنطينية وتعاليمه ، وهو أيضا الذى وصّل أخبار هذه التعاليم إلى روما . وحقيقة الأمر تختلف عن ذلك تماما . فإن الذى قام بالكتابة عن تعاليم وشخصية نسطوريوس للبابا كيليستينوس (Celestin) هو نسطوريوس نفسه . ويبدو أن رئيس أساقفة القسطنطينية كان يفخر بنفسه وبعظاته وكان معجبا بها كل الاعجاب ؛ كما أنه كان يحب الشهرة ويسعى اليها .

لهذا فقد كتب إلى البابا حال وصوله إلى كرسى القسطنطينية . ولقد طلب فى هذا الخطاب من أسقف روما بأن يمده ببعض المعلومات عن البلاجيين وعقائدهم التى يجهلها . وبما أنه تعرض فى هذا الخطاب لمشكلة البلاجيين الذين كان يقاومهم بابا روما والذين حكمت الكنيسة بحرمهم فقد ذكر هو أيضا صراعه ونضاله ضد الأريوسيين والأبولوناريوسيين . ثم قدّم شرحا لتعاليم هؤلاء الذين يخلطون ويدمجون طبيعتى المسيح بدل التمييز بينهما . فقال إن هذا التعليم سيقود إلى نتائج خطيرة وإلى هرطقة شنيعة . ثم تعرض فى خطابه هذا لاطلاق لقب أم الله على العذراء مريم . فقال انهم يساوون أم المسيح بابنها : فقد سموها أم الله ، كما لو كانت هى التى ولدت الله (Amann 207) إن آباء مجمع نيقية لم يمنحوا لها هذا اللقب ، كما أن الكتب المقدسة والرسل لم يسمّوها بهذا الاسم . إن الكتب المقدسة تتكلم عن أم المسيح وليس عن أم الكلمة . لان الأم يجب أن تكون من نفس جوهر المولود .... ومع ذلك يمكن أن نقول بأنها أم الهيكل الذى سكن فيه الكلمة الإلهى . ثم يختم هذا الخطاب بطلب بعض المعلومات عن البلاجيين* وقد كتب

★ أنظر كتاب : مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التى وضعتها المجامع المسكونية والمكانية المقدسة ..... جمع وترجمة وتنسيق الارشمندريت حنانيا الياس كساب . ص ٢٨٨ – ٢٩٣ .

★ للتوسع فى دراسة خطابات نسطوريوس الى بابا رومه يرجع الى المصادر الآتية :–

1. E. Amann Rel. sc. op.cit., n. 237 - 37, 208 - 244, D.T.C. 77 - 102. A. Grillmeier. 449 - 460, A. Harnack précis de L'hist.... 110 - 114, Tixeront 38 - 44, J. M. A. Salles - Dabadie. Les Conciles oeu.... dans L'hist.... La Palatine. Paris. 90 - 100.

هذا الخطاب نسطوريوس نفسه[2] كما أنه كتب خطابات أخرى إلى روما ضاع بعضها وحفظ البعض الآخر Grillmeier P. 453 .

فمن الواضح إذن بأن الذى إتخذ المبادرة فى الكتابة إلى روما عن تعاليم نسطوريوس ليس القديس كيرلس بل نسطوريوس نفسه . وهذا ما أتفق عليه معظم العلماء الذين أشرنا إلى كتاباتهم سابقا . ولكن من الغريب أن هذه المكاتيب التى تحتوى على بعض عظاته ورسائله والتى أرسلها نسطوريوس إلى روما من أوائل سنة ٤٢٩ ، لم يستطع البابا كيليسيتنوس الاطلاع عليها أو معرفة محتوياتها إلا فى صيف ٤٣٠ وذلك يرجع لعدم وجود مترجم يترجمها من اليونانية إلى اللاتينية (Grillmeier P. 453) ويحتمل أن أخبار تعاليم نسطوريوس وصلت إلى روما قبل أن تصل إلى الاسكندرية . على أن الذين وصلت إليهم هذه الرسائل والعظات فى روما لم يفهموا شيئاً منها لأنها كانت مكتوبة باليونانية . والدليل على أن هذه الرسائل وصلت إلى روما قبل أن تصل إلى الاسكندرية ، وعلى أن كيرلس لم يكن هو الذى وشى بتعاليم زميله لدى روما ، بل أن نسطوريوس هو نفسه الذى كتب للبابا هو سؤال القديس كيرلس فى خطابه الذى أرسله فى صيف ٤٢٩ لزميله نسطوريوس ، عن أوراق ومكاتيب قد وصلت إلى روما . لابل يقول (كيرلس) فى خطابه هذا بأن هذه المكاتيب والأوراق ، وصلت البابا وأساقفته ، ثم يتساءل إذا كانت هذه الأوراق صادرة منه (نسطوريوس) ؟ ثم يردف قائلا بأن بابا روما قد طرح عليه السؤال وينتظر رداً منه* (Amann 33 210; 211) .

كيرلس يرسل الشماس بوذيدونيوس إلى روما

مع أن أخبار نسطوريوس وتعاليمه وعظات وصلت إلى روما عن طريق نسطوريوس نفسه ، فإن أسقف الاسكندرية لم يقف مكتوف الأيدى أمام هذه التعاليم التى كان يعتقد بأنها خطيرة وضارة . لقد سبق بان أرسل رسائل إلى الامبراطور وإلى الامبراطورة وإلى الاميرات فى القسطنطينية . وها هو يرسل شماسه بوذيدونيوس (Posidonius) إلى روما حاملا رسالة ضد تعاليم نسطوريوس ومازالت هذه الرسالة موجودة ومحفوظة حتى الآن[3] ربما كان طلب بابا روما من أسقف الاسكندرية أن يعطى له بعض المعلومات عن نسطوريوس واحداً من الدوافع التى دفعت القديس كيرلس أن يكتب هذه الشكوى ضد

2. Amann. R.S.R. 17 - 28, Grillmeier 452 - 55, Loofs Nest... 165 - 168, Liberatus, Brevium. C. 4. A.Co. 11, 5, 102, 4 - 14.

★ يعتقد J. Mn. Salles - Dabadrie بأن بابا رومه لم يطلب من كيرلس أى معلومات عن نسطوريوس بل أن أسقف الإسكندرية ربه اخترع هذا الأمر من عندياته . ونحن لا نتفق مع هذا الرأى .

3. A.C.O., T, 1. Vol. 1. Fasc. 5, P. 10 - 12. Amann 210 - 211.

نسطوريوس . ألم يذكر ذلك كيرلس نفسه فى خطابه لنسطوريوس عن بعض الأوراق التى وصلت اليه من روما ؟

على أى حال أن الأمر الاكيد أن كيرلس أرسل إلى روما مع شماسه مكتوبا لابل ملفا ضخما يحتوى على معلومات عن نسطوريوس وعن تعاليمه . ويذكر كيرلس فى خطابه هذا بأن الوثائق المرسلة للبابا مترجمة إلى اللغة اللاتينية حتى يسهل عليه الجهد ويوفر له الوقت(٤) ويصف أسقف الأسكندرية فى هذا الخطاب ما حدث فى مدينة القسطنطينية ورد فعل هذه الأحداث فى مدينة الاسكندرية أيضا . فهو يذكر بعض الحوادث : مثل حادثة الأسقف دوروتيوس (Dorothee) الذى وعظ فى الكنيسة وفى حضرة نسطوريوس قائلا فليكن محروما كل من يدعو مريم أما لله ، وكيف أن هذه العظة سببت إنشقاقا فى الكنيسة وخاصة بين الرهبان الذين إنفصل معظمهم عن رئيس الأساقفة . ويواصل شرحه بالقول ، بأنه قد سبق وكتب رسالة إلى رهبانه فى مصر ، لكى يثّبت إيمانهم ؛ كما أنه أرسل رسالة إلى زميله نسطوريوس لكى يّبين له فيها الإيمان الصحيح وبالرغم من ذلك فقد إستمر فى عناده وعصيانه .

والهرطقة التى يتهم بها كيرلس زميله هى أن رئيس أساقفة القسطنطينية يرفض أمومة مريم لله . وماعدا ذلك لا نجد إلا إتهامات غير محددة وغامضة مثل قوله ، إن المسيح قد جُدف عليه .....(٥) .

وكما أنه بدأ هذا الخطاب باسلوب لطيف رقيق مبينا للبابا بأنه يتجه اليه كأب قد إعتادت الكنائس أن تتجه إليه فى الظروف الصعبة المعقدة(٦) والمشابهة لهذا الظرف ، فقد ختم أيضا خطابه هذا سائلا من بابا روما النصح والارشاد بخصوص هذا الموضوع : ماذا يجب أن نعمل ؟ هل نصمت أمام هذا الأمر ؟ أم يجب أن نقطع علاقتنا مع أسقف يعلِّم بهذه التعاليم ؟ ثم يناشد أسقف روما أن يرسل له رسالة واضحة وصريحة بما يجب عمله فى هذا الموضوع(٧) .

على أن هذه الرسالة لم تكن كل ما أعطاه القديس كيرلس الشماس الذى أرسله إلى روما . بل إنه قام أيضا بعمل ملف كامل إحتوى على هذا الخطاب ثم على بعض الاقتباسات من أقوال نسطوريوس التى إنتشرت كما انه اقتبس أيضا بعضاً من أقوال الآباء التى لا تتفق وتعاليم نسطوريوس . وبجانب هذا الملف أعطى أسقف الاسكندرية مكتوبا

4. Colletio. Palatina N° 29. A.C.O. 5, 55 - 56, 67 r. Grillmeier 455.

5. Amann D.T.C. 11. P. 98 - 99.

6. Tixeront III. 36 - 37.

7. Amann. 211.

إلى شمامسة يحتوى على بعض الافكار التى تساعده على الاجابة عى الأسئلة التى يحتمل أن يطرحها بابا روما عليه[٨] ولقد تُرجمت كل هذه الوثائق إلى اللغة اللاتينية وسُلِمت إلى الشماس بوزيدونيوس . وطُلب منه بأن ينطلق إلى روما حاملا هذه الوثائق . كما طُلب منه أيضا بأن لا يسلمها للبابا إلا اذا تأكد بان أخبار تعاليم نسطوريوس قد وصلت الى مسامعه من مصدر آخر[٩] غير الاسكندرية وإلا فليرجع بهذه الوثائق دون تسليمها للبابا . وعلى ما يبدو فإن أسقف الاسكندرية اتخذ هذا الموقف حتى لا يظهر ولا يشعُر السلطات الرومانية بأنه الوحيد الثائر ضد زميله ، أو بأنه يريد أن يجدد مأساة يوحنا فم الذهب مع خاله (خال كيرلس) ثيوفيلوس (Amann 215 - 16) .

وصل بوزيدونيوس Posidonius إلى روما فى صيف ٤٣٠ (Grillmeier 452 - 55) وقدم حالاً هذه الوثائق بعد التأكد من أنه لم يكن الاول الذى حمل أخبار الانشقاق والمعارك العقائدية التى إنتشرت فى مدينة القسطنطينية . وعلى ما يبدو فانه قام بحملة إخبارية وتفسيرية واسعة النطاق . وقد إستخدم المعلومات التى أعطاها له القديس كيرلس للرد على تساؤلات البابا وحاشيته فى روما بطريقة مبالغ فيها ومتطرفة .

فقد تحث للبابا وحاشيته عن نسطوريوس كهرطوقى يعلم بأن الكلمة الالهى سبق ورأى بأن ابن مريم سيكون قديسا ورجلا عظيما وتقيا ، ولذلك فقد إختاره وأعده لكى يُولَدَ بطريقة معجزية وعذراوية وعن طريق تقواه وقداسته وحياته ، رفّعه الله وأعطاه اسما فوق كل اسم . ولهذا فهو يدعى ابنا وسيداً ومسيحا لأن الله قد تبناه . وأن وجود الكلمة اللوغوس فى ابن الله لا يختلف كثيرا عن وجوده فى الانبياء : إن وجوده يشبه وجود الله مع موسى ومع يشوع : « كما كنت مع موسى اكون معك » (يشوع ٣ : ٧) (Amann 213) فهو إذن ابن بالتبنى وليس بالطبيعة . إن يسوع هو إنسان عادى قد رفّعه الله إلى هذه الدرجة ، وبناء على هذا يمكن القول أيضا بانه يوجد ابنان لله الكلمة ثم يسوع الإنسان الذى تبناه الله .

من هنا نرى المعلومات التى وصلت الى روما عن تعاليم نسطوريوس .

يوحنا كاسيانوس GEAN CASSIEN

سبق أن ذكرنا بان الذى وصّل الأخبار إلى روما هو نسطوريوس نفسه ، فقد كتب عدة رسائل للبابا وأرفق بها بعضا من عظاته . ولم يستطع البابا ولا حاشيته الاطلاع عليها

---

8. A.C.O. T. I Vol. 1, Fasc., 7. P. 171, Fasc. 2 P.8 P.G. 27. Col. 85. E. Amann. Rev. Sc. Rel. Op. Cit. 215.

9. .... 215 - 225

ومعرفة محتوياتها لانها كانت مكتوبة باليونانية . ولذلك فقد إتصل الشماس ليون ، الذى أنتخب بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ بابا لروما ، براهب فى مرسيليا* لكى يقوم بترجمة هذه الوثائق . وكان يوحنا كاسيانوس راهبا (ولد ٣٦٠ ومات سنة ٤٣٥) قد قضى مدة طويلة فى الشرق ، ويعرف عادات وتقاليد البلاد كما أنه كان يجيد اللغة اليونانية وكان متخصصا فى أمور الشرق . وعلى ما يعتقد البعض فإنه قد تربى على يدى القديس يوحنا ذهبى الفم(١١) .

وجدت روما اخيراً مترجما لهذه الرسائل فأرسلت كل هذه الوثائق إلى راهب مرسيليا يوحنا كاسيانوس لترجمتها : وهذه هى الوثائق التى أرسلتها روما إلى مرسيليا : ١ — خطاب نسطوريوس الأول الذى أرسله للبابا والذى يطلب فيه بعض المعلومات عن البلاجيين وشرح فيه أيضا موقفه من الأريوسيين والأبولوناريوسيين والذى عرض فيه أفكاره وتعاليمه المريمية. (Amann 231) ٢ — أربع عظات من عظاته .

لا يوجد فى كتاب يوحنا كاسيانوس المعنون بعنوان De Incarnatione Domini Contra Nestorium Livri vil 8 إلا بعض الاقتباسات القليلة جدا من كتابات نسطوريوس . ولكن كل من العالمين لوفز وشوارتز يعطيان قائمة بالوثائق الخاصة بموضوع نسطوريوس والتى أرسلتها روما للراهب لترجمتها(١٢) .

سلّمت روما هذه الوثائق إلى الراهب فى مرسيليا ، وعلى ما يحتمل سلّمت له وثائق أخرى خاصة بنسطوريوس لكى يقوم بترجمتها . وكانت روما تنتظر ترجمة هذه الرسائل والعظات لكى تتعّرف على تعاليم رئيس أساقفة القسطنطينية . ولكّن الراهب كاسيانوس قدم بحثاً مطولا هاجم فيه نسطوريوس وتعاليمه ولقد إتفق كل العلماء المحايدين تقريبا ، على أن يوحنا كاسيانوس ، لم يدرس هذه الوثائق بطريقة جدّية وحيادية وأمينة . بل إندفع بتعصب ، متهما نسطوريوس بهرطقات لم يعلّم بها قط . ولقد إتفق هؤلاء العلماء أيضا على الأمر الآتى : لو درس كاسيانوس حتى ولو بطريقة سطحية وسريعة الوثائق التى وضعتها السلطات الرومانية بين يديه لما قدم هذا التقرير الذى أظهر فيه عدم معرفته بالقضية وعدم كفاءته لدراسة هذه الوثائق وتقديم حكم حيادى نزيه* وإن العالم جريلمير

---

* إن العالم آمان Amann يعتقد بان (الملف) الذى كان يحتوى على عظات نسطوريوس آرسل الى يوحنا كاسيانوس قبل وصول بوزبدوبنوس الى رومه (Amann 226) .

11. J. M. A. Salles - Dabadie. 95 - 98.

12. F. Loofs Schwrtz. Konzilstudien strasbourg 1914.1. Cassien and Nestorius. Pl. 5,9 - 272.

* نود أن نلفت نظر القارىء إلى أن هؤلاء العلماء الذين يصفون كاسيانوس بعدم الكفاءة وعدم الحيادية هم كاثوليك والراهب كاسيانوس هو ايضاً كاثوليكى ، وهنا تظهر النزاهة العملية ولدراسة هذا الموضوع أنظر :

Grillmeier 453 - 455, J. M. A. Salles - Dabadie 94 - 98, Amann. D. T. C. T. 11, 99 - 101, Rev. 225 - 244.

يظهر دهشته لأن هذا الراهب العالم لم يستطع أن يفهم المشكلة على حقيقتها بل قدم تقريرا لا يمت بصلة لتعاليم نسطوريوس ، وخاصة عندما شبه تعاليم رئيس الأساقفة بتعاليم بولس السموزاتى وبتعاليم بلاجيوس (Grill... 453 - 55) ففى تقريره الطويل الذى كتبه إلى السلطات الرومانية يقدم نسطوريوس كهرطوقى لا يؤمن بلاهوت المسيح . وان نسطوريوس يرى فى المسيح مجرد إنسان عادى مثل الآخرين ، ولم يرتفع إلى درجة اللاهوت إلا بسبب تقواه واحتماله للآلام . كما إنه إتهم نسطوريوس بأنه قسم المسيح وفصل اللاهوت عن الناسوت . واتهمه أيضا بأنه علّم بأن نعمة الاتحاد لم تحدث إلا بعد العماد (Amann. 238 - 242) .

إن الاتهامات العقائدية التى وجهها كاسيانوس إلى نسطوريوس لم تكن حقيقية . ولقد سبق أن رأينا فى تعاليم نسطوريوس كيف أنه نبّر بشدة على لاهوت وناسوت شخص الرب يسوع المسيح ، وأنه لم يهمل قط معالجة موضوع وحدة الطبيعتين وأن هذه الوحدة لم تتم فى يوم العماد ، بل من البداية أى عند التجسد وفى بطن مريم العذراء .

كانت هذه هى الوثائق التى وصلت من الجانبين (بوزيدونيوس وكاسيانوس) إلى روما وكان على روما أن تقدم حكما .

موقــف رومـــا

طلبت الاسكندرية رسميا عن طريق رسولها الشماس بوزيدوينوس من روما التدخل لحل هذه المشكلة . وطلبت القسطنطينية أيضا نفس الشىء عن طريق مكاتيب رئيس أساقفتها . فكان من الضرورى إذن أن تتدخل روما للبت فى هذا الامر . وعلى ما يحتمل فإن جواب كاسيانوس (أى تقريره عن تعاليم نسطوريوس) وصل فى نفس الوقت الذى وصل فيه الشماس بوزيدونيوس من الاسكندرية (Amann. D.T.C. 101) وبناء على تقرير كاسيونوس وعلى كتاب كيرلس ، وخاصة التقرير الشفوى الذى قدمه الشماس بوزيدونيوس بنى بابا روما حكمه على نسطوريوس .

إن الدارس المدقق لهذه القضية يلاحظ أن نسطوريوس لم يكن محظوظا فى هذه القضية . فإن الشماس المصرى قدم للكنيسة الرومانية تعاليم نسطوريوس كتعاليم هرطوقية وغير ارثوذكسية . وجاء بعد ذلك الراهب كاسيانوس الذى اعتقد بانه (نسطوريوس) بلاجى . ولذلك حكم على تعاليمه بطريقة غير صحيحة وغير أمينة « وزاد الطينة بله » خطاب نسطوريوس نفسه الذى كتبه للبابا كيليسينيوس طالبا منه بعض المعلومات عن البلاجيين . إن نسطوريوس أراد بطلبه بعض المعلومات عن البلاجيين ، أن ينحاز البابا إلى جانبه وأن يشعره بأنه يريد أن يعرف شيئاً عن الجماعة التى يقاومها ويطاردها بابا رومه ،

ولكن البابا إغتاظ جدا من هذا الطلب . فعلى ما يبدو بأن كيليسينيوس سمع بأن رئيس أساقفة القسطنطينية قد رحب بهم فى مدينته . لا بل أن جماعة البلاجيين هى الجماعة الوحيدة التى لم تتعرض للاضطهادات التى شنها رئيس أساقفة القسطنطينية ضد كل الاحزاب والطوائف الدينية بعد جلوسه مباشرة على كرسى القسطنطينية . لا بل وجُدت بعض الأقاويل التى تقول ، بأن البلاجيين كانوا يسعون إلى دعوة مجمع لكى ينظر من جديد فى قضيتهم ، وان نسطوريوس كان يشجعهم على ذلك . ولذلك فإن سؤال نسطوريوس عن جماعة البلاجيين أثار غيظه لا بل حقده . لان هذه القضية قد سبق أن حكَم فيها مجمع كنسى رومانى ولا رجوع إلى هذا الأمر أو النظر فيه مرة ثانية[١٣]

مجمــع رومــا

يعتقد العالم الكاثوليكى آمان بأن الشماس بوزيدونيوس المصرى قام بحركة نشاط واسعة النطاق[١٤] إذ إنه إستطاع فى الأسابيع القليلة التى قضاها فى روما قبل عقد المجمع ، أن يشرح للبابا ولحاشيته وجهة نظر القديس كيرلس ، وتعاليم نسطوريوس وأخطائها وأخطارها . فماذا يعمل البابا الآن ؟ إن أخبار الاضطرابات والانشقاقات التى كانت تمزق جسد المسيح ، فى القسطنطينية ، وصلت إليه من مدة طويلة . ولكن لم يكن فى إستطاعته أن يميز الأمور بطريقة واضحة وجلية . فمن هو الهرطوقى ومن هو الأرثوذكسى ؟ أما وقد وصل إليه تقرير كنيسة الاسكندرية مع الشرح المسهب الشفوى الذى قدمه الشماس بوزيدونيوس . وكذلك أيضا تقرير الراهب يوحنا كاسيانوس . فلابد إذن من النظر فى هذه القضية والبت فيها . وهنا يصدر البابا قرارا بعقد مجمع محلى فى روما فى شهر أغسطس سنة ٤٣٠ لمناقشة هذه المشكلة .

ومع أننا نملك جزءاً صغيراً جداً من الخطاب الذى ألقاه البابا كيليسينيوس فى هذا المجمع[١٥] إلا أنه لم يصل إلينا أى قرارات لجلساته أو أحكامه . وكل ما لدينا عن هذا المجمع هو بعض المعلومات التى جُمعت من هنا وهناك . وأهمها ما كتبه أرنوبس الشاب (Arnobe. Le. Jeune) وهو راهب أفريقى الأصل ترك بلاده وسكن فى روما* ثم الخطابات الأربعة التى أرسلها بابا روما ، بعد إنتهاء هذا المجمع – إلى من يخصهم الأمر .

13. J.M.A. Salles - Dabadie. 94 - 99. E. Amann. D.T.C. 98 - 900.

14. .... Rev. Sc. Rel. 28.

15. Tixeront 111. 38 - 40, Mansi IV 550.

* لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع التكرم الرجوع إلى :–

Jo. ffeé Regesta P. 55, Amann R.S.R. 28 - 30.

وبالرغم من أن المعلومات التى وصلت الينا عن هذا المجمع مبعثرة ، ولكنها تعتبر كافية لفهم هذه المشكلة . والسؤال الذى يجب أن نسأله بخصوص مجمع روما هو : ما هى الوثائق التى إستند عليها المجمع فى حكمه على نسطوريوس ؟

لقد إستند المجمع الرومانى فى حكمه على نسطوريوس على المصادر الآتية :

١ – رسالة القديس كيرلس وترجمته لبعض العظات وتعاليم نسطوريوس .

٢ – تقرير الراهب يوحنا كاسيانوس عن كتابات وتعاليم وعظات نسطوريوس التى أرسلها رئيس أساقفة القسطنطينية نفسه إلى بابا روما .

٣ – التقرير الشفوى الذى قدمه شماس الاسكندرية عن تعاليم نسطوريوس .

٤ – موقف بابا روما الشخصى من رئيس أساقفة القسطنطينية .

ولنرجع الآن مرة ثانية إلى الوثائق التى اعتمدت عليها روما فى حكمها على نسطوريوس .

١ – **رسالة كيرلس** : مما لا شك فيه ان القديس كيرلس كان رجلا تقيا ، وعالما من علماء العقائد القادرين فى عصره ؛ وأن معرفته الكتابية وإلمامه بأقوال الآباء فاقتا علم الكثيرين من أبناء جيله . ولكن هذا الرجل الذى اتسم بهذه الصفات السامية العظيمة ، كان يخشى من التعاليم الازدواجية التى كانت تنادى بها مدرسة انطاكيا ولهذا السبب فانه لم يَر إلا ناحية واحدة من تعاليم نسطوريوس فيما يخص تعاليمه المريمية ، أو عن منحها لقب أم الله . فإن نسطوريوس علّم بان مريم ولدت يسوع الإنسان . فمن الناحية الطبيعية هى أم الإنسان يسوع الناصرى . ولكن بما أن الكلمة اللوغوس قد اتحد بهذا الإنسان يسوع الناصرى ؛ وأن هذا الاتحاد تمّ فى اللحظات الأولى من تكوين الجنين فى بطن القديسة العذراء مريم ، فهى إذن أم هذا الإنسان الذى اتحد به الكلمة ، لابل يمكن القول بأنها أم الله لأن الله كان فى الإنسان . فهى ليست أم الله من الناحية الطبيعية : أى أن الله لم يأخذ بدايته ووجوده منها . واعتقد كيرلس بأن نسطوريوس يرفض بهذا التعليم لقب أم الله كليا وجزئيا ظانا بأنه يرفض أيضا لاهوت المسيح ولهذا السبب فأنه كتب لبابا روما رسالة دفاع عن أمومة مريم لله . لقد كان لهذه الرسالة تأثير كبير فى توجيه حكم مجمع رومه .

تقرير الراهب يوحنا كاسيانوس :

لقد سبق أن أشرنا إلى أن معظم العلماء لا بل كل العلماء المحايدين الذين درسوا هذا الموضوع يتعجبون للتقرير الذى قدمه الراهب يوحنا كاسيانوس عن تعاليم نسطوريوس . فان خطاب وعظات رئيس أساقفه القسطنطينية التى أرسلتها روما لهذا الراهب ، تثبت

تماما عكس ما قاله وعلى كل من يرد الاطلاع والتوسع فى هذا الموضوع ليرجع إلى كتابه الذى كتبه عن قضية نسطوريوس .

٣ - التقرير الشفاهي الذى قدمه شماس الاسكندرية عن نسطوريوس :

لقد ذكر رئيس أساقفة الاسكندرية فى رسالته للبابا بأن عظات نسطوريوس سببت بعض الاضطرابات والانشقاقات فى الكنيسة وبين الرهبان . وفى الخطابات التى أرسلها البابا بعد مجمع روما نجد عدة أشياء لها أهميتها ومغزاها . ولقد ذكرت هذه الخطابات مرتين عبارة « مغامرة تعاليم بولس السموزاتى » وكان القصد من هذه العبارة أن تعاليم نسطوريوس تشبه تعاليم بولس السموزاتى . وهذا يعنى أيضا أن المنشور الذى علقه يوسابيوس على باب كنيسة القسطنطينية والذى قارن فيه تعاليم بولس السموزاتى الذى حكمت الكنيسة بهرطقته قد وصل إلى مسامع البابا ، بل إلى مسامع حاشيته أيضا . فمن الذى وصّل هذا الخبر ؟ يحتمل أن الذى وصّل هذا الخبر إلى روما هو بوزيدونيوس . والخطاب يشير أيضا إلى الاضطهادات التى قام بها اسقف القسطنطينية ضد من يشاركونه هذا فى الرأى . وحرمهم . وجدير بالذكر أن الذين حكم عليهم نسطوريوس بالقطع من الكنيسة لقيامهم ضده ، حكم مجمع روما بقبولهم فى الشركة ؛ وكذلك أيضا حكم مجمع الاسكندرية بقبول نفس هؤلاء الاشخاص الذين قطعهم نسطوريوس من شركة الكنيسة . فمن وصّل خبر الاضطهادات وقطع هؤلاء من كنيسة القسطنطينية ؟ يحتمل بأن الذى وصلّ هذا الخبر هو أيضا بوزيدونيوس أثناء حملته الدعائية التى قام بها ضد نسطوريوس (Amann 36 - 39) .

٤ - موقف بابا روما : عندما أرسل نسطوريوس رسالته الاولى إلى البابا طالبا منه بعض المعلومات عن جماعة البلاجيين ، كان يعتقد بأنه سوف يستحوذ على مشاعره ، لا بل ربما كان يطمع فى الحصول على صداقته : لانه ظن أن البابا سوف يفهم من رسالته هذه بأنه يقاوم من يقاومهم البابا نفسه . ولكن كان رد فعل البابا لهذا الخطاب هو العكس تماماً . فان كيليسينيوس اشمأز من هذا السؤال وكان رده قاسيا جافا ، فلقد شبهه نسطوريوس بالبلاجيين فى تعاليمه . من هذا يتضح أن البابا كان هو أيضا ضد نسطوريوس .

ولدراسة هذه القضية والحكم فيها ، رجع بابا روما إلى بعض الآباء الذين علموا بأمومة مريم لله أمثال القديس هيلريوسHilaire والقديس امبرواز (Ambroise) وآخرين كما أنه درس أيضا حكم البابا داماسيوس ضد الذين علموا بابنين فى المسيح . ومن التهم التى وُجهت إلى نسطوريوس فى هذه القضية هى بأنه علّم بابنين . وهذا أمر غير صحيح كما سبق أن شرحنا ذلك . كما إنه أُتهم أيضا بأنه أنكر الميلاد العذراوى . إن الدارس لكتاباته

لا يجد أى أثر لا فى كتاباته ولا فى عظاته بأنه انكر الميلاد العذراوى ، ولقد إتهموه أنه أنكر لاهوت المسيح . وهذا الامر غير صحيح أيضا بل ان هذه الفكرة إنتشرت وسط الشعب ولا يوجد لها اساس علمى صحيح فى أقواله أو كتاباته . ألم يصرخ شعب افسس فى المدينة التى عقد فيها مجمع ٤٣١ قائلاً إلى الهاوية اليهودى ، إلى الهاوية الذى لا يؤمن بلاهوت المسيح (Amann 39) . وفى حقيقة الأمر كان نسطوريوس من الذين دافعوا عن لاهوت المسيح بكل قواه .

لقد بنى مجمع روما حكمه على الوثائق التى تعرضنا لذكرها سابقا . ويعلق العالم الكاثوليكى* الالمانى جريلمير على هذا المجمع بالقول ؛ لم يكن بابا روما ولا مجمعه أهلا للحكم على نسطوريوس لان المعلومات التى وصلت عنه كانت مشوهة[١٦] .

ولقد حرر مجمع روما أربع رسائل بتاريخ ١١ أغسطس ٤٣٠ تحتوى على التهم التى أُتهم بها رئيس أساقفة القسطنطينية وعلى الموقف الذى يجب أن يُتخذ تجاهه . أرسل المجمع رسالة إلى نسطوريوس نفسه ؛ وكانت هذه الرسالة شديدة اللهجة لاذعة النقد ، تحمل تهديداً خطيراً : فان لم يرجع عن تعاليمه وضلالاته ، وأن لم ينكر التعاليم التى نادى بها ، وإن لم يتمسك بالتعاليم التى تتمسك وتنادى بها الكنيسة الجامعة المقدسة سيكون محروماً بعد عشرة أيام من تاريخ إستلامه لهذه الرسالة . والرسالة الثانية أرسلت إلى شعب واساقفة القسطنطينية ولقد أعلن البابا فى هذا الخطاب بأن نسطوريوس كان يعلم تعليما غير مستقيم فى موضوع الميلاد العذراوى ولاهوت مخلصنا[١٧] كما أنه يذكر لهم بأنه استقصى عن الحقائق من أسقف الاسكندرية وأن هذا الأخير (كيرلس) مكلف من قبله لعمل اللازم . كما أنه أعلن أيضا حل كل الذين حرمهم نسطوريوس (Amann D.T.C. 102) . والرسالة الثالثة أرسلت إلى يوحنا الأنطاكى وسائر أساقفة الشرق وفيها يخبرهم بقرارات روما ومهمة أسقف الاسكندرية فى هذا الموضوع . أما الرسالة الرابعة فقد أرسلها إلى القديس كيرلس وقد إمتلأت بالتقريظ العظيم مادحا إياه على إيمانه العميق وعقيدته السليمة وعلى غيرته المقدسة التى اكتشفت الضلال والهرطقة ، ثم يعرفه بأنه مرشح من قبل كرسى روما بابلاغ قراراتها لنسطوريوس والإشراف على تنفيذها[١٨] .

رجع مرسل الاسكندرية الشماس بوزيدونيوس من روما محملاً بهذه الرسائل بدلاً من الرسائل التى حملها إلى بابا روما . وحالاً بعد وصوله ، جمع رئيس أساقفة الاسكندرية فى

---

16. A. Grillmeier 459 - 460.

★ نرجو ملاحظة بأن هذا العالم كاثوليكى .

17. M. Jugie Rev. Echos d'orient 1911. N. 14 P. 264 - 267. Tixeront. 39 - 40. Amann. 39 - 41.

18. Martin Jugie. Rev. Echos. d'orient. op. cit 265 - 267.

شهر نوفمبر تشيرين الثانى مجمعا محليا للنظر فى قرارات مجمع روما والتفويض الذى أرسله اليه الخاص بموضوع نسطوريوس . ثم إقترح على السنودس إثنى عشر حرمانا ضد نسطوريوس وتعاليمه . ووافق المجمع على ذلك . كما أن سنودس الاسكندرية أصدر قراراً بقبول نفس الأشخاص الذين قبلهم مجمع روما فى شركة الكنيسة وهم نفس الاشخاص الذين قطعهم نسطوريوس من الكنيسة*.

القديس كيرلس يؤلف اثنى عشرة حرماناضد نسطوريوس

تأزم الموقف

قرر مجمع الاسكندرية الذى إنعقد فى شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ٤٣٠ إرسال بعض الأساقفة* إلى القسطنطينية لكى يحملوا رسائل البابا كيليسينيوس لتسليمها لنسطوريوس ولأساقفة الشرق (أنطاكية) ولأسقف أورشليم . ولم يكتف كيرلس بأن يرسل إلى نسطوريوس خطاب الباب كيليسينيوس شديد اللهجة ولاذع النقد ، بل قام هو أيضا بكتابة رسالة عقائدية تفسيرية طويلة شارحا فيها الإيمان الصحيح الذى يؤمن به وما يجب على زميله فى القسطنطينية قبوله . ثم ختم هذه الرسالة باثنى عشرة حرمانا . وهى عبارة عن تلخيص للرسالة العقائدية الطويلة . وطلب من نسطوريوس التوقيع على هذه الحرمانات . ويحسن بنا أن نلقى نظرة سريعة على محتويات هذه الحرمانات التى نطق بها كيرلس ضد نسطوريوس .

الحرمانـــات :

١ - فليكن محروما من لا يعترف بان عمانوئيل هو إله بالحقيقة وبناء على ذلك فإن القديسة مريم هى أم الله (ثيوتوكوس) لانها ولدت فى الجسد كلمة الله الذى صار جسدا .

---

* بعض المراجع عن رسائل كيرلس ورسائل نسطوريوس ومشكلة مجمع أفسس :

J. M.A. Salless - Dabadie. Bles Conciles oecuméniques dans L'histoire. 87 - 100 J. Quasten 3. 717 - 724. Jr. Liebaert 190 - 194. P.TH. Camelot. Epese. et Chalcedoine 39 - 75, M. Jugie. Echos d'oriont. 264 - 67 A. Grillmeier. 452 - 560. Tixeront III 35 - 45 Kelly 334 - 340, F. Hayword 35 -4. E. Amann Rev. Sci. Rel. 1950. N° 24. 28 - 44 D. T. C. 92 - 109, ... 235 - 238, 1949 N°. 371, 207 - 245.

* يعتقد البعض بأن كنيسة الاسكندرية إختارت اثنين من الاساقفة المصريين لارسالهما إلى القسطنطينية وان يلحق بهما اثنان من المصريين المقيمين هناك (Amann 38. 39) على ان البعض الاخر يعتقد بان الذين ذهبوا من مصر ٤ اساقفة وهم ثيوبوتوس Théopomete ودانيال Daniel وبوتامون Potamon وكوماريوس Camarius

٢ — فليكن محروما من لا يعترف بان كلمة الله الاب أتحد اتحادًا طبيعيا (حسب الهيبوستاس) وأنه مسيح واحد مع جسده ، يعنى الذى هو إله وإنسان معا فى نفس الوقت .

٣ — فليكن محروما من يفرق أو يقسم الطبيعتين (الهيبوستاسين) فى المسيح بعد الاتحاد ، معتبرا اتحادهما مجرد شركة بسيطة فى الكرامة ، أى عن طريق السلطة أو القوة ، وليس عن طريق الاتحاد اتحادا طبيعيا .

٤ — فليكن محروما كل من يفرق بين الشخصين أو الطبيعتين فى شرحه للعبارات الإنجيلية أو عبارات الرسل أو التى نطق بها القديسون عن المسيح أو التى نطق بها المسيح نفسه عن نفسه ؛ ناسبا بعضها إلى الإنسان منعزلا أو منفردا عن الله الكلمة ، وناسبا البعض الآخر لكلمة الله الآب باعتبار أنها لا تنطبق إلا على الله .

٥ — فليكن محروما كل من يتجاسر قائلا بأن المسيح هو إنسان حامل الله (أو سكن فيه الله) وليس بالحرى إله حقيقى ، فبما أنه ابن واحد طبيعى وبما أن الكلمة صار جسداً فقد إشترك فى اللحم وفى الدم تماما مثلنا .

٦ — فليكن محروما من يجسر قائلا بان كلمة الله الاب هو إله أو رب المسيح ولا يعترف بالحرى ، بأنه هو نفسه وفى نفس الوقت إله وإنسان معا ، لان الكتاب المقدس يقول « والكلمة صار جسداً » .

٧ — فليكن محروما كل من يقول بأن يسوع كان يستمد من كلمة الله القوة والحركة ، وأن مجد الابن الوحيد نُسب له ، وليس من خواصه .

٨ — فليكن محروما كل من تجاسر قائلا بان الإنسان المحمول (يسوع) يجب أن يُعبد مع الكلمة وان يمجد معه وأن يدعى الله (مع الإنسان المحمول) كما يُعبد ويمجد ويدعى الواحد مع الآخر ، ولا يكرم بالحرى عمانوئيل بعبادة واحدة ولا يقدم له مجدا واحدا . كالكلمة الذى صار جسداً .

٩ — فليكن محروما من قال بأن الروح قد مجد الرب الوحيد يسوع المسيح ، وأن يسوع استخدم هذه القوة الخارجية والممنوحة له من الروح لكى يعمل ضد الأرواح النجسة ، ولكى يجرى المعجزات الإلهية للناس . ولا يقول بالحرى بأن الروح الذى أجريت عن طريقه هذه المعجزات الالهية هو روحه .

١٠ — إن الكتاب الالهى يقول بأن المسيح صار رسول اعترافنا ورئيس كهنة (عب ٣ : ١) قد قدم نفسه لاجلنا « قربانا وذبيحة لله رائحة طيبة » (أف ٥ : ٢) . فاذا قال أحد بأن حبرنا ورسول اعترافنا ليس كلمة الله نفسه عندما صار جسداً وإنساناً مثلنا ،

ولكن يعتبر (رئيس الأحبار) شخصا آخر ومختلفا عنه أى إنسان مولود من امرأة ؛ أو إذا قال أحد بأنه قدم ذبيحة عن نفسه أيضا وليس بالحرى عنا نحن فقط ؛ لأن الذى لم يعرف الخطية ليس بحاجة إلى ذبيحة فليكن محروما .

١١ – فليكن محروما كل من لا يعترف بأن جسد الرب يمنح الحياة ، وأنه جسد كلمة الله الآب نفسه ، والذى يدّعى بأنه جسد شخص آخر ومتميز عنه واتحد به عن طريق الكرامة لكونه السكن الإلهى فقط ، ولا يقول بالحرى بأنه جسد محيى لأنه أصبح جسد الابن القادر على أن يعطى حياة للجميع .

١٢ – وليكن محروما كل من ينكر أن كلمة الله تألم فى جسده وصلب فى جسده ، وذاق الموت فى جسده ، وأصبح باكورة الراقدين ، وكإله فهو الحياة وهو المحيى .★

هذه هى الحرمانات الاثنى عشر التى أرسلها كيرلس مع أساقفته إلى زميله فى الخدمة رئيس أساقفة القسطنطينية . ولقد إتفق معظم العلماء على أن القديس كيرلس قد تخطى بهذه الحرمانات حدود السلطان الذى خول له من كرسى روما[١٩] ، فإن كل ما طلبه بابا روما من كيرلس ، هو أن يقدم رئيس أساقفة القسطنطينية إقرار إيمان واضح وصريح يعترف فيه بلاهوت وناسوت المسيح ، وأن المسيح هو إله وإنسان معا منذ اللحظة الاولى من الحمل . فلم يطلب بابا روما من كيرلس أن يقوم بتأليف حرمانات أو قانون إيمان جديد ويرغم نسطوريوس على قبوله فيقبل فى الكنيسة أو رفضه فيرفض من الكنيسة . والذى زاد المشكلة تعقيدا والموقف تأزما هو ان كيرلس إستعمل فى هذه الحرمانات بعض الاصطلاحات والعبارات التى لم يتفق الجانبان على معنى واضح ومحدد لها . فأن كيرلس كان يعتبر الاصطلاح طبيعة هو مرادف لكلمة هيبوستاس[٢٠] لابل انه إستعمل فى بعض الأحيان الكلمات برسوبون (أقنوم أو شخصية) وطبيعة وهيبوستاس ، كما لو كانت مرادفات وتعنى نفس الشيء[٢١] وكذلك أيضا فإن الإنطاكيين لم يميزوا بين كلمة طبيعة

★ لدراسة هذه الحرمانات بالتفصيل ارجع إلى :

A Select Library of nicene and Post - Nicene fathers of the christian church. Second series. Vol. XIV. The seven ecumenical councils. pp. 206 - 221,

مجموعة الشرع الكنسى ..... جمع الارشمندريت حنانيا الياس كساب ص ٣٠٧ – ٣٢١ ،

Tixeront III. 39 - 44, Kelly 334 - 340, Camelot. Ephése ..... 206 - 207, E. Amann. Rev. 237 - 238, D.T.C. 102 - 106, Dom. H.M. Diepen O.S.B. ..... Douze dialogues ..... 1 - 74 Bardy 173 - 176.

دكتور اسد رستم ٣١٤ .

19. Tixeront 111. 41 - 42, Amann Rev. 236 - 238, D.T.C. 103.
20. Camelot Ephèse ..... 37 - 39, Tixeront 111. 24, 42 - 34,
21 J. M. A. Salles - Daba die 118.

وكلمة هيبوستاس واعتبروهما مترادفين لمعنى واحد . ومن هنا يظهر الخلط . الذى قاد إلى عدم الفهم والانشقاق . فعندما كان نسطوريوس يتكلم عن وجود طبيعتين أو هيبوستاسين فى شخص المسيح ، كان كيرلس يعتقد بأن زميله يتكلم عن شخصين أو ابنين أو مسيحين . وكذلك أيضا عندما كان كيرلس يتكلم عن طبيعة واحدة وهيبوستاس واحد للكلمة المتجسد* فى شخص المسيح ، كان نسطوريوس يعتقد بأن زميله سقط فى هرطقة الأبولوناريوسية التى تعلم بوجود طبيعة واحدة .

كما وجدت مشكلة أخرى لغوية ونفسية زادت الموقف تعقيدا وهى ، أن كل حزب من الحزبين كان يتحاشى بقدر الامكان أن يستعمل الاصطلاحات التى كان يستعملها الحزب الآخر ، لانه كان يعتقد بانها تخفى خلفها هرطقة .

ولأجل هذه الأسباب ولاسباب أخرى ايضا حاول كل حزب فرض اصطلاحاته على الحزب الآخر الذى رفض هو أيضا هذه الاصطلاحات التى كان يستعملها خصمه . ومن هنا تظهر الصعوبة . هل قبل نسطوريوس هذه الحرمانات ؟

لقد رفض نسطوريوس هذه الحرمانات لابل أن يوحنا الانطاكى عندما إطلع عليها اشتم فيها هرطقة أبولوناريوسية . وذلك يرجع إلى إستعمال بعض العبارات والاصطلاحات التى لم تكن واضحة ولا محددة المعنى .. وطلب من اثنين من المعلمين الرد عليها . كما أن هذه الحرمانات كانت تحتوى على بعض التعاليم والمفاهيم التى لم يقبلها نسطوريوس . فمثلا الحرمان رقم ٢ يتكلم عن اتحاد طبيعى (هيبوستاس) أى انه لا توجد إلا طبيعة واحدة : طبيعة الكلمة المتجسد* وهنا يستعمل كيرلس الاصطلاح هيبوستاس الذى يقصد به فعلا طبيعة . الأمر الذى لا يمكن لنسطوريوس قبوله ، لأنه كان يعتقد ويعلّم بوجود طبيعتين[٢٢] .

وفى الحرمان رقم ٣ يستخدم كيرلس الاصطلاح طبيعة أو هيبوستاس حارما كل من يقسم أو يفصل الطبيعتين . هذا يعنى أنه لا يمكن التمييز بين الطبيعتين بعد عملية الاتحاد ، وهذا ما ينبر عليه أيضا فى الحرمان الرابع .

* لقد إقتبس القديس كيرلس هذه الجملة من كتابات أبولوناريوس وكان يعتقد بانها من كتابات القديس أثناسيوس ، ولكن حقيقة الأمر هى : ان هذه الجملة هى من كتابات أبولوناريوس وتعاليمه التى دسها ونشرها أتباع أبولوناريوس تحت عناوين مزيفة باسم القديس أثناسيوس.، وغريغوريوس ...... Camelot 38

* عندما تقول كلمة الله لا نقصد هنا الكلمة المكتوبة : الكتاب المقدس بل نقصد اللوغوس : الكلمة المتجسدة .

22. J.M.A. Salles - Dabadie. 118. Tixeront 111. 42 - 43.

إن بعض أعداء القديس كيرلس فسروا هذا الحرمان بمعنى أن عملية التجسد لاشت الوحدة . فبعد التجسد لا توجد إلا طبيعة واحدة ، وهى طبيعة الابن أو الكلمة المتجسد . وهذا ما يمكن أن ينسبه أعداء كيرلس كتفسير لهذا الحرمان الذى يحتوى فعلا على شيء من هذا المعنى إن لم يُحط بالتفسيرات اللازمة . ثم فى الحرمان رقم ١٠ يحرم كيرلس كل من لا يقبل بأن رسول اعترافنا هو الكلمة نفسه : أى اللوغوس . ولكن نسطوريوس علّم بان رسول اعترافنا ورئيس كهنته ليس هو الكلمة بل هو الإنسان يسوع الناصرى الذى إتحد به الكلمة . وفى الحرمان رقم ١٢ يشدد كيرلس على أن الذى تألم فى جسده وصلب فى جسده وذاق الموت فى جسده هو الله[٢٣] . وهذا ما قد رفضه نسطوريوس لانه علّم بأن الله لا يولد ولا يتألم ولا يموت ، ولكنه يمكن أن نقول بان الله نفسه وبجوهره ولاهوته كان فى الناسوت الذى ولد وتألم ومات (DoM. H.M. Diepen 74 - 1) .

لقد رأى بعض الدارسين أن هذه الحرمانات تحتوى على بعض التعاليم التى لا تمت بصلة لا للكنيسة الشرقية ولا الكنيسة الغربية أو للكنيسة الجامعة ، بل أن بعضها يعتبر تعاليم كيرلس الشخصية[٢٤] على أننا نعتقد بأنه بالرغم من وجود بعض الاخطاء العقائدية الخطيرة الموجودة فى هذه الحرمانات فإن بعضها يدل على تفكير عميق ناضج ، وأن مجمع خلقدونية (٤٥١) استخدم بعض الاصطلاحات التى استخدمها القديس كيرلس .

لجنة مفوضة من سنودس الاسكندرية إلى القسطنطينية

أرسل السنودس الذى إنعقد فى الاسكندرية لدراسة قضية نسطوريوس لجنة مفوضة إلى القسطنطينية إلى الكنائس التى يخصها الامر ، لحمل رسائل وقرارات مجمعى روما والاسكندرية . ولقد كُلفت اللجنة بحمل وتوصيل الرسائل الآتية : رسائل البابا كيليستينوس إلى كل من يوحنا أسقف انطاكية ، ثم إلى جيوفنال أسقف أورشليم وأخيراً رسالته إلى نسطوريوس .

كما أن هذه اللجنة كُلفت أيضا بحمل الرسائل الشخصية التى كتبها كيرلس إلى كل من : يوحنا الأنطاكى جيوفنال الأورشليمى ، والشيخ أكاسيوس أسقف حلب . وهذه الخطابات الثلاثة الأخيرة موجودة فى : — P.G.T. Lxxvll, Col. 93, 104; vaticana, A.C.O. 1, 1, 1, P. 22, 96, 98 .

23. Tixeront III 42 - 43, Amann D.T.C. 103 - 104.

24. Bardy 174 J. M. A. Salles.- Dabadie. 97 - 105. Amann 236 - 239.

وصلت اللجنة إلى أنطاكية وسلّمت ليوحنا رسائله . وعندئذ إنتهز أسقف أنطاكية هذه الفرصة فكتب خطابا لكى تسلمه هذه اللجنة لرئيس أساقفة القسطنطينية . وكانت رسالة يوحنا إلى زميله نسطوريوس رسالة رقيقة مهذبة ؛ تهدف إلى تلطيف الجو ، ونشر السلام فى الكنيسة التى كانت مهدده فى سلامها . فقد نصح يوحنا صديقه بأن ينفذ مطالب روما ، كما أنه أشار عليه أيضا بأن يقبل لقب أم الله لمريم ، وأن ثيودوريوس الموبسيوستى لم يكن متشددا بشأن لقب أم الله لمريم .

عندما كتب يوحنا الانطاكى هذه الرسالة لزميله فى الخدمة يرجوه بالخضوع ، لم يكن على علم بما تحتويه الرسالة العقائدية التى كتبها كيرلس لنسطوريوس ، والتى كانت تتضمن اثنى عشر حرمانا . كما أن كيرلس نفسه لم يصرح بأى كلمة فى رسائله الأخرى سواء ليوحنا أو للآخرين عن هذه الحرمانات Vaticana N. 13, 15, Mansi. Concil T,IV Col. 1061, Amann 239 .

وصول اللجنة المفوضة إلى القسطنطينية

وصلت هذه اللجنة فى أواخر نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ٤٣٠ إلى القسطنطينية[٢٥] واتصلت باثنين من المصريين المقيمين فى العاصمة (Amann Rev. SC. n. 23 - 239) وعرضت الأمر عليهما .. وفى يوم الأحد الموافق ٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) توجهت اللجنة كلها إلى دار الأسقفية بعد الخدمة اليترجية . وعلى ما يبدو فإن الجماهير كانت متزاحمة وهى تتساءل عن السبب الذى من أجله حضر هؤلاء المصريون . على أى حال فان اللجنة سلّمت الرسائل التى كُلفت بتسليمها لنسطوريوس فرجاهم أن يرجعوا فى الغد حتى يستطيع أن يستقبلهم على إنفراد . وعندما رجع الوفد يوم الاثنين وجد الأبواب مغلقة ولم يستطع مقابلة رئيس الأساقفة ولم يعط لهم ردًا . وفى يوم الأحد الموافق ٧ ديسمبر اعتلى رئيس أساقفة القسطنطينية منبره لكى يعظ*[٢٦] وقد بدأ عظته بالمحبة التى يجب أن تسيطر على قلوب وعلى عواطف المسيحيين وأن هذه المحبة مؤسسة على عمل المسيح الفدائى ؛ وأن عملية الفداء تحققت عن طريق التجسد . وهنا يتساءل قبل الدخول فى صلب موضوعه ، ماذا تعنى عملية التجسد ؟ إن عملية التجسد تعنى أن رب كل

---

25. Don. H. M. Diepen 74 - 75.

الدكتور اسد رستم ... الجزء الاول ٣١٤

* لحسن الحظ مازالت هذه العظة موجودة وقد إحتفظ بها هوماريوس مركاتوروس وهو منافس نسطوريوس وهذا دليل على صحتها .

26. La Palatina N. 23, A.C.O. T.1, Vol. V, P. 39 - 45 Loofs N. XVIII, Le synodicon piéce 78, T.1 Vol., IV, P.6 Loofs Nestoriana. N XIX P. 313 - 321.

الأشياء لبس طبيعتنا كثوب لن ينفصل عنه فيما بعد . ففى هذا الناسوت ظل متحداً ومكملا أعماله « فان بولس السموزاتى قدم فى هذيانه ناسوتا مجرداً من اللاهوت . توجد ازدواجية فى الطبيعة ، ووحدة فى الابن » ثم يتعرض بعد ذلك لمشكلة لقب أم الله لمريم ، يتساءل قائلا : من هم الذين يتمسكونّ بهذا اللقب ؟ أريوس وأندميوس وأبولوناريوس . ويواصل شرحه معلنا أنه على إستعداد أن يقبل الاصطلاح أم الله (تيوتوكوس) على شرط أن يضاف إليه الاصطلاح أم الإنسان (أنثربوتوكوس) . إن مريم هى أم الله لأن الكلمة اتحد بالهيكل وإنها أم الإنسان بسبب هذا الهيكل نفسه الذى هو من نفس طبيعتها (Amann Rev. SC.. 240 - 241) ثم يعود إلى الكلام عن اللاهوت والناسوت مقتبساً قول الرسول يوحنا « الكلمة صار جسداً » فيقول هذا لا يعنى أن اللاهوت تحول إلى طبيعة بشرية .

وكما يقول الرسول بولس المسيح إفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا .... (غلا ٣ : ١٣) . فهذا لا يعنى أن المسيح صار هو نفسه اللعنة التى كان على كل واحد منا أن يقاسيها . وبهذه الطريقة فسر أيضا رومية ٨ : ٣ . فإن الذى أرسل ليس هو الكلمة بل هو الابن ، أى الإنسان — الله .

إن بعض الدارسين يرى فى هذه العظة رداً على خطاب بابا روما . إن كيليسيتيوس طلب من نسطوريوس رداً واضحا وصريحا عن عقيدته فى لاهوت وناسوت المسيح ثم عن عقيدته فى لقب أم الله لمريم . وقد أجاب على هذين الطلبين فى هذه العظة . فقد قبل نسطوريوس لقب أم الله لمريم ، على أن يُشرح . كما أنه علّم وآمن بلاهوت وناسوت المسيح . ولقد سجلت بعض المصادر مناقشة حادة حدثت بين نسطوريوس وبين اكليروس كنيسته وعلى ما يحتمل فإن هذا الحوار دار بينه وبين الاكليروس أما يوم السبت السابق ليوم الاحد الموافق ٧ ديسمبر (كانون الاول) ٤٣٠ والذى ألقى فيه عظته الشهيرة ، أو فى صباح يوم الاحد قبل القداس وقبل أن يلقى هذه العظة . فقد طلب البعض من رئيس أساقفتهم بأن يحدد موقفه العقائدى لهذه اللجنة . فقال أن العقيدة الأساسية هى ما يأتى : — « الإيمان بالثالوث ، تجسد الابن الوحيد ، الاتحاد الفائق الوصف للطبيعة الإلهية بطبيعتنا فى بطن مريم العذراء ، الايمان بوجود طبيعتين فى ابن واحد . ولقد سبق أن قال نسطوريوس فى عدة مناسبات ، بما أن اسم المسيح يعنى الطبيعتين فبناء على ذلك يمكننا أن نقول بأن مريم هى أم الله (ثيوتوكوس) وهى أيضا أم الإنسان . انثروبوتوكوس Anthropotokos . نعم إنها أم الله وأم الإنسان . أم الله لان الهيكل الذى خُلِقَ فيها بالروح القدس باللاهوت ، وهى أم الإنسان لان الله أخذ منها طبيعتنا[٢٧] وهنا يعطى نسطوريوس جوابا واضحا لطلب البابا كيليسيتيوس .

27. Le Synodicon A. Co. 1, 5, P. 45 - 46, 1, 4, P. 6 - 7, Nestorius.. 314 - 321, Aman D.T.C. 105 - 106, Rev. Rel... 243 - 245.

إعتقد البعض بأن نسطوريوس قام هو أيضا بدوره بتأليف اثنى عشر حرمانا ضد كيرلس وتعاليمه[٢٨] وفى حقيقة الأمر إن نسطوريوس لم يرد على كيرلس ، لا بحرمانات ولا بخطابات ، بل إن أحد أتباع نسطوريوس والمدافعين عن تعاليمه . قام ، وفى وقت متأخر بتأليف هذه الحرمانات التى نسبت إلى نسطوريوس[٢٩] على أن نسطوريوس قام بعمل آخر ، وهو أنه أرسل صورة من هذه الحرمانات مع خطاب رقيق الأسلوب إلى يوحنا الانطاكى ، لكى يشكره على خطابه الذى أرسله مع اللجنة المفوضة المصرية . وعندما إطلع يوحنا على هذه الحرمانات اشتم منها رائحة الهرطقة الابولونارسيوسية (Amann 247 - 251) ولذلك فقد طلب يوحنا من إثنين من أعظم معلمى العقائد فى المنطقة وهما ثيودريوس أسقف كورش (Cyr) واندراوس أسقف سميزاط : أو سميزات ، بدراسة هذه البنود الاثنى عشر والرد عليها .

قدم ثيودوريطوس تحليلا عاما شاملا لكل الحرمانات ، ولقد بدأ تحليله هذا بالقول ، بأنه من المحزن بأن الراعى الذى ينبغى عليه أن يعتنى برعيته وأن يعطى لها الدواء ، يحتاج هو نفسه إلى دواء ، لأنه مريض . ويرى أن المرض الذى إنتشر هو الأبولوناريوسية والمريض هو الذى ينادى بهذه التعاليم . ولقد رأى ثيودوريطوس فى هذه الحرمات خلطا واندماجا للطبيعتين وخاصة فى الحرمانين رقم ٧ر٩ .

أما اندراوس فقد ترك جانبا الحرمانات رقم ٢ ، ٥ ، ٦ ، ثم قدم هو أيضا تحليلا لبقية الحرمانات . وكان تحليله لاذعا قاسيا لكاتب هذه الحرمانات التى رأى فيها هجوما ليس فقط على نسطوريوس وحده ، بل أن كاتبها يهاجم تعاليم الكنيسة الشرقية كلها . أما كيرلس فقد بدأ من جديد الدفاع عن هذه الحرمانات رافضا نقد الناقدين[٣٠] .

وهنا نرى بأن المشكلة إزدادت تعقيداً والموقف أصبح متأزما . فنرى روما والاسكندرية فى جانب ، وأنطاكية والقسطنطينية فى جانب آخر . وهنا ظهرت الضرورة الملحة لعقد مجمع لحل هذه المشكلة . وفى حقيقة الأمر أن فكرة إنعقاد مجمع مسكونى لم تكن وليدة الأحداث التى حدثت مؤخراً : أى قرار روما يحرم نسطوريوس وحرمانات كيرلس التى نطق بها ضد رئيس أساقفة القسطنطينية . ولكن على ما يبدو فإن هذه الفكرة قد تسرّبت إلى فكر الامبرطور ، عندما أرسل اليه رئيس أساقفة الاسكندرية رسالة ، كما أرسل إلى الامبراطورة بولخارى أخت الامبراطور ولزوجة الامبراطور وللأميرتين الصغيرتين خطابات . وكان كيرلس يهدف من هذه الرسائل إلى كسْب البلاط

28. Tixeront 43, Loofs 211, Harnack. Precis... 212 - 214, F. Hayward. P. 36.

٢٩ – دكتور اسد ... الجزء الاول: ص ٣١٤

30. Tixeront III 44, Amann Rev. Sc. Re. 248 - 249, D.T.C. 108, Grillmeier 483, Richard Hypostase.» 253 - 258.

الإمبراطورى إلى جانبه . ولكن النتيجة كانت عكسية تماما ؛ كما حدث مع نسطوريوس عندما أرسل أول رسالة إلى البابا كيليسينيوس يسأله عن البلاجيين . فإن الامبراطور اعتبر ان الرسالة التى أرسلها كيرلس إلى بعض أفراد العائلة الامبراطورية ، تهدف الى بث روح الاضطراب والانقسام بين أفراد عائلة الامبراطور نفسه . وخاصة أن هذه الرسائل التى كتبها كيرلس كانت رسائل شخصية . ونحن نعلم بأن الامبراطورة بولخارى أخت الامبراطور كانت تقاوم بكل جهدها نسطوريوس . أما الامبراطور وزوجته فكانا من المعجبين برئيس أساقفة القسطنطينية والمؤيدين له . ولهذا السبب ولأسباب أخرى أيضا كانت هذه الرسائل سببا فى إثارة غيظ وغضب وحقد الامبراطور على رئيس أساقفة الاسكندرية ، وربما كان يتصيد الفرص للايقاع به والانتقام منه . وهذا الأمر واضح كل الوضوح من صيغة الخطاب الامبراطورى المرسل لكيرلس كدعوة لعقد مؤتمر فى مدينة أفسس . كان هذا الخطاب شديد اللهجة عنيف الأسلوب ، ويحتوى على نوع من الحقد على كيرلس وتهديد له . إذ أنه يتهم رئيس أساقفة الاسكندرية بأنه عمل على بذر الانقسامات حتى فى داخل عائلة الامبراطور بكتابته إلى الإمبراطورتين وإلى الأميرتين على إنفراد . وقد أمره بالحضور إلى المجمع ، وإلا سيكون معرضا للقطع[٣١] .

فعلى ما يبدو ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن الامبراطور ثيودسيوس الثانى كان يترقب الفرص لكى يوقع كيرلس فى شرك ، أو على الاقل لكى ينتقم منه على إرساله هذه الرسائل إلى العائلة المالكة[٣٢] وعلى ما يبدو أيضا فإن نسطوريوس كان المحرك الاول والعامل النشيط الذى دفع الامبراطور على إتخاذ قرار عقد مجمع لحل هده المشكلة . وكان نسطوريوس قوى التأثير ليس فقط على بعض أفراد الحاشية فى البلاط الامبراطورى ، بل على الامبراطور نفسه[٣٣] وعلى ما يعتقد البعض فإن أخبار قرارات مجمع رومه وصلت بطريقة غير رسمية إلى أذان يوحنا الانطاكى ، وهذا الاخير وصلّها قبل أن تصل كتابيا وتفصيليا ورسميا إلى مسامع رئيس أساقفة القسطنطينية[٣٤] ويقال أيضا إن رئيس أساقفة انطاكيا طلب من نسطوريوس أن يتصرف بحكمة ومحبة لأجل سلام الكنيسة . فمن الجائز إذن أن نسطوريوس بدأ نشاطه السياسى واتصاله بالامبراطور لكى يصدر أمراً بعقد مجمع لحل هذه المشكلة فى أوائل شهر نوفمبر (كانون الثانى) ويجوز أن فكرة عقد مجمع للنظر فى هذه المشكلة وجدت ترحيبا ، وربما تحمسا من جانب الإمبراطور لأنه يمكن عن طريقها تقديم كيرلس كمتهم بنشر الإنشقاق والانقسام حتى فى العائلة المالكة ويترك ؛ الامر فى ما بعد للامبراطور فيما إذا كان يغفر أو لا يغفر لمن يتجرأ على بث روح الإنشقاق

31. Mansi T. IV Col.. 1109, Bardy 175.

32 Amann. D.T.C. 97 - 98, 107 - 109.

33. .... Rev. Sc. Rel.46 - 47, Harnack Precis 212 - 214.

34. Dom. H.M. Diepen. 74 - 80.

والانقسام فى الإمبراطورية وفى عائلة الامبراطور(٣٥) ويالها من تهمة خطيرة النتائج وشنيعة العقاب ! وفى يوم ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ٤٣٠ وقّع الامبراطور فى مدينة القسطنطينية على قرار بعقد مجمع فى مدينة افسس يبدأ من يوم ٧ يونيو ٤٣١ . وكان خطاب الامبراطور موجزاً جدا بخصوص الغرض من الاجتماع . فهو يقول : للقضاء على بعض الاضطرابات التى ظهرت أخيراً ، وتنظيم بعض الامور غير المنظمة (Bardy 175 . (A.T.C. 107 - 108

كان لهذا القرار مفعول كبير على الموقف ، وتأثير عميق على نفسية نسطوريوس . فقد سبق أن رأينا أن كل الظروف أو معظمها كانت ضد رئيس أساقفة القسطنطينية حتى ذلك الحين : رسائله إلى البابا كيليسينيوس وموقف هذا الأخير منه ، قرار كاسيانوس ، ثم تدخل كيرلس وإرساله للشماس بوزيدونيوس إلى روما .

واخيراً قرار مجمع روما وحرمانات كيرلس . والآن يتغير الموقف فجأة . فإن الامبراطور نفسه يصبح المؤيد الأعظم لنسطوريوس ويقف بجانبه ، لابل يصدر أمراً بعقد مجمع فى أفسس والنظر فى القضية . وهذا يعنى الغاء قرار مجمع روما أو على الأقل بأن نسطوريوس أصبح الآن غير مضطر أن يجاوب على هذا الحرمان الذى أصدرته كنيسة رومه قبل أن يجتمع مجمع أفسس* إن القرار الامبراطورى صدر فى يوم ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) واللجنة المفوضة وصلت إلى القسطنطينية فى آخر ذلك الشهر عينه . وربما كان هذا هو السبب الذى لطفّ الجو عند وصول الوفد المصرى إلى القسطنطينية أو على الاقل هدأ من الثورة التى كان يمكن أن يقوم بها نسطوريوس ضد المرسلين من طرف كيرلس .

مما لا شك فيه أن نسطوريوس اعتبر هذا القرار الامبراطورى بعقد مجمع ، منقذا له ولموقفه . لانه كان فى موقف حرج جدا . فإن روما لم تكتف بأن تهدد بالحكم عليه وعلى تعاليمه فى بحر عشرة أيام من إستلامه لرسالة البابا ، بل إنها سلمت السلطة إلى الد أعدائه وهو كيرلس لتنفيذ قرارات روما . وأما الآن فيرى نفسه حراً طليقا من هذه الاحكام ، لا بل إنه إستطاع عن طريق القرار الامبراطورى ليس فقط أن يخرج من هذا المأزق الضيق بل أن يدفع عدوه كيرلس إلى مأزق أضيق وأشد خطورة ، وهو اتهامه بأنه يعمل على بذر الانقسام فى الامبراطورية وفى وسط عائلة الامبراطور . ترى هل ينظر مجمع أفسس إلى الامور بهذه الطريقة ؟ وهل سيحاكم كيرلس على هذه التهم ؟ وهل سيكون نسطوريوس فى مجمع أفسس موجها للاتهام أو متهماً ؟

---

35. Amann Rev. Sc. Rel. 46 - 47.

* هذا فى حالة ان نسطوريوس علم فعلا بحكم روما قبل وصول اللجنة المفوضة من الاسكندرية .

الفصل السابع

مجمع أفسس

مع أن الذى أمر بعقد هذا المجمع هو الامبراطور ثيودوسيوس الثانى ، فإن الدعوة أرسلت باسم الامبراطورين ثيودوسيوس الثانى وفالانتينوس أو (فالنتيان) الثالث[1] ولقد قال ثيودوسيوس فى نص هذه الدعوة . ما معناه . إن واجب الأباطرة الذين أقامهم الله هو اليقظة والدفاع عن الايمان وعن سلام الكنيسة . فمن مدة طويلة ونحن نرى ضرورة عقد مجمع ، وأن الاحداث الجارية حاليا خير شاهد على ذلك .....»ولقد حدد الامبراطور تاريخ إنعقاد هذا المجمع يوم ٧ يونيو (حزيران) ٤٣١ فى مدينة أفسس وأرسلت هذه الدعوة إلى الاساقفة وطلب منهم أن يكون العدد قليلا على أنه لم يحدد هذا العدد القليل[٢] ولقد أرسل أيضا هذه الدعوة إلى البابا كيليسينيوس وقد قبل الدعوة فعين فعلا ثلاثة من الكنيسة الرومانية لكى يمثلوها فى هذا المجمع المسكونى . وهم اسقفان من ضواحى روما : أركاديوسArcadius ثم بروجكتوسProgectus والكاهن فيلبس . وقد أعطى البابا أوامره ورسائله لهذا الوفد الذى ترك إيطاليا حوالى يوم ٨ مايو (آيار) ووصل فى الجزء الاول من شهر يوليو (تموز) ٤٣١ ولقد أرسلت هذه الدعوة أيضا إلى الأسقف كيرلس مع خطاب شديد اللهجة . كما أنها أرسلت أيضا إلى جميع الأساقفة أمثال يوحنا الانطاكى جيوفنال الأورشليمى وإلى القديس أغسطينوس الخ .... ولكن هذا الأخير كان قد إنتقل إلى العالم الآخر فى يوم ٢٨ أغسطس (آب) ٤٣٠ (Camelot. Fph. 46) .

ومن ضمن الرسائل التى أعطاها البابا لهذا الوفد رسالة للامبراطور وفيها يشكره على إهتمامه لعقد هذا المجمع لحل المشاكل وإرجاع السلام للكنيسة . وإننا لانجد أى إشارة فى هذه الرسائل لتعيين كيرلس رئيسا لهذا المجمع[٣] .

---

1. Amann Rev. Sc. Rel. 475, Bardy 177; Amann D.T.C. 106 - 107.
2. Bardly Op. Cit 177.
3. Tixeront 46, Mansi IV, 11, 24, F. Hayward 37, Amann. D.T.C. 110.

مكـان الاجتمـــاع : أفســـس

لماذا اختيرت أفسس ؟

اختار الامبراطور مدينة أفسس لهذا الاجتماع . بسبب موقع هذه المدينة الجغرافى الممتاز وامكان الوصول اليها بسهولة بحراً وبراً ، كما أنها إمتازت أيضا بكثرة المنتجات المتنوعة التى يحتاج اليها أعضاء هذا المجمع(٤) . ولكن عندما فكر الامبراطور فى هذه المدينة كمكان لاجتماع مسكونى لسهولة الوصول اليها لم يتسرب إلى ذهنه أنها سوف تقف بجانب القديس كيرلس وتؤيده . لان هذه المدينة كانت تتمتع أيضا بشهرة أخرى ألا وهى إكرامها العظيم للقديسة مريم الاكرام الذى وصل فى كثير من الاحيان إلى درجة العبادة . فإن عقيدة أمومة مريم لله كانت معروفة ومنتشرة فى تلك المدينة . ولقد شُيدت فيها أماكن أثرية على اسم مريم . وأكثر من ذلك فإن قبرها* كان مكرماً بجوار قبر القديس يوحنا الرسول ، لا بل دُعيت بشفيعة مدينة أفسس (٥) إن هذه اللمحة التاريخية الموجزة سوف تساعدنا لكى نفهم جيّداً الموقف المعادى الذى أظهره شعب هذه المدينة ضد نسطوريوس .

وصول الوفود وإفتتاح مجمع أفسس

كان الميعاد المحدد لبدء جلسات المجمع هو السابع من شهر يونيو (حزيران) . سنة ٤٣١ ، كما ذكر الامبراطور فى الدعوة المرسلة إلى الوفود . وكان نسطوريوس ووفده الذى يتّكون من ستة عشر أسقفا* أول الذين وصلوا إلى مدينة أفسس ولقد كانت مقابلة زميله فى الخدمة ممنون (Memnon) أسقف مدينة أفسس والصديق الحميم والمخلص لرئيس أساقفة الاسكندرية سيئة وعدائية* فقد أمر بغلق أبواب الكنائس ومقبرة القديس يوحنا فى وجهه وفى وجه الوفد الذى كان يرأسه ، وعدم السماح له بالوعظ فى المدينة(٦)

---

(4) Camelot. 44 - 45.

★ إن الكنيسة الكثوليكية تعتقد بأن مريم العذراء صعدت إلى السماء مثل المسيح بجسدها . أعلن البابا بيوس الثانى عشر هذه العقيدة فى سنة ١٩٥٠ ولقد تحدد يوم ١٥ أغسطس (أب) من كل عام للاحتفال بهذا العيد .

★ إعتقد البعض بان نسطوروس إصطحب معه حرسا مسلحا لحراسته .

5. Bonifas 11. 114 - 116. F. Hayward 37, Bardy 178.

★ يعتقد البعض ان ممنون أسقف أفسس كان مصرى الأصل

Iris Habib El-Masri The story of the Copts 198.

6. Bonifas T. 2. P. 111 - 115, J. M.A. Salles - Dabadie 100 - 105.

لا بل قدمهم للشعب كأعداء لام الله[٧] وبعد ذلك وصل القديس كيرلس مع وفد مكّون من حوالى خمسين أسقفا وعدد كبير جدا من الرهبان والكهنة وآخرين[٨] لدرجة أنه اضطر أن يستقل اسطولا بحريا لنقل هذه الحاشية[٩] ولقد وصلوا قبل الميعاد المحدد بعدة أيام . أما وفد أورشليم فقد وصل يوم ١٢ يونيو (حزيران) برئاسة الأسقف جيوفنال وكان من بين هذا الوفد حوالى خمسة عشر أسقفا فلسطينيا[٩] .

أما وفد أنطاكية والذى كان يرأسه الأسقف يوحنا ، فقد وصل متأخرا حوالى يوم ٢٦ يونيو (حزيران) وكان يتكّون من ٣٤ أسقفا[١٠] ولقد جاء أيضا لحضور هذا المجمع ثلاثة أساقفة من ماكدونية وشماس من أفريقيا . وأخيراً وصل وفد روما فى الأيام العشرة الأولى من شهر يوليو (تموز) وكان مكّونا من أسقفين وكاهن . ولا ننسى بالطبع وفد أفسس المحلى الذى يتكّون من حوالى أربعين مندوبا . أما الامبراطور فقد أناب عنه الكونت كانديديانوس (Candidien) الذى كلفه بحمل مكتوب رسمى لقراءته لافتتاح المجمع . وكان هذا المنشور يحدد واجبات وسلطة الكونت كانديديانوس,Vaticana,h 31 A.C.O I,1,1, P.120; Mansi ,T. iv. col 1117 فمن واجباته السهر على سير الأمور بنظام فى داخل وخارج المجمع حتى تكون المناقشات بنظام وبحرية ، دون أن يتداخل فى هذه المناقشات بإبداء أرائه فى الأمور العقائدية[١١] . وقد وصل كانديديانوس فى نفس الوقت الذى وصل فيه نسطوريوس أو بعده بقليل أى فى أواخر شهر مايو[١٢] .

مشكلة إفتتاح المجمع

كان مجمع افسس مشكلة . فحتى الاتفاق على إفتتاحه وبدء العمل فى تاريخ معين كان مشكلة . والسؤال الذى تضاربت حوله الاراء هو :- هل كان القديس كيرلس مخطئاً أو محقا عندما دعى هذا المجمع للافتتاح وبدء العمل فى يوم ٢٢ يونيو (حزيران) قبل أن يصل وفد أنطاكية المكّون من ٣٤ أسقفا . وقبل أن يصل وفد روما ؟ وهناك سؤال آخر وهو : هل كان من حق كيرلس أن يدعو المجمع للاجتماع وبأى سلطان ؟ وهل كان له الحق أيضا فى رئاسته ومن خوله هذا السلطان ؟

---

7. E. Amann. Rev. Sc. Rel. 257.

٨ – د. اسد رستم الجزء الاول . ٣١٥ .

9. J. M. A. Salles Dabadie 102 - 104. Bardy. 178, Socrates. Hist. Eccl. 7. 34.

10. Bonifas 110 - 116, Hayward 43, Camelot. 54 - 56.

11. Amann. D.T.C. 111,

مجموعة الشرع الكنسى ..... ص ٢٩٤

12. Amann. D.T.C. 111.

إنقسم العلماء فى إجاباتهم على هذه الأسئلة . فالبعض يعتقد بان كيرلس كان محقا فى دعوته لافتتاح هذا المجمع ورئاسته والبعض الآخر يرفض رفضا باتا تصرفه بهذه الطريقة لابل انتقده انتقادا لاذعا قاسيا . فلنحاول الآن دراسة هذه المشكلة بطريقة موضوعية وحيادية .

إن الدعوة الامبراطورية المؤرخة بتاريخ ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ٤٣٠ والتى أرسلت إلى الوفود ، كانت واضحة كل الوضوح أن المجمع سيبدأ أعماله فى يوم ٧ يونيو (حزيران) ٤٣١ ولأجل هذا السبب فإن مندوب الامبراطور وصل إلى مكان الاجتماع فى آخر شهر مايو (آيار) . وكذلك أيضا نسطوريوس وكيرلس وصلا فى أوائل شهر يونيو (حزيران) وقبل ميعاد الافتتاح بعدة أيام . كل هذا صحيح ، ولكن من المعروف ومن المألوف والمعترف به أيضا أنه كان من المستحيل فى بعض الاحيان إحترام المواعيد وتنفيذها بطريقة محكمة ودقيقة للظروف الجوية والطبيعية الخارجة عن الإرادة ، وهذا ما قد أشار إليه رسل البابا عند وصولهم متأخرين ، وهذا ما كتبه أيضا يوحنا أسقف أنطاكيا فى خطابه الذى أرسله مع رسولين وصلا إلى مكان المجمع فى يوم ٢٠ يونيو (حزيران) . ولقد أعلن فى خطابه هذا ، أسفه الشديد لتأخيرهم لان قافلتهم تعرضت لبعض الحوادث[١٣] . كما أنه رجا زملاءه فى أفسس التفضل بانتظارهم حتى يصلوا . فشنه لم يتبق أمامهم إلا أربع أو خمس مراحل يقطعونها[١٤] ومن هذا الخطاب نلاحظ شيئين :

١ – إن الخطاب مرسل إلى كيرلس ، لا كرئيس للمجمع بل كاحد البارزين فيه .

٢ – إن يوحنا لم يقل لهم أن يبدأوا فى العمل قبل وصوله ، بل رجاهم الانتظار* فالأمر واضح هنا كل الوضوح أن يوحنا لم يطلب من المجمع أن يبدأ أعماله قبل وصول الشرقيين = (ممثلوا أنطاكية)[١٥] .

ولكن على ما يبدو فإن الانتظار الطويل كان سببا فى أحداث خطيرة . فإن معظم الأحزاب المتعارضة وصلت إلى مكان الاجتماع من مدة طويلة . وهنا بدأت المناقشات الفردية والجماعية بين الاحزاب المتعارضة ، لابل تطورت هذه المناقشات إلى معارك كلامية ونزلت أخبار هذه المهاترات إلى مسامع رجل الشارع فى افسس ، الذى كان يعتبر نسطوريوس وأتباعه ضد مريم شفيعة مدينتهم . لابل أكثر من ذلك فإن أبواب الكنائس

* إعتقد البعض بأن الاسقفين اللذين حملا خطاب يوحنا الى كيرلس أخبراه بان يبدأ العمل فى المجمع ولا داع لانتظارهم ، وأن يوحنا قد أراد على حسب ما يعتقد هؤلاء ، بأن يعّرف أسقف الاسكندرية بطريقة .

13. Bardy, 178, Amann 258 - 259

14. .... D.T.C. 111 - 112,258.

15. Tillemont, Memoires T - 14, 391 - 394, Nestorius. Héraclide. 1,2.

قُفلت فى وجه نسطوريوس واتباعه ، وفتحت على مصراعيها أمام رئيس أساقفة الاسكندرية واتباعه ؛ وهذا الموقف دفع شعب أفسس بأن يعتبر نسطوريوس واتباعه كهراطقة ؛ فعاملهم الشعب معاملة قاسية وعدائية ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى كان الجو حاراً فتعرض بعض الأساقفة المتقدمين فى السن إلى أمراض خطيرة . ولقد كتب القديس كيرلس فى إحدى رسائله إلى أحد الاشخاص فى القسطنطينية شارحا له بأن الحياة فى أفسس حياة صعبة قاسية لا يقوى على إحتمالها المتقدمون فى السن الذين أضناهم السفر ومشقته . لابل أن عدداً منهم مات حال وصولهم . وهناك بعض من الأساقفة قد أنفقوا كل ما كانت تملكه أيديهم ولم يتبق لهم شيء ليقتاتوا به فى هذه المدينة . ولذلك فإنهم يطالبون بافتتاح المجمع[١٦] . ولم يكن هذا الأمر هو الوحيد الغريب فى قضية نسطوريوس ؛ لأن هذه القضية حفلت بأمور غريبة عديدة[١٧] أن كيرلس أعلن فى يوم الأحد الموافق ٢١ يونيو (حزيران) إفتتاح المجمع يوم الاثنين الموافق ٢٢ يونيو (حزيران) ووجهة الغرابة فى هذا الأمر هو أن كيرلس إتخذ هذا القرار بعد إستلام خطاب يوحنا الانطاكى مباشرة فى يوم ٢٠ يونيو[١٨] . وقد سبق أن أشرنا أن يوحنا قد أرسل خطابه هذا لكى يعلن لكيرلس بأنه سوف يصل بعد عدة أيام قليلة (بعد أربع أو خمس مراحل) والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو :- لماذا اتخذ كيرلس هذا القرار بعد وصول خطاب يوحنا مباشرة ؟ !!!! فإذا كان الآباء قد إنتظروا هذه المدة الطويلة ، ألم يكن فى استطاعتهم أن ينتظروا أربعة أو خمسة أيام أخرى ؟ ومما يزيد الأمر غرابة أيضا أن رئيس أساقفة الاسكندرية لم يعر إحتجاجات الـ ٦٨ أسقفاً على هذا القرار أى اهتمام . فعندما أعلن كيرلس يوم الاحد الموافق ٢١ يونيو (حزيران) بأن المجمع سيبدأ أعماله فى اليوم التالى ، قبل وصول الوفد الانطاكى قام ٦٨ أسقفاً بالاحتجاج على هذا القرار وكتبوا اعتراضا ووقعوا عليه وقدموه إلى القديس كيرلس وإلى جيوفتال[١٩] . كما أن ممثل الامبراطور نفسه الكونت كانديديانوس ، عندما علم بهذا الخبر هرع مسرعا إلى مكان الاجتماع وطلب بالحاح عدم فتح المجلس قبل وصول الأساقفة الشرقيين[٢٠] . وبالرغم من هذه الاحتجاجات ، حضر إلى الكنيسة التى تدعى كنيسة مريم حوالى ١٥٠ أسقفاً فى صباح يوم ٢٢ يوينو (حزيران) سنة ٤٣١ بصحبة الأساقفة كيرلس وجيوفنال وممنون .

وهنا بدأ الكونت محاولا من جديد أن يقنع المجتمعين بعدم البدء فى المناقشات قبل وصول المتأخرين فلم يفلح . وعندما الحّ مصراً على عدم قانونية الاجتماع طلبوا منه بأن

---

16. St. Cyrille. Epist... 23, Camelot 48, Acol. 1,2,2,8, Bardy. 180.
17. J.M.A. Salles - Dabadie. p. 119.
18. Amann. D.T.C. 112. Synodic., n 82, A.C.O. 1, 4, p. 27. P.G. LXXXIV. Col., 590.
19. Nestorius. Livre d'Heraclide 1,2, Amann. D.T.C. 112, Rev. Sc... 257 - 259.
20. Camelot, Eph.. 49 - 51, P.G. 76, 412, A.C.O. 1, 1, 3, 83.

يتفضل ويقرأ أمر الامبراطور الخاص بافتتاح المجمع . فقرأ فعلا الكونت أمر الامبراطور . وعندما أنهى قراءة الامر الامبراطورى الخاص بافتتاح المجمع ، قالوا والآن نعتبر بأن إفتتاح هذا المجمع قانونى بعد سماع قراءة أمر الامبراطور بافتتاحه ، ويمكنه أن يبدأ أعماله حالا . ولم يستطع الكونت أن يفعل اى شيء إلا أن يكتب إحتجاجه ويرسله إلى الامبراطور ، ثم ترك المجمع وأعماله .

وقبل أن نبدأ فى مناقشة مشكلة هذا المجمع وأعماله نود أن نرجع إلى سؤال سأله معظم الذين تعرضوا لدراسة هذه القضية . وهو : لماذا اتخذ كيرلس قرار إفتتاح المجمع بعد أن استلم خطاب يوحنا مباشرة ؟

كانت الأغلبية الساحقة الموجودة حتى تلك اللحظة فى المجمع تؤيد القديس كيرلس . وبناء على ذلك ، فانه كان يضمن أكثر من مائة صوت (G.M.A. Salles - Dabadec 103 - 102) . فإن الوفد المصرى وحده كان مكونا من خمسين أسقفاً ، وكذلك الوفد الأفسسى فقد حضر من أفسس وأبرشياتها حوالى أربعين أسقفاً وعلى رأسهم الأسقف ممنون والصديق الحميم لكيرلس . وأبرشية أفسس هى التى صرخ شعبها بعد الحكم على نسطوريوس قائلة إلى الهاوية نسطوريوس اليهودى ... إن مريم أم الله إنتصرت على نسطوريوس . (Amann Rev. 250) ثم نجد أسقف أورشليم جبوفنال الذى إنحاز بجانب كيرلس لأسباب قضائية وشخصية بينه وبين أسقفية القسطنطينية(٢١) .

فمن الواضح أن أساقفة أنطاكية كانوا ضد كيرلس وخاصة الحرمانات التى نطق بها ضد نسطوريوس ، ألم يطلب يوحنا الأنطاكى من الأسقف اندراوس والأسقف ثيودوريطوس بان يكتبا تقريراً عن هذه الحرمانات لأن ثلاثتهم رأوا فيها رائحة الابولوناريوسيه ؟ فان وجود يوحنا الانطاكى مع وفده (حوالى ٣٤ أسقفاً) فى المجمع لابد وأنه كان سيغير الموقف (Amann. Rev 258) فإن ما كان يخشاه رئيس أساقفة الاسكندرية ، ليس هو وقوف يوحنا ووفده خلف نسطوريوس ومساندته وتأييده فقط ، بل كان يخشى أيضا بأن يطالب وفد يوحنا بمناقشة الحرمانات التى كتبها كيرلس وحرمها(٢٢) لهذا السبب رأى كثير من العلماء أن رئيس أساقفة الاسكندرية قد أسرع حال إستلامه خطاب يوحنا الأنطاكى الذى يعلن فيه بأنه سوف يصل إلى أفسس بعد عدة أيام ، بافتتاح المجمع وبدء العمل قبل وصول يوحنا حتى يستطيع مع الوفود الموالية له ، أن

---

21. Bardy ..... 178, Socrates Hist. Eccl. 7. 34,

الدكتور اسد رستم الجزء الاول ص ٣١٥ .

22. Galtier. Rec.. Sc. Rel. 1931 275,

الدكتور اسد رستم الجزء الاول ٣١٦ ،

يحكم على نسطوريوس وعلى تعاليمه ، وأن يحصل على موافقة لتعاليمه[٢٣] من نفس هذا المجمع الموالى له[٢٤] .

وعندما ننظر إلى هذا المجمع من هذه الزاوية نستطيع أن نفهم جيداً لماذا رفض نسطوريوس المثول أمامه عندما دعى ثلاث مرات قبل وصول وفد أنطاكية ولقد كتب فى شيخوخته من منفاه فى صحراء مصر معبراً عن حزنه العميق وعن مرارة نفسه وأسفه لما دار فى هذا المجمع فقال « لقد كوّن محكمة ، وكل ما كان يقوله قبله الآخرون .... كان هو المحكمة .... وجمع حوله كل الذين يعملون مسرته ، البعيدين والقريبين .... ولقد دعانى كيرلس الذى أمر بافتتاح المجمع ، إستدعانى كيرلس الذى كان رئيساً لهذا المجمع . من هو القاضى ؟ كيرلس ومن هو موجه الاتهام ؟ كيرلس ؛ كان كيرلس الكل فى الكل ..... »[٢٥] .

وهنا نأتى إلى السؤال الآخر الذى تعرض له كثير من العلماء وهو هل كان من حق كيرلس أن يرأس هذا المجمع ؟ إن بعض العلماء الكاثوليك (عدد قليل جدا) يرى فى الخطاب الذى أرسله بابا روما إلى القديس كيرلس نوعا من ترشيحه أو تعيينه لهذا المنصب . إذ أنه يتحدث فى هذا الخطاب إلى رئيس أساقفة الاسكندرية ، كما لو كان هو الشخص الذى سوف يمثله فى مجمع أفسس (Camelot 49) . كما أن مجمع روما قد أرسل إلى كيرلس تفويضا لتنفيذ قراراته ، فمن الواضح إذن بأن كيرلس كان يتمتع بمكانة خاصة وبقدر كبير من الثقة والتقدير من جانب بابا روما ، لأنه كان قوى الشخصية وكان وكرسيه يتمتع بمكانة هامة . ويعتقد ديبن Diepen بأن خطاب ٧ مايو (آيار) يشتم منه بأن بابا روما عيّن رئيس أساقفة الاسكندرية رئيساً لهذا المجمع (Dom. H.M. Diepen. 76 - 82 Bardy 180) .

أما الاغلبية الساحقة من العلماء فهى تؤكد بانه لا يوجد أى خطاب ، ولا أى نص من البابا كيليستينوس إلى كيرلس أو إلى المجمع يشير إلى أن رئيس أساقفة الاسكندرية هو رئيس المجمع[٢٦] فإن الخطاب المؤرخ بتاريخ ٧ مايو (آيار) ٤٣١ والذى أرسله البابا مع وفده لا يقترح اسم القديس كيرلس لرئاسة هذا المجمع ولا يعينه ، وهذا الامر واضح أيضا من الدعوة التى أرسلها الامبراطور ؛ فانها لا تعين أى شخص ، بل تُرك هذا الأمر لتقرير

---

23. Amann. Rev .... 259 - 261 Camelot. Fph. 53 - 56, J.M.A. Salles. Dabadie. 102 - 105.

24. Ales. Le Dogme d'ephèse 139, Duchesne L., Hist... Anc... de L'eglise III. 349.

25. Nestorius. Lelivre d'héraclide. Ed. F. Nau. 1, Camelot 49.

26. Amann D.T.C. 112. Rev. 112, Tixeront. 46 - 47 J.M.A. Salles - Dabadie. 103 - 105, Bonifas 112 - 118.

المجمع نفسه . لا بل أن بونيفاس يعتقد بأن رئاسة المجمع كانت من حق يوحنا الأنطاكى (Bonifas 112 - 118) والعالم الكاثوليكى آمان يميل نوعا ما لهذا الرأى .

مما لا شك فيه بأن كل أو معظم العلماء الكاثوليك يحاولون إثبات اولوية وسلطان كرسى روما . وهذا هو السبب فى عدم الاتفاق على مشكلة رئاسة هذا المجمع . فلو وُجِدَ نص صريح وواضح من بابا روما يكلف فيه رئيس أساقفة الاسكندرية برئاسة هذا المجمع لا تفق تقريبا كل العلماء الكاثوليك فى هذا الامر ، لكى يثبتّوا سلطان كرسى روما .

أما نحن فنرى مشكلة رئاسة المجمع من زاوية أخرى ، صحيح بأن روما كانت (وما زالت) تحتل المكانة الأولى لأهمية كرسيها ، ولكن موضوع هذا المجمع بالذات كان موضوعا خاصا له ظروف خاصة . وبناء على ذلك فنحن نعتقد بأن إختيار رئيس كان ضروريا ولكن هذا الأمر كان من إختصاص المجمع المحلى عندما يكتمل التكوين . فكان على هذا المجمع المكون من الأغلبية الساحقة من الوفود الممثلة أن يختار رئيساً لكن ممثل الامبراطور لم يكن موافقا على اجتماع يوم ٢٢ يونيو (حزيران) . كما ان الـ ٦٨ أسقفاً رفعوا شكوى بعدم موافقتهم على بدء الاجتماع ، بخلاف وفد أنطاكية الذى لم يكن قد وصل بعد ، وهو من الذين يساندون نسطوريوس ، ولا ننس وفد روما ، هذا صحيح بأن ممثلى روما كانوا فى جانب كيرلس لكنهم لم يصلوا إلى الاجتماع بعد ولم يشتركوا فى إختيار الرئيس . إن غياب هذه الوفود يجعل عملية إنتخاب رئيس هذا المجمع غير قانونية .

وهناك مشكلة أخرى غابت عن الأذهان ، وهى من هما الطرفان المتصارعان ؟ الاسكندرية والقسطنطينية ، أو بالتحديد كيرلس ونسطوريوس . لقد جاء أعضاء هذا المجمع بناء على طلب الامبراطور لكى يفحصوا الخلاف العقائدى بين كيرلس ونسطوريوس . صحيح ان روما حكمت على نسطوريوس ، ولكن حتى روما التى حكمت على نسطوريوس فى مجمع روما قبلت المشاركة فى هذا المجمع (مجمع أفسس) لا بل قبلت أيضا أن تغفر لنسطوروس إذا تاب . وهذا ما كتبه البابا كيليستينوس إلى كيرلس ، بأن الله يريد توبة الخاطىء وليس هلاكه (Dom . H.M. Diepen 80 - 82) وبناء على هذا فإن المهمة التى كان على مجمع أفسس النظر فيها هى عرض تعاليم كيرلس وتعاليم نسطوريوس والبحث فيهما ، وإصدار حكمه ضد التعاليم المضلة ، وقبول التعاليم الصحيحة . وهذا يعنى أيضا ، بأنه كان من الواجب القانونى ، بأن يجلس القديس كيرلس ورئيس أساقفة القسطنطينية أمام هذا المجمع ويجاوب كلا منهما على الاسئلة التى توجه اليه بتواضع وخضوع واحترام لسلطة هذا المجمع المنعقد لحل هذه المشكلة . كما أنه كان من الواجب القانونى أن يرأس هذا المجمع شخص محايد . واخيراً كان على محكمة هذا

المجمع أن تعامل الاثنين على قدم المساواة إلى أن تظهر نقاوة تعاليم الواحد فتقبلها أو تظهر هرطقة تعاليم الآخر فترفضها وتحكم بهرطقتها[٢٧] .

ومما لا جدال فيه أن القديس العظيم كيرلس كان من أعظم وأقوى الشخصيات فى هذا المجمع ، كما أنه كان من أجدر الشخصيات التى كان يجب أن تحتل منصب الرئيس ، لانه كان مؤهلا من الناحية العلمية والكتابية . ولكن الظروف التى وجُدِ فيها كانت غير مناسبة ولا تسمح له قانونا بأن يكون رئيسا لهذا المجمع بل كان عليه أن ينتظر إلى أن تحضر كل الوفود أو على الأقل الأغلبْية الساحقة لاختيار الرئيس المحايد لقيادة هذا المجمع .

---

27. J.M.A. Salles - Dabadie. 103 - 105.

الفصل الثامن

الجلسة الأولى

بالرغم من الاعتراضات والاحتجاجات التى قدمها الـ ٦٨ أسقفا ، والكونت كانديديانوس ممثل الامبراطور ، وبالرغم من عدم حضور بعض الوفود الاخرى ، بدأ مجمع أفسس الذى يعتبر المجمع المسكونى الثالث ، أعماله فى يوم الاثنين الموافق ٢٢ يونيو (حزيران) ٤٣١ . وقد سبق أن أشرنا بأن الكونت كانديديانوس قد ذهب إلى كنيسة مريم التى عقد فيها هذا المجمع وحاول أن يشرح للمجتمعين بأن مجمعهم مخالف لارادة الإمبراطور الذى يريد بأن تكون كل الاحزاب موجودة وممثلة فيه . ولكنهم لم يسمعوا له ، بل تطور الأمر ، لدرجة أنهم طردوه طردا من الاجتماع ، بعد أن تلى عليهم خطاب الامبراطور . وبعد هذه الحادثة ، بدأت الجلسة الأولى لهذا المجمع .

رأس القديس كيرلس المجمع . وقد تضاربت الآراء فى عدد الذين حضروا أول جلسة ، فإن كل من نيكسرونت ص ٤٧ وهوارد ص ٣٩ وكاميلو ص ٥١ ودكتور اسد رستم ص ٣١٦ وامان ص ١١٢ وباردى ص ١٨٠* يعتقدون بأن الذين حضروا افتتاح الجلسة الاولى يتراوح عددهم بين ١٥٠ إلى ١٨٠ أسقفا ومندوبا .

ولقد أبلغ نسطوريوس وبقية الأعضاء مساء يوم ٢١ يونيو بافتتاح المجمع فى يوم ٢٢ يونيو (حزيران) ولم يحضر نسطوريوس إلى مكان الاجتماع . وحيث أن القوانين الكنسية* تحتم على المتهم بأن يحضر شخصيا لكى يدافع عن نفسه ، فقد أرسل المجمع وفدا

★ يقول هيفيله أن .... القانون ٧٤ من قوانين الرسل تنص على وجود دعوة الاسقف الغائب ثلاث مرات للحضور للدفاع عن نفسه قبل أن يصدر المجمع حكمه ضده (مجموعة الشرع الكنسى ..... ٣٢٢) .

★ ان نسطوريوس عرّب الذين أرسلوا إليه بأنه لن يحضر الى المجمع قبل ان تصل الوفود الاخرى .

إلى نسطوريوس ثلاث مرات . ولكن الوفد لم يستطع الوصول إليه لانه قد أمر الجنود الذين كانوا يقومون بحراسة منزله بعدم السماح لهم بالدخول لمقابلته[1]* وقد اقترح الأسقف جيوفنال الأورشليمى بان يبدأ المجمع فى محاكمة نسطوريوس غيابيا . وبعد أن قبل المجمع اقتراح محاكمة نسطوريوس غيابيا . تقدم جيوفنال باقتراح ثان ، وهو قراءة قانون إيمان نيقية الذى وافق على نصه الـ ٣١٨ أب الذين إجتمعوا فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥ . ولقد طُلِب من آباء مجمع أفسس التكرم بمقارنة تعاليم آباء مجمع نيقية بالتعاليم التى يجب الحكم عليها[2] وبعد أن تُلى قانون الايمان النيقوى ، طلب الكاهن المصرى والسكرتير الأول للمجمع قراءة الخطاب العقائدى الثانى الذى أرسله القديس كيرلس إلى نسطوريوس[3] وتلى هذا الخطاب . وهنا ولاول مرة يطلب كيرلس الإذن بالكلام[4] فقال هذا هو ما قد كتبته للجزيل التقوى نسطوريوس مستهدفا من ذلك الدفاع عن التعليم المستقيم وإننى أعتقد بانى لم أحد عنه ..... ولذلك ألتمس من قداستكم ابداء ارائكم فيما سمعتموه الآن . هل يتفق وتعاليم نيقية أم ينافيها ؟ وهنا إندفع حالا جيوفنال الاورشليمى قائلا بأن خطاب كيرلس يتفق مع تعاليم آباء مجمع نيقية ولا غبار عليه . وتلاه بعد ذلك ١٢٥ أسقفاً بالموافقة على ارثوذكسية خطاب كيرلس[5] وبعد ذلك طلب أسقف أماسيه بأن تقرأ أيضا رسالة نسطوريوس حتى يستطيع المجمع أن يحكم بموافقتها أو عدم موافقتها لتعاليم مجمع نيقية . وقرئت الرسالة . وبعد قراءتها قال كيرلس رئيس أساقفة الاسكندرية ورئيس المجمع ، ما هو رأى قداستكم فى هذه الرسالة التى قُرئت الآن ؟ هل تتفق هى أيضا فى تعاليمها ومجمع نيقية ؟

إن البعض يعتقد بأن كثيرين من الذين كانوا فى المجمع صرخوا مطالبين بحرمان نسطوريوس بعد سماع رسالته* لكننا نكون غير منصفين إذا قلنا بأن المجمع صرخ بالحكم على نسطوريوس بعد سماع خطابه دون مناقشة هذا الخطاب . فعلى ما يبدو فإن المجمع ناقش هذه الرسالة ؛ وأنه لم يحكم عليها بدون مناقشتها . ولكن السؤال المهم هو : كيف

---

1. Camelot. Eph ..... 51, Iris, Habib el. Masri 199, Bardy 181, Amann D.T.C. 112,

دكتور اسد رستم الجزء الاول ، ص ٣١٧ .

2. .... Camelot. 51.

★ أنظر هذا المجلد من ص ٥٩١ – ٥٩٤ توجد ترجمة عربية لهذا الخطاب وكذلك ايضاً فى مجموعة الشرع الكنسى ص ٢٩٥ – ٢٩٧

4. Camelot Eph... 51.

5. ..... 52, Bardy 181, Amann D.T.C. 112

مجموعة الشرع الكنسى ٢٩٨

★ انظـــر Camelot Eph ..... 52, Bardy 181.

نوقشت الرسالة ؟ ومن هم الذين ناقشوها ؟ وهل نوقشت رسائل أخرى لنسطوريوس ؟ مثلاً عظته التى ألقاها فى يوم ٧ ديسمبر (كانون الأول) ٤٣٠ والتى شرح فيها مفهومه لعبارة أم الله ثم عقيدته فى اتحاد الطبيعتين ؟ هذه هى الاسئلة التى كان على مجمع أفسس أن يتعرض لها ويناقشها أيضا . وبعد مناقشتها بطريقة جدّية وحيادية وعادلة كان على المجمع أن يصدر حكمه . ولكن للأسف الشديد فإن المجمع لم يناقش ، لابل لم يذكر قط عظة نسطوريوس التى ألقاها بعد وصول الوفد المصرى إلى القسطنطينية وهى العظة التى تكلم فيها عن حقيقة اللاهوت والناسوت فى المسيح ، وعن أمومة مريم لله — الانسان . إن النقاش الذى دار فى المجمع كان حول الرسالة التى أرسلها نسطوريوس لكيرلس وبعد مناقشتها ، صرخ الآباء المجتمعون فى هذا المجمع قائلين ليكن محروما كل من لا يحرم نسطوريوس ، إن الايمان القويم يحرمه ، وأن المجمع المقدس يحرمه أيضا ، وليكن محروما كل من يشترك معه ، إننا نحرم رسائله ونحرمه أيضا لأنه مبتدع .... (مجموعة الشرح الكنسى :.... ٢٩٨)(٦) .

كان الصياح عاليا والأصوات مزعجة مقلقة ، لدرجة أن بيلاديوس الأماسى ، الذى طلب قراءة هذه الرسالة ، سدّ أذنيه واضطربت أعصابه ولم يستطع أن ينبس ببنت شفة بعد ذلك(٧) .

وبعد هدوء الجو وانخفاض الأصوات نسبيا ، تقدم جيوفنال (يوفناليوس) ملتمسا من المجمع بأن يستمع أيضا إلى رسالة كيليستينوس بابا روما . وعلى ما يبدو فإن الكاهن بطرس المصرى والسكرتير الأول للمجمع ، إنتهز هذه الفرصة لكى يعلن هو أيضا أن لديه خطاباً آخر من قداسة رئيس أساقفة الاسكندرية ، إذا سمح له المجتمع بتلاوته .

والدارس يتذكر أن الخطاب الأول هو الخطاب الذى ارسله كيليستينوس بلهجة عنيفة قاسية ضد نسطوريوس وتعاليمه . وأما الخطاب الثانى الذى أشار اليه بطرس ، هو الخطاب الثالث الذى أرسله القديس كيرلس إلى نسطوريوس والذى كان يحتوى على تعاليم عقائدية ثم على الإثنى عشر حرمانا والذى حمله مرسلو كيرلس إلى نسطوريوس فى الاسكندرية . ومن الغريب أن هؤلاء الذين حملوا هذه الرسالة والحرمانات إلى القسطنطينية لم يذكروا شيئاً عن العظة التى ألقاها* نسطوريوس فى يوم ٧ ديسمبر (كانون الأول) ٤٣٠ والتى

6. Camelot .... 52, Amann D.T.C. 113, Bardy 181.

7. A.C.O. 1,1,1,29 - 32, PG. 77, 49 - 57, Camelot .... 52.

* إننا لا نصف الذين ذهبوا الى القسطنطنية بعدم الامانة . ولكن يمكن ان يُلاموا بالاهمال . لانه يبدو انهم لم يذهبوا الى الكنيسة لكى يسمعوا عظة نسطوريوس فى يوم ١٢٠٧ . فأن نسطوريوس قدم فى هذه العظة ردا ايجابيا على مطالب روما .

يقدم فيها شرحا لتعاليمه العقائدية والمريمية ، والتى لو شُرحت بطريقة عادلة منصفة وأمينة كان يمكن ان تغير كثيرا من الموقف . إن الخطابين (خطاب كيليستينوس وخطاب كيرلس والحرمانات الـ ١٢) قد أُرفقا بأعمال المجمع دون التصويت عليهما .

بعض الشهادات ضد تعاليم نسطوريوس

إستمع المجمع بعد ذلك إلى بعض الأشخاص الذين قدموا شهادات سمعوها من نسطوريوس أو عن نسطوريوس وتحتوى على بعض التجاديف . فإن ثيودوتيوس (Theodote) القورشى وأكاسيوس الميليتونيسى (Acace Mélitene) شهدا أمام المجمع قائلين ، بأن نسطوريوس قد قال لهما فى إحدى المحادثات « بأنه لا يستطيع أن يدعو الله طفلا أو جنينا لم يتجاوز شهرين أو ثلاثة شهور بعد .... » وشهد آخر قال ، بأن نسطوريوس ينكر بأن الله رضع لبناً ، أو وُلِدَ ، أو تألم أو مات .... (Ac.0 .T. 1, Vol 1,P. 38 Amann Rev.... 259) . ولقد سبق وشرحنا ما هو مفهوم نسطوريوس لهذه العبارات .

وبعد سماع هؤلاء الشهود قدم السكرتير المصرى ملفاً للأوراق أعدته الاسكندرية يحوى إقتباسات عديدة من أقوال الآباء من الشرق ومن العرب ، ثم إقتباسات من أقوال نسطوريوس ومقارنتها بتعاليم الآباء الذين اقتبسهم . وبعد هذه القراءات الطويلة التى استمع اليها المجمع ، وبدون أى مناقشات أخرى رأى المجمع أن يصدر حكمه الآتى على نسطوريوس .

« إن سيدنا يسوع المسيح الذى جدّف عليه نسطوريوس يعلن بفم مجمعه المقدس تجريده (نسطوريوس) من الكرامة الأسقفية ، ومن درجة الكهنوت » ووقع على هذا الحكم ١٩٧ أسقفاً[٨] .

وفى نهاية هذا اليوم الطويل المرهق الشاق ، جلس كيرلس ، لكى يكتب إلى الشعب فى الاسكندرية رسالة يعبر فيها عن النصر الذى حصل عليه ، ويقول فيها : « كنا حوالى مئتى أسقف وكانت المدينة كلها تنتظر من الصباح إلى المساء حكم السنودس المقدس وعندما وصلت أخبار حكم المجمع على هذا البائس إلى مسامع الشعب ، تعالت هتافاتهم مهنئة المجمع المقدس وممجدة الله على سقوط عدو الإيمان . وعند خروجنا من الكنيسة (كنيسة مريم) جاءت الجماهير لاستقبالنا واصطحبتنا إلى منازلنا بمشاعل مضيئة ، وأما النساء فقد حملن مباخر فاحت منها روائح طيبة عبقة عطرة .... »[٩] .

---

8. E. Gerland et V. Laurent; Les listes conciliaires, P. 36 et 51, Amann D.T.C. 114, Bardy 182.
9. Bardy 182, Iris Ḥ. el Marsi 200.

وفى نفس الليلة أو فى صباح ٢٣ يونيو أرسل المجمع الرسالة الآتية الى نسطوريوس :
« إلى نسطوريوس يهوذا الجديد فليكن معلوماً لك بأنه ، بسبب عظاتك التجديفية وبسبب عدم طاعتك للقوانين الكنسية ، قرر المجمع المقدس الذى إجتمع فى يوم ٢٢ يونيو شلحك ..... وليس لك أى نصيب (مكان) فى الكنيسة[10] ولقد كتب المجمع خطابا بهذا المعنى إلى كل من كنيسة القسطنطينية والاسكندرية وإلى الامبراطور . أما نسطوريوس فقد احتج على هذا الحكم لأنه لا يتفق والقانون[11] .

تساءل الكثيرون إزاء هذا المجمع قائلين : هل كان بامكان مجمع أفسس بعد أن استمع إلى القراءات الطويلة ، والاقتباسات العديدة من أقوال الآباء وغيرها من الرسائل المختلفة المتنوعة أن يناقش بطريقة جدّية ، وأن يفحص بطريقة دقيقة وحيادية ، قضية معقدة ، مثل قضية نسطوريوس فى يوم واحد ؟ !!! وهل استطاع العدد القليل جدا جدا من أنصار نسطوريوس الذين حضروا هذا المجمع ، أن يعبروا بصراحة وبحرية عن آرائهم ؟ وهل إستطاع هذا المجمع أن يحل المشكلة التى من أجلها اجتمع ، وهى إرجاع السلام إلى الكنيسة ؟ !!!!

10. A.C.O. 1, 4, p.33 G. T. IV LXXX, Col, 596 - 597, Amann D.T.C. 114, Al-Manur-V-Z N. 7 Beirut. 28th of teshreen Al-Hwal PP. 100 - 101, Bardy 182 - 83, Iris H. El-Marsi 200 - 201.

11. L. Ducheshe Hist... Ahc... de l'eglise. t.. III P. 352.

الفصـــل التاســـع

مجمع الشرقيين (الأنطاكيين) فى أفسس

فى حقيقة الأمر لم يستطع المجمع الذى كان يرأسه كيرلس أن يحل مشكلة السلام التى كانت تهدد الكنيسة وتقودها إلى الانقسام . فإن نسطوريوس لم يقبل هذا القرار الذى أصدره المجمع ، بل إحتج عليه بشدة ، وكذلك الكونت كانديديانوس الذى رفع التماسا إلى الإمبراطور يرجوه فيه بأن يلغى قرارات هذا المجمع المتحيز لكيرلس والمضاد لنسطوريوس[1] ورفعت هذه الاحتجاجات إلى الامبراطور . وفى انتظار القرار الامبراطورى وصل وفد يوحنا الأنطاكى إلى أفسس .

ماذا كان موقف الوفد الأنطاكى من مجمع أفسس الذى كان يرأسه القديس كيرلس ؟ هل يقبل قراراته أم يرفضها ؟ وهل يحاول مناقشتها بروح المحبة ، وإدخال بعض التعديلات عليها ؟

إن أخبار مجمع يوم ٢٢ يونيو (حزيران) وحرمان نسطوريوس وصلت إلى مسامع الوفد الأنطاكى قبل أن يصل مدينة أفسس (Bardy 183) ويحتمل أن يوحنا ووفده وصلا بين يوم ٢٤ - ٢٦ يونيو (حزيران) ولقد تضاربت الآراء حول مشكلة استقبال يوحنا والوفد الأنطاكى فى مدينة أفسس فالذين يؤيدون مجمع كيرلس يعتقدون بأن الكونت كانديديانوس أرسل بعض الجنود لاستقبال يوحنا ، كما لو كان يريد إكرامه والترحيب به لكن يعتقد البعض انه أراد أن يمنع الوفد الكيرلسى من الاتصال بوفد الشرقيين ؛ لابل إنه أرغم هذا الوفد على الانتظار أمام باب يوحنا الأنطاكى لمدة ساعتين أو اكثر قبل أن يسمح له بمقابلة يوحنا لعدة دقائق . على أن البعض الآخر ، إعتقد بأن الاستقبال الذى أُستقبل به يوحنا ووفده كان استقبالاً سيئاً إذ أنه وجد مدينة أفسس

1. P.G.T. LXXX, Col 593 - 597 Aco. Synod,. n 83 (8) 86 (11) 86 a

ثائرة هائجة . ولكنها سعيدة بهذا الحكم الذى أصدره المجمع ضد عدو الايمان وعدو مريم (Amann DTC. 115) .

على أى حال ، عندما وصل الوفد الانطاكى وجد المدينة مضطربة قلقة ، فتقابل حالا ، مع الكونت كانديديانوس ونسطوريوس والأساقفة الذين لم يشتركوا فى أعمال مجمع كيرلس . وقص له ممثل الامبراطور كل ما حدث فى المجمع ومعارضته لأحكامه وقراراته ، وكيف أنه رفع شكوى إلى الامبراطور طالبا فيها الغاء قرارات مجمع كيرلس . وبعد أن استمع يوحنا ووفده إلى أقوال الممثل الامبراطورى ، استمعوا إلى شكوى الأساقفة الذين لم ينضموا إلى مجمع كيرلس . شارحين كيف أن كيرلس ومجمعه ، وخاصة ممنون ومدينة أفسس عاملوهم معاملة قاسية ، إذ أغلقوا الكنائس فى وجوههم ، لابل اعتبروهم كما لو كانوا محرومين قبل أن يصدر أى حكم عليهم .

وهنا يثور يوحنا الانطاكى ثورة عارمة ، ويأمر بأن يجتمع أساقفة أنطاكية كمجمع فى نفس المنزل الذى نزلوا فيه . وبعد جلسة قصيرة قرر هذا المجمع الثانى الذى كان يرأسه يوحنا أن المجمع المقدس الذى التأم فى أفسس بنعمة الله وبأمر الامبراطور ، خلع كيرلس رئيس أساقفة الاسكندرية وممنون أسقف أفسس ومنعهما عن ممارسة الخدمة الكهنوتية . « يجب أن تعلم يا كيرلس ، وأنت يا ممنون بهذا القرار . وأما أنتم الآخرون الذين وافقتموهما فتقطعون من الشركة إلى أن تعترفوا بغلطكم وتصلحوا أموركم ، وتقبلوا من جديد الإيمان النيقوى[٢] .

ولقد ذكر هذا المجمع الأسباب التى من أجلها قطع هؤلاء الأساقفة ، وخاصة كيرلس وممنون وهى :

١ - ان المجمع الكيرلسى تعدى وصية الامبراطور عندما بدأ أعماله قبل وصول الوفود الأخرى .

٢ - إتهم الانطاكيون كيرلس بهرطقة الأريوسية والأبولوناريوسية والأقنومية .

٣ - عمل ممنون على إثارة شعب أفسس ضد نسطوريوس لتحويل الانظار عن الهرطقة الحقيقية ، وهى السقوط فى التعاليم الأبولوناريوسية والأريوسية .

ولقد وقع على هذا القرار ٥٣ أسقفا[٣] . وحالا كتب مجمع يوحنا مكتوبا بذلك إلى

2. Mansi IV Col. 1260 - 1278, Amann Rev. 260 - 262 D.T.T. 115 - 116.

مجموعة الشرع الكنسى ..... ٣٣٦ ، د. اسد رستم ٣١٧ .

3. Bardy 183, J.M.A. Salles - Dabadie. 102 - 106, Iris H. El-Masri 200 - 201, Amann Rev. 260 - 262, D.T.C. 114 - 116.

الامبراطور والامبراطورة بولخارى وإلى المجلس الأعلى ثم لإكليروس وشعب القسطنطينية(٤) .

شهدت مدينة أفسس مسرحية محزنه مؤلمة ، شهدت مجمعين يحرم أحدهما الآخر . كان من المنتظر أن يتقابل الأسقف يوحنا مع رئيس أساقفة الاسكندرية كيرلس حال وصوله إلى هذه المدينة وأن يصغي اليه وأن يسمع من فمه أولا حكم المجمع وأن يدرسا معا حلا يقود إلى السلام ولكن للأسف الشديد كان الاسقف يوحنا متسرعا عندما دفع وفده لحرم القديس كيرلس واتباعه دون أن يتقابل مع هؤلاء لدراسة الخلافات التى فرقت بينهما .

تكونت فى أفسس جماعتان من الأساقفة التفت كل منهما حول رئيس أو قائد ، فهناك كيرلس وممنون وجيوفنال وجماعتهم التى تبلغ حوالى ٢٠٠ أسقفا وكاهنا من ناحية ؛ ثم يوحنا ونسطوريوس وبعض أتباعهما من ناحية أخرى . ولقد تراشقت الجماعتان الحرمانات كالحجارة . لا بل تطورت الأمور وتطرف البعض من الحزبين فتراشقوا بالحجارة فعلا بل واستخدموا العصى (Camelot. 55) وظل هذان الفريقان مقيمين فى مدينة أفسس . وقد سبق أن أشرنا أن مجمع كيرلس قدم تقريراً إلى الامبراطور يوم ٢٣ يونيو ، كما أن الكونت كانديديانوس قدم أيضا فى نفس اليوم الذى اجتمع فيه هذا المجمع إحتجاجا على عدم قانونية اجتماع مجمع كيرلس وأتباعه . وصلت هذه الاخبار والاحتجاجات الخاصة بمجمع كيرلس إلى الامبراطور ، وحالا أصدر أمرا يلغى به كل القرارات والاجراءات التى قررها المجمع الكيرلسى فى يوم ٢٢ يونيو (حزيران) كما أنه أمر أيضا بان يجتمع المجمع عندما يحضر كل الأساقفة إلى أفسس لدراسة هذه المشاكل من جديد . كذلك أمر بمنع جميع الاساقفة من مغادرة المدينة سواء للذهاب إلى البلاط الامبراطورى ، أو الرجوع إلى أبروشياتهم (Amann. D.T.C. 115, R 260) وقد أعلن لهم وصول نائب جديد عن الامبراطور ، للعمل على إحترام النظام ، وهو الكونت يوحنا كومس رئيس الخزانة(٥) .

كتب الامبراطور هذا الأمر فى يوم ٢٩ يونيو (حزيران) قبل أن يعرف أخبار وصول يوحنا الأنطاكى إلى أفسس وعقده لمجمع بان وحرمه لمجمع كيرلس . على أن هذا الأمر الامبراطورى لم يصل إلى مدينة أفسس إلا فى يوم ٦ أو ٧ يوليو (تموز) .

---

4. Camelot 54 - 55, Bardy 184.

دكتور اسد رستم ٣١٧

5. Mansi T. IV. Col. 1277 - 1280, Nestorius. Le livre d'héraclide 1, Bardy 184, Vaticana. n. 83, A.C.O.T. Vol., 1, P.9

وصـــول الوفد الرومانى

الجلســـة الثانيـــة

فى هذا الجو المضطرب ، وصل الوفد الرومانى فى اوائل شهر يوليو (تموز) وعندئذ دعى القديس كيرلس المجمع للانعقاد فى يوم ١٠ يوليو (تموز) فى بيت الأسقف ممنون . وكان الأمر الذى تسلمه من البابا كل من ممثلى روما وهم الاسقف اركاديوس والأسقف بروجكتوس والكاهن فيليب هو الوقوف بجانب كيرلس وتأييده ، فجاء كل الاساقفة الذين حضروا الجلسة الاولى لحضور هذه الجلسة (Mansi.T.IV. Cd 1280 - 1292) وعندئذ طلب الوفد الرومانى بأن يقرأ خطاب البابا على المجمع ، فتلى الخطاب باللاتينية أولا ثم باليونانية وقام بالقراءة رئيس أمناء السر : الكاهن بطرس المصرى . وبعد إنتهاء قراءة خطاب كيليسينيوس صرخ المجتمعون قائلين : كيليسينيوس حارس الايمان ، وكيرلس حارس الايمان ، أن كليهما يعلمان نفس التعليم ، إنهما بولس الجديد وبطرس الجديد : متفقان فى الرأى وفى التعليم (Camelot. Eph... 55 مجموعة الشرع .... ٣٢٧) وبعد أن إطلع الوفد الرومانى على أعمال المجمع فى جلسته الاولى تقدم الكاهن فيليب (Guéttеé 7, .P. 325 - 330) وشكر المجمع على وحدة الايمان ثم أشار إلى خطاب البابا الذى يشرح فيه أن مهمة المجمع الحالى هنا هى أن ينفذ الحكم الذى صدر قبل ذلك فى روما . ثم أضاف قائلا أن الاعضاء متحدة ومرتبطة بالرأس ، وقداستكم لا يجهل بأن رأس الايمان ورأس الرسل هو المطوب القديس بطرس (Amann. 262 Bardy 184 - 5) ومن الملاحظ هنا بأن الكاهن فيليب ينبر بشدة على سلطة روما وسياستها . وبعد ذلك رُفعت الجلسة .

الجلســـة الثالثة

وفى يوم ١١ يوليو (تموز) واصل المجمع أعماله بتقديم ملخص* للوفد الرومانى لما حدث فى اجتماع يوم ٢٢ يونيو (حزيران) وبعد أن إستمع الوفد للتقرير الموجز عن احداث اليوم الطويل . قام الكاهن فيليب وألقى كلمة يشكر فيها المجمع ويؤيد من جديد نظرية سلطان بابا روما وأولويته ، وانه رأس الكنيسة وعلى الاعضاء ان تخضع له كرأس ... ورد على هذه الكلمة القديس كيرلس بكلمة شكر أيضا وانتهز هذه الفرصة

* يعتقد بعض العلماء بان الموجز الذى قدم للوفد الرومانى فى يوم ١١ يوليو (تموز) لم يشر لا من قريب أو من بعيد إلى احتجاجات ال ٦٨ اسقفا ولا إلى احتجاجات كانديديانوس . والخطاب الذى ارسله مجمع أفسس الى رومه لم يذكر هو ايضاً هذين الحادثين .

لكى يّبين أن الكنيسة فى الشرق وفى الغرب اتحدت فى الحكم على نسطوريوس وهرطقته[٦] وبعد ذلك وقع على سجل أعمال المجمع الوفد الثلاثى الرومانى .

جلسات يومى ١٦ ، ١٧ يوليو (تموز) وانفضاض المجمع

اعتقد البعض (Bardy 185) بأن كيرلس أراد الاستفادة من تأييد روما فى هذا المجمع ، فلم يكتف بالحكم على نسطوريوس فقط بل ذهب أبعد من ذلك أى حرم يوحنا الأنطاكى ووفده أيضا ولذلك فقد إتبع نفس الطريقة التى إتبعها مع نسطوريوس فأرسل إلى يوحنا وفداً مرة ومرتين وثلاث مرات ولم يحضر ؛ وعندئذ حكم المجمع بحرمه وحرم الذين بقوا معه أى الـ ٣٤ أسقفا[٧] كما أن هذا المجمع إنتهز أيضا الفرصة فحكم بحرم تعاليم نسطوريوس وتعاليم البلاجى كيليستيوس (Celestius) وبعد هذه الحرمانات كلها كتب المجمع من جديد رسالة للامبراطور يعرفه فيها بالحكم على يوحنا والشرقيين ولقد أرسل خطابا طويلا إلى البابا*[٨] .

إجتمع المجمع مرة أخرى فى يوم ٢٢ يوليو (تموز) للنظر فى قضية أخرى ، خاصة بانتشار قانون ايمان فى فيلادلفيا[٩] .

لقد وعد الامبراطور فى خطابه المؤرخ بتاريخ ٢٩ يونيو*(حزيران) المرسل إلى المجمع الكيرلسى بإيفاد ممثل جديد ينوب عنه ويساعد الكونت كانديديانوس حتى تسير الأمور بطريقة منظمة وقانونية . ووصل هذا النائب الامبراطورى وهو الكونت يوحنا كومس (Comes) وزير الخزانة فى أوائل شهر أغسطس حاملا معه قراراً امبراطوريا آخر ، ويمكننا أن نفهم من هذا القرار الامبراطورى الأمور الآتية :

١ – تعديل أمر القطع أو الخلع الذى نطق به المجمعان . فإن مجمع كيرلس حكم بحرم

---

6. Camelot 55 - 57, Bardy 185.
مجموعة الشرع الكنسى .... ٣٢٩ – ٣٣٠ .

7. A. Alés. Le dogme d'Ephese 167 - 170, Bardy 184 - 185.

* إن هذا الخطاب وصل إلى أفسس حوالى يوم ٦ أو ٧ يوليو (تموز) ويأمر بالغاء قرارات مجمع كيرلس ويأمر الاساقفة بالبقاء حتى تكمل الوفود . واما الكونت يوحنا كومس فلم يصل إلى افسس إلا فى اوائل شهر أغسطس وكان يحمل رسالة أخرى .

٨ – مجموعة الشرع الكنسى ٣٢٩ – ٣٣٠ ، د. اسد رستم ٣١٧ ،
Bardy 185 - 6, Camelot 57, Amann Rev. Rel.. 260 - 263.

* إن الخطاب الذى أرسل للبابا لم يذكر شيئاً عن حرمانات كيرلس
دكتور اسد رستم ٣١٨ .

نسطوريوس ويوحنا وآخرين . وان مجمع يوحنا حكم هو أيضا بحرم كيرلس وممنون وآخرين ، أما الفرمان الامبراطورى الذى حمله يوحنا كومس فكان يأمر بخلع نسطوريوس (G.M.A. Solles - Dabadie 105 - 107) وكيرلس وممنون .

٢ – رجوع الاساقفة حالا إلى اوطانهم بسلام .

٣ – رفض القرارات التى لا تتفق ومجمع نيقية .

عندما وصل يوحنا كومس طلب بأن يجتمع المجمعان المنفصلان فى مجمع واحد لكى يطلعهما على قرارات الامبراطور ، وعلى ما يبدو فإن بعض الأعضاء من المجمعين بدأوا فى تبادل الشتائم وبعض العبارات القاسية التى تشمئز لها النفس ؛ لا بل إن بعض الباحثين يؤكد بأن رسول الامبراطور كان مضطراً أن يأمر بأخراج نسطوريوس وكيرلس من الاجتماع حتى يستطيع مواصلة قراءة الخطاب الامبراطورى(١٠)* وبعد نهاية قراءة هذا الخطاب إنقسم المجمع من جديد إلى حزبين ، فإن أتباع نسطوريوس رآوا فى هذا القرار الامبراطورى الذى يحتم التمسك بقانون الإيمان النيقوى فقط ، فرصة للتخلص من حرمانات كيرلس وهى العقبة الأولى بالنسبة لهم . أما حزب كيرلس فقد صدم صدمة عنيفة . لأنه رأى فى هذا القرار حكما قاسيا ومتعسفاً ، ليس فقط على رئيس أساقفة الاسكندرية وأسقف أفسس فحسب بل أن هذا الحكم يشمل أيضا كل المسيحية فى الغرب : روما ، وأفريقيا (Bardy 187) .

كان هذا الأمر الامبراطورى سهلا فى كتابته وقراءته ، ولكنه لم يكن سهلا فى تنفيذه . وبناء على ذلك لم يستطع الكونت يوحنا كومس أن يحصل على موافقة الحزبين على القرار الامبراطورى . ولذلك فقد إضطر أن يأمر بالقبض على نسطوريوس وكيرلس وممنون ووضعهم فى حجز تحت المراقبة* .

ومما لا شك فيه فإن الامبراطور لم يكن عادلا فى حكمه . على أى حال فإن المجمع الكيرلسى لم يقبل هذا الحكم وعمل جاهداً على التخلص من قراراته ولكن كيف ؟ لقد

9. Camelot 57,

10. Bardy 187, Amann D.T.C. 117.

★ إن نسطوريوس يقص لنا بالتفصيل ما حدث فى اجتماع يوحنا كومس عند اجتماع المجمعين معاً ، فى كتابه Le livre d'héraclide 246 - 249.

★ ظل كل واحد من هؤلاء الثلاثة فى حجز تحت المراقبة فى المكان الذى كان مقيما فيه : فان ممنون أسقف افسس كان تحت المراقبة فى قصر الأسقفية

Camelot 58, Amann. 117.

إستعمل كيرلس وبعض الآباء الذين وقفوا بجانبه عدة طرق للتخلص من هذا القرار الامبراطورى ، كان كيرلس على علم بأن بعض الأساقفة وعدداً من الكهنة وبعض المتقدمين فى القسطنطينية على خلاف مع نسطوريوس ، لا بل أن بعضهم كتب إلى مجمع أفسس الكيرلسى مظهراً تأييده ومساندته لكيرلس . وقد انتهز كيرلس هذا الموقف وكتب إلى هؤلاء طالبا منهم التدخل فى هذا الأمر لدى الامبراطور (Bardy 188 Mansi .T. IV. Col., 1452 - 1453) .

وقد استخدم كيرلس وسيلة أخرى للخروج من هذا المأزق وهو الالتجاء إلى الرهبان . وقد استخدم هذه الطريقة قبله القديس أثناسيوس الرسولى . وكما يقول باردى فإن الرهبان فى مصر وفى القسطنطينية احتلوا مكانة مرموقة وممتازة وكان لهم تأثير قوى فعَّال . وفى ذلك الوقت كان يوجد راهب اشتهر بالتقوى والزهد فى العالم ، ولم يبرح الدير الذى كان مقيما فيه منذ ٤٨ سنة ، وكان الشعب يذهب اليه لسماع نصائحه والصلاة معه . بل أن الامبراطور نفسه جاء عدة مرات لزيارته : وهو الراهب دالماتوس (Dalmatus) وكان هذا الراهب لا يتفق فى شيء مع نسطوريوس . فكانا على خلاف معا . وهنا يكتب القديس كيرلس رسالة شارحا فيها الموقف وما ينتظره منه . ولقد أرسل هذه الرسالة داخل عصى[11] كان يمسك بها حاملها وهو واحد من آباء المجمع ، وقد إرتدى ثياب شحاذ* وعندما وصلت هذه الرسالة إلى الراهب دالماتوس خرج كل الرهبان من الدير عن بكرة أبيهم وتبعهم جمهور غفير بلا حصر وانطلقوا جميعا إلى القصر الامبراطورى . وإستقبل الامبراطور هذا الراهب الموقر . كان لهذه المظاهرة تأثير كبير على الامبراطور وأضطرته أن يغير سياسته نوعا ما تجاه القديس كيرلس .

وهناك وسيلة أخرى قد أستعملت للتخلص من هذه القرارات الامبراطورية : وهى أن عدداً لا بأس به من المؤيدين لمجمع كيرلس قد حاول إقناع الكونت يوحنا كومس بأن نسطوريوس شخص غير مرغوب فيه فى القسطنطينية ومن المفضل التخلص منه وإبعاده عن هذه المدينة .

اعتقد أعداء القديس كيرلس وبعض المحايدين ايضا ، أن رئيس أساقفة الاسكندرية قد إستخدم وسيلة أخرى لكى يخرج من هذا المأزق : وهى إستخدامه للهدايا التى لا تحصى ولا تعد ، والمال الذى كان يتدفق تدفقا على كل من كان فى إمكانه التأثير من قريب أو من

---

11. Iris H. El-Masri 204.

* انظر تفاصيل هذه القصة فى كتاب نسطوريوس .

Héraclide 241 - 246, Amann 117.

بعيد على الامبراطور لكى يغير هذا القرار الامبراطورى . ومن المحتمل أن أعداء كيرلس قد بالغوا فى وصفهم لهذا الأمر الذى تثبته الوقائع التاريخية* .

ويبدو انه بفضل هذه المساعى والتدخلات التى ذكرناها ، ولاسباب أخرى أيضا ، قرر الامبراطور دعوة بعض الممثلين من الطرفين المتنازعين لكى يناقش معهم هو شخصيا هذه المشكلة فى مدينة خلقدونية . وقد إختار فعلا ثمانية أشخاص من المع وأعظم المعلمين والقادة ؛ امثال فيليب من روما ، جيوفنال من أورشليم ، فلافيانوس وآخرين لكى يمثلوا الحزب الكيرلسى . ثم يوحنا الأنطاكى ، وثيودوريطوس القورشى وآخرين أيضا لكى يمثلوا الحزب الانطاكى .

بدأت المناقشات مع الامبراطور فى يوم ١١ سبتمبر ؛ (ايلول) وكانت مناقشات طويلة مملة ، يعوزها الوضوح والدقة والتحديد . وقد تمسك أتباع كيرلس بالحرمانات التى نطق بها رئيس أساقفة الاسكندرية ، لانها أصبحت الحجر الاساسى الذى ضايق الانطاكيين . فلم يعد موضوع اهتمامهم الاول نسطوريوس وصاروا لا يدافعون عنه بنفس الحماس الذى كانوا يظهرونه سابقا ، لان المشكلة العظمى التى أصبحت تشغل بالهم هى هذه الحرمانات التى نطق بها كيرلس والتى اشتموا منها هرطقة أبولوناريسيوسية . وتمسك كل طرف من الطرفين بوجهة نظره

لم يستطيع الامبراطور فى الجلسات الخمس التى حضر فيها مع المندوبين من الحزبين ، أن يصل إلى حل يرضى الجميع ؛ لا بل يمكن أن نقول ، بأنه لم يستطع أن يصل إلى أى حل . وعندئذ أمر الامبراطور بفض المجمع والسماح للاساقفة بالعودة إلى بلادهم[١٢] ثم كتب رسالة إلى الأساقفة الذين كانوا فى أفسس لكى يشرح لهم بأن مشكلة الوصول إلى الاتحاد والتوفيق بين الاعضاء ؛ مشكلة صعبة معقدة ويبدو بأنه من المستحيل حلها . ولكن فيما بعد عندما تهدأ النفوس يجب البحث فى هذا الامر من جديد . فلا داع الآن أن يبقى الأساقفة خارج أبروشياتهم ؛ بل ليرجعوا حالا إلى بلادهم ويعملوا على نشر السلام . ويستثنى من هذا القرار رئيس أساقفة الإسكندرية كيرلس وممنون أسقف أفسس إلى أن ينظر فى امرهما .

---

* إن ابيفانوس رئيس شمامسة القديس كيرلس يذكر فى خطاب له الهدايا التى وزُعت بمعرفة القديس كيرلس فى البلاط الامبراطورى فى القسطنطينية . بلغت تكاليف هذه الهدايا أكثر من مليون فرنك فرنسى .

Bardy 188, Amann D.T.C. 117.

Camelot 58 .

12. A.C.O., 1,4, p. 69, P.G.T. LXXXIV, Col., 626, Amann D.T.C. 117 - 118.

13. Bardy 188 - 200, Mansi T.V. Col., 798 - 799, Amann D.T.C. 118.

وقبل أن تصل هذه الرسالة إلى أفسس ، كان كيرلس قد غادر المدينة إذ أنه إستطاع الهروب ورجع إلى الاسكندرية وهناك استقبله الشعب المصرى استقبال الابطال المنتصرين الظافرين (Comelot . 59) فى يوم ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول) ٤٣١ . وأمام الامر الواقع ، كتب الامبراطور خطابا آخر ، يأمر فيه ممنون بالبقاء فى أفسس وبرجوع كيرلس إلى الاسكندرية دون أن يشير إلى خلعهما أو تنصيبهما من جديد فى مناصبهما ؛ كما أنه أظهر فى رسالته هذه روح التواطؤ لا بل الميل إلى جانب الانطاكيين وعدم الحكم عليهم .

وفى يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) دعا الامبراطور ممثلى البابا وممثلى كيرلس لكى يسيموا ماكسيميانوس (Maximien) رئيساً جديداً لاساقفة القسطنطينية . واما نسطوريوس فقد رجع إلى الدير فى أنطاكية ؛ وعلى ما يبدو فإنه قد أثار بعض الاضطرابات هناك فنفى إلى بترا ومنها نفى أيضا إلى الواحات الكبرى فى مصر ،[١٤] ويعتقد البعض بأنه عاش قبيل مجمع خلقدونية (٤٥١) واطلع على رسالة ليون بابا روما وشكر الله على أن هذه الكنيسة ظلت محتفظة بالايمان القويم الصحيح[١٥]

عندما انفض هذا المجمع ، أو بالمعنى الاصح المجمعان تركا خلفهما كنيسة ممزقة منقسمة . فهل بقيت الكنيسة ممزقة منقسمة على ذاتها ؟ كلا ، فإن الرب لن ينس كنيسته التى هى جسده والتى افتداها بموته على الصليب ، فانه بالرغم من ضعفها وعدم امانتها فأنه امين وعدم امانتنا لا يمكن أن تبطل أمانة الله . لذلك عمل الله فى قلوب هؤلاء الآباء أنفسهم ، وفى قلوب آخرين ، لكى يرجعوا إلى السلام والوحدة . فوجدنا يوحنا الأنطاكى يعانق كيرلس الاسكندرى ويقطعا معا معاهدة جديدة للسلام فى سنة ٤٣٣ وهذا ما سوف نتعرض لدراسته بالتفصيل فى المجلد الثالث إذا سمح لنا الرب بذلك .

---

14. Camelot Ephé.... 60, Bonifas 2. 115 - 116. Harnack. Précis ..... 212 - 214.

15. C. Bihlmeyer - H. Tuchle 351 Camelot. 60

بعض المراجع الخاصة بالصراع النسطورى وتعاليم نسطوريوس ومجمع افسس وحرمانات كيرلس.

1. A. Ales. Le dogme d'Ephése.
2. E. Amann. L'affaire nestorius vue de Rome R.S.R. 23, (1949) 5 - 37, 207 - 244, 24 (1950) 28 - 52, 235 - 265; D.T.C. Tome 11 (1931) 76 - 157.
3. M. V. Anastos. Nestorius was Orthodox dop. 16 (1962).
4. G. Bardy. Hist. de l'eglise dépuis les origines jusqu'à nos jours 163 - 240.
5. M.G.R.P. Batiffole. (Ch. VI, VII, III)
6. J.F. Bethune - Baker. Nestorius and his teaching a fresh examination of the evidence. Cambridge. 1908.
7. C. Bihlmeyer - H. Tuchle. Hist. de L'eglise les Précis salvator. P. 349 - 353.
8. F. Bonifas hist. des dogmes..... Tome 2. 100 - 116.
9. G. Budé. Annonce de la condamnation de nestorius A.C.O. 1,1,2 70 n 69.
10. P. Th. Camelot. Ephèse et chalcédoine
11. N. Charlier Le thesaurus de trinitate de St. cyrille d'alex.... questoins de critique litteraire RHE 45, 1950 P.P. 25 - 81.
12. Chevetogne. Le concile et les conciles.
13. J. Danielou et Marron. Noul.... Hist. de l'eglise dés origines à Greg.... Le grand. 387 - 392.
14. R. Devresse. Les actes du conciles d'Ephèse dans rev. des sc. Phil et Theol. 18. 1929) 223 - 242, 408 - 431.
15. Dom. H.M. Diepen O.S.B. Douze dialogues de christologie Ancienne
16. Dom. H. M. Diepen, O.S.B. «L'assumptus homo à Chalcedoine» Rev. Thom 51 P.P. 573 - 608.
17. G.R. Driver and L. Hodgson. Nestorius, The bazaar of Heracleides (Ang... et Fran ... F. Nau. Nestorius Le livre d'heraclide de damas. Paris 1910.
18. Mgr. L. Duchesne. Hist.... Anc. de L'eglise T.3.
19. Evagre. Hist. Eccl..., 1, 2 - 7.
20 E. L. Fortin. A. A. Christianisme et culture philosophique au v^e siecle La querrelle de L'ame humaine en occident. Paris. 1959.
21. P. Galtier Nestorius Mal Compris, mal traduit. Greg. 34. (1953) 427 - 433.
22. P. Galtier. Le centenaire d'Ephèse Rome et le concile dans Rech de. sc. rel. 21 (1931) 169 - 199, 269 - 298.
23. A. Gesché «L'ame humaine de Jésus dans la christologie du IV siecle RHE 54. 1959. PP. 385 - 425.
24. A.E. Goodman An Examination of some nestorian Kephalaia (or. 1319).

25. A Grillmeier Le christ dans La tradition chretienne .... cerf. 475 - 546.

26. A. Harnack. Précis de L'hist., 207 - 214.

27. C. Hay. St. John Chrysostome and his integrity of the human nature of Christ. Franc. Stud. 19, 1959, PP. 290 - 317.

28. F. Hayward Les conciles oecuméniques 37 - 44.

29. Hefele Tome 2.

30. Iris Habib El-Masri. The story of Copts. Published by the Middle east Council of churches. p.p. 193 - 209.

31. MGR. G. Jouassard. «Un Problé me d'antropologie et de christologie chey st. cyrilly d'alex.

32. MGR. G. Jouassard. dans Maria 1. (Paris 1949) 122 - 136.

33. M. Jugie. L'épiscopat de nestorius Eo. 14 (1911) 257 - 268.

34. M. Jugie nestorius et la controverse nestorienne Paris. 1912.

35. J.N. D. Kelly Early Christian doctrines.

36. B. Lavaud H. M. Diepen St. cyrille d'alex...., court traité contre ceux qui ne veulent pas reconnaitre Marie Mére de dieu. Rev. Thom 56, 1956. PP. 688 - 712.

37. J. Lebon. Autour de la definition de la foi au concile d'ephése, dans Éphèm. Théol, Lov. 8 (1931) 393 - 492.

38. Liberatus Beviarium causae nestorianorum et Eutychianorum (PL. 68, 969 - 1052, A.C.O. 11, v.

39. J. Liebaert Hist.... des dogmes. 187 - 207.

40. F. Loofs. nestoriana. Halle 1905.

لقد جمع لوفز فى هذا الجلد كثيرا جدا من كتابات نسطوريوس المبعثرة هنا وهنالك .

41. F. Loofs Nestorius and his place in The history of christian doctrine cambridge. 1914.

42. J.F. MCHUGH The exaltation of christ in the arian controversy. The Teathing of St. Hilary.

43. J. MCNAMAR. Theodore of Mopsuestia and the nestorian heresy ITQ. 19, 1952. PP. 254 - 268. 20 1953. PP. 172 - 191.

44. M. Nédoncelle «Prosopon et persona dans l'antiqueté classique rev. Sr. 22. 1948 PP. 277 - 299.

45. OTTO F.A. Meinardus Christian Egypt. Faith and Life 197 - 198.

46. W. Panneberg. Esquisse d'une christologie. 368 - 372.

47. Henry Percival. M.A. D.D. Nicene and post - Nicene fathers of the christian church. The seven ecumenical councils of the undivided church. vol. 14. 192 - 250.

48. G.L. Prestige. Fathers and Heretics. London 1940. Ch. VI et VII.

49. J.M.A. Salles dabadie. Les conciles oecumeniques dans l'histoiure. La Palatine.

50. ED. Schwartz. acta conciliorum oecumenicorum (11. Vol. Berlin 1921 - 1938 Le Tome 11, en 5 Vol. Actes d'ephèse ...

انظر الجزء الثانى ٥ مجلدات عن مجمع أفسس .

51. R.V. Sellers Two Ancient Christologies. 157 - 201.
52. Socrate. Hist. Eccl. VII. 29 - 33.
53. Synodicon Adversus Tragoediam Irenaei (La vaticane et le mon - Cassin).
تحتوى هذه المجموعة (Syndicon) على ٢٣٥ وثيقة قام بجمعها الشماس روستيكوس (Rusticus) وهى تغطى عدة احداث من سنة ٤٣١ الى منتصف القرن السادس . للتوسع فى هذا الموضوع انظر .Bardy 163 - 165 Camelot 241, 247
54. Tixeront Hist. des dogmes vol. 3. 11 - 51.
55. M. Werner. The Formation of Christian Dogma.
56. H.A. Wolfson The Philosophy of the Church Fathers.

٥٧ – الدكتور أسد رستم مؤرخ الكرسى الأنطاكى كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . الجزء الاول ٣١٤ – ٣٢٣ .

٥٨ – الاب الدكتور اغناطيوس ديك . الفكر المسيحى بين الأمس واليوم . الله حياتنا . منشورات المكتبة البوليسية ١٩٨٣ .

٥٩ – البطريرك مار اغناطيوس : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية . بيروت ١٩٥٣ – ١٩٥٧

٦٠ – الدكتور القس حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الاول ٦١٠ – ٦٦٦ .

٦١ – الدكتور القس حنا جرجس الخضرى المصلح مارتن لوثر ١٦٣ – ١٨٦ .

٦٢ – الارشمندريت حنانيا الياس كساب : مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التى وضعتها المجامع المسكونية والمكانية ..... ص ٢٨٨ – ٣٦٣ .

٦٣ – العلامة خريسوستمس بابا دوبولس . تعريب الأسقف استفانوس حداد . منشورات النور ١٩٨٤ .

٦٤ – الانبا غريغوريوس : ما بين الاسكندرية وروما وبيزنطة – منشورات اسقفية الدراسات اللاهوتية العامة والثقافة القبطية والبحث العلمى .

٦٥ – فرح الغرزلى . النساطرة فى التاريخ رسالة ماجستير – الجامعة الامريكية بيروت ١٩٧٩ .

٦٦ – الاب سليم بسترش البولسى : سلسلة الفكر المسيحى بين الامس واليوم . اللاهوت المسيحى والانسان المعاصر .

٦٧ – القمص كيرلس الانطونى : عصر المجامع

٦٨ – الاب متى المسكين . القديس اثناسيوس الرسولى ص ٣٣٧ – ٣٦٦ .

٦٩ – الشماس منسى القمص . كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ٢٥٩ – ٢٧٣ .

٧٠ – علم اللاهوت النظامى : دار الثقافة المسيحية ص ٧٨٤ – ٧٨٩ .

قد يتساءل القارىء لماذا إختار الكاتب هؤلاء الأربعة ، ابولناريوس ، وديودوريوس وثيودوريوس ونسطوريوس لشرح تعاليمهم ؟ مع أن معظم الكنائس رفضت تعاليمهم . لماذا لم يختر معلمين آخرين ، أمثال أثناسيوس ، كيرلس الاسكندرى ، اغسطينوس ليون العظيم .... ؟ !!!! وللإجابة على هذا السؤال نقول ؛ يجب أن يدرس القارىء هذا الكتاب من جديد وبطريقة دقيقة حتى يكتشف أننا حاولنا أن نتتبع تطور الفكر المسيحى الخاص بشخص ربنا يسوع المسيح فى هذه الحقبة من الزمن . كما أننا حاولنا أيضا أن نبيّن للقارىء بأن كل هرطقة أو تطرف فى التعليم حول شخص الرب يسوع المسيح أثار رد فعل عكسى . وأن رد الفعل العكسى الذى ظهر لمقاومة الهرطقة تطّرف فى بعض الاحيان فى مقاومة الهرطقة لدرجة أن الذين قاموا به سقطوا هم انفسهم فى الهرطقة أو على الاقل لم يكونوا بعيدين عنها . وهذا واضح فى حملة الاسقف أبولناريوس ضد اريوس الذى أنكر مساواة جوهر المسيح بجوهر الآب ونادى ابولناريوس بأن المسيح هو من جوهر الآب ومساو له فى إزليته . ولكى يبرهن على أن يسوع كان خاليا من كل خطية وانه من جوهر الآب ، فقد علم الأسقف أبولناريوس بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . وهنا نلاحظ بأنه سقط فى جزء من نفس الهرطقة الأريوسية والتى كان يقوم بمحاربتها . كما ان أبولناريوس نادى بمسيح له طبيعة واحدة : طبيعة الكلمة المتجسد . وانتشرت تعاليمه وعندئذ ظهرت جماعة أخرى لمقاومة هذا التعليم الذى نادى بطبيعة واحدة فى المسيح ؛ لأنها رأت فى هذه التعاليم هرطقة إذ كانت تعتقد بوجود طبيعتين فى المسيح وعلى رأس هذه الجماعة ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الموبسيوستى ونسطوريوس وآخرون . وتطرفت هذه الجماعة فى تعاليمها بازدواجية الطبيعة فى المسيح لدرجة أن الدارس لتعاليمهم يشعر فى بعض الأحيان كما لو كانوا يتكلمون عن مسيحين أو عن نبيين . فكان من الضرورى إذن أن نتتبع تطور هذه العقيدة من الناحية التاريخية ومن هم الذين قاموا بالمناداة بها ؟ وما هى تعاليمهم ؟ وقد سبق أن رأينا فى هذا البحث الاخطاء التى نسبت اليهم وهم منها أبرياء .

وقد لعبت تعاليم الكنيسة الأنطاكية الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح دورا هاما جداً فى تاريخ الفكر المسيحى ، ولذلك كان من الضرورى أن نتتبع تطور هذا التعليم من الناحية التاريخية والعقائدية .... كما ان كنيسة الاسكندرية وعلى رأسها اثناسيوس وكيرلس وآخرون .... قامت هى أيضا بدور عظيم جدا فى تاريخ الفكر المسيحى . كذلك ايضا الكنيسة اللاتينية .

وفى ختام هذا المجلد أود أن ألفت نظر القارىء إلى نقطة فى غاية الأهمية بخصوص مجمع

افسس فقد وصل نسطوريوس ووفده إلى مكان الاجتماع (مدينة أفسس) فى أواخر مايو أو فى أوائل يونيو سنة ٤٣١ . كما أن وفد كيرلس وصل فى أوائل شهر يونيو وأما وفد جيوفنال الأورشليمى فقد وصل بعد اليوم العاشر من نفس الشهر . ولم يبدأ المجمع أعماله الا يوم ٢٢ يونيو . وفى كل هذه الفترة الطويلة لم يحاول اى وفد من الوفدين أو أى قائد من القائدين سواء كيرلس أو نسطوريوس أن يأخذ المبادرة لاجراء مقابلة شخصية مع الطرف الآخر لكى يناقشا معا بطريقة هادئة وأخوية وجهة نظر كل منهما . وهذا ما حدث ايضا مع يوحنا الأنطاكى ووفده عندما وصل إلى أفسس . وعلم بأن مجمع كيرلس حرم صديقة نسطوريوس ، فبدلا من أن يذهب لمقابلة كيرلس ومجمعه لكى يتعرف على الأسباب التى من أجلها أصدر المجمع حكمه على نسطوريوس فقد أسرع متسرعا وأصدر حكما يحرم كيرلس ومجمعه .

ولو حاول أحدهما مقابلة الآخر ، ولو حاول الأساقفة الآخرون تهيئة الجو اللطيف المسيحى الأخوى لحوار موضوعى نزيه مجردا من العصبية الحزبية والطائفية والكرامة الشخصية ، لوصل كل من القديس كيرلس ونسطوريوس إلى حل سلمى سليم ولانفض مجمع نيقية قبل أن ينعقد أو على الاقل لانفض بطريقة سلمية ، ولحُلت المشكلة وأُبعد سوء التفاهم والخصام والصراع الذى ورثناه ومازلنا نعانى منه حتى الآن .

لم يتقابل كيرلس ونسطوريوس قبل مجمع أفسس إلا على صفحات الورق فى خطاباتهما . وجدير بالذكر بأن كلا منهما كان يستعمل اصطلاحات معينة قد رفض كل منهما أيضا الاصطلاحات التى كان يستعملها الآخر ، لأنه كان يظن بأنها تخفى خلفها هرطقة ، دون أن يسأل زميله ماذا يقصد أو يعنى بالضبط باستعماله لهذه الاصطلاحات فلو تقابل الرجلان فى جو مسيحى هادىء . ولو عرض كل منهما أفكاره وتعاليمه الكرستولوجية على الآخر لوصلا إلى حل للمشكلة .

فعلى سبيل المثال كان نسطوريوس يستعمل كلمة بروسوبون لكى يعبر بها عن هيئة أو شكل أو مظهر استعملها أيضاً لكى يعبّر عن وحدة الطبيعتين : وبمعنى أقنوم . فعندما كان يقول فى بعض الاحيان يوجد بروسوبونان فى المسيح كان يقصد بذلك وجود شكلين أو هيئتين أو طبيعتين فى المسيح الواحد . ولكن عندما كان كيرلس يقرأ هذا التعبير يعتقد بأن نسطوريوس ينادى باقنومين أو بمسيحين ، لأن الاصطلاح بروسوبون فى عرف كيرلس يعنى أقنوم فقط . ونفس المشكلة نراها عند نسطوريوس الذى كان يرتعب عندما كان يقرأ فى كتابات كيرلس عبارة الاتحاد الهيبوستاتيكى أى الاتحاد العضوى ، إذ أنه كان يعتقد بأن كيرلس يقصد بهذا الاتحاذ إدماج وخلط الطبيعتين حتى تصبحا طبيعة واحدة . ولذلك فإن نسطوريوس شدّد فى تعاليمه على التمييز بين الطبيعتين لدرجة أن كيرلس إعتقد

بأنه يعلم بابنين وإنه قسم المسيح الواحد وكذلك فإن القديس كيرلس شدّد هو أيضا على وحدة المسيح لدرجة أن نسطوريوس إعتقد بأنه ينادى بخلط وإدماج الطبيعتين .

مثل آخر . اعتقد الكثيرون بان المشكلة العقائدية الكبرى التى أدت إلى هذه المأساة هى تمسك نسطوريوس بعقيدة الطبيعتين فى المسيح ورفض كيرلس لهذه العقيدة . والحقيقة تختلف نوعا ما عن ذلك ، صحيح بأن كيرلس تمسك بالاتحاد العضوى الذى يبدو فى ظاهره كما لو كان يعلم بطبيعة واحدة فى المسيح ، وهذا ما نلاحظه فى كثير من تعاليمه ومع ذلك لم يرفض معلم الاسكندرية وأسقفها العظيم وجود الطبيعتين فى المسيح . وهذا واضح فى خطابه الذى أرسله إلى نسطوريوس فى يناير - فبراير ٤٣٠ حيث يقول إن الطبيعتين اللتين تقابلتا فى الوحدة الحقيقية مختلفتان ومنهما وجد المسيح الواحد والابن الواحد ، لأن الاتحاد لم يلاشِ اختلاف الطبيعتين » (انظر هذا المجلد ص ٥٥٦ - ٥٥٨) . وهذا ما يمكن أن يستنتجه الدارس المدقق لمعاهدة الصلح التى تّمت بين كيرلس وبين يوحنا الأنطاكى ، وهو أحد انصار نسطوريوس فى سنة ٤٣٣ والتى احتوت على بعض العبارات التى تتكلم عن اللاهوت والناسوت اى عن الطبيعتين .....

إن كل ما كان يخشاه نسطوريوس هو أن تعاليم كيرلس تقود إلى إنكار ناسوت المسيح والسقوط فى الأبولوناريوسية . ولذلك شدد نسطوريوس على التمييز بين الطبيعتين فاعتبر كيرلس هذا التمييز بين الطبيعتين فصلا وتقسيما للمسيح الواحد . وعندما شدد كيرلس فى تعليمه على وحدة المسيح فإن نسطوريوس إعتبر هذا التشديد خلطا وادماجا للطبيعتين . ومع ذلك فإن نسطوريوس علّم بوجود مسيح واحد وسيد واحد ورب واحد . وكذلك فعل كيرلس وهنا ظهر سوء التفاهم لأن كل واحد من الحزبين كان يستعمل اصطلاحات معينة، لأنه كان يعتقد بأنها تعبر عن فكرته وعقيدته متجنبا فى نفس الوقت استعمال اصطلاحات الحزب الآخر لأنه كان يعتقد انها تحتوى على تعاليم غير ارثوذكسية .

إننا لا نقول بأنه لا يوجد اختلافات بين تعاليمهما ولكننا نقول بأنهما كانا متفقين على نقاط كثيرة جوهرية وكل ما نأسف له هو أن هذين الرجلين لم يحاولا أن يتقابلا معا فى مدينة افسس قبل اجتماع المجمع لكى يناقشا معا وجها لوجه هذه المشاكل العقائدية .

إن دراسة التاريخ مهمة ومفيدة جداً ، ليس فقط لمعرفة ما حدث فى الماضى ، ولكن الأهم هو كيف يمكنا أن نستخلص دروساً من الماضى لحل مشاكل الحاضر والمستقبل . سبق أن قلنا بأن الخطأ الذى ارتكبه كل من نسطوريوس والقديس كيرلس هى عدم التمكن من الحوار المباشر بينهما . ولذلك يجب علينا نحن الذين نعيش فى هذه المرحلة التى تتسم بالسمات المسكونية والحوار بين الطوائف المسيحية أن تنتهز هذه الفرصة الذهبية فيجلس الأرثوذكسى والكاثوليكى والبروتستانتى للنقاش والحوار معا بروح مسيحية هادئة فى

الأمور العقائدية والتعاليم التى كانت سببا فى تمزيق الكنيسة ، جسد المسيح . وعندما نتقابل معا بروح الصلاة والمحبة سوف نكتشف بأننا قريبون جداً من بعضنا لبعض . وأنا لا أقول بأنه لا توجد اختلافات عقائدية ، ولكنى أقول بأن الجبال والحواجز التى تفصلنا أصغر بكثير جداً مما نتخيله وسوف يزول الكثير منها عندما نتقابل معا فى حوار مسيحى هادىء .

إن مشكلتنا فى موضوع الحوار المسكونى هى أن كل منا يريد أن يجذب الآخر إلى طائفته وإلى افكاره وإلى عقيدته وتعاليمه . ان كل منا يعتقد بأنه يملك الحق وكل الحق ، وان الآخر فى ضلال . هذه ليست روح مسكونية . فاذا كنا نريد حوارا مسكونيا حقيقيا ونزيهاً يجب على كل منا أن يحاول بدقة وأمانة واخلاص ومحبة ان يبحث عن النقاط الإيجابية والتعاليم الصحيحة فيما يقوله أو يعلّم به الآخر ؛ وفى نفس الوقت أن يبحث عن نقاط الضعف والخطأ الذى يعيش فيه .

إن هدف الحوار المسكونى المسيحى ليس بأن تصبح كل الكنائس كنيسة واحدة ، بل هو أن تصبح كل الكنائس على اختلاف طوائفها وتنوع عقائدها ، وحدة واحدة . واننا فى هذا العصر الذى سادت فيه المادية والالحادية والحركات التعصبية ، فى حاجة إلى الوحدة أكثر من اى وقت مضى .

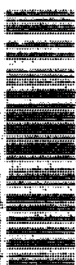
وإننا نصلى لكى يمنحنا إله السلام والمحبة ؛ محبة عميقة بلا رياء ، ورؤية بعيدة المدى ، ووحدة قوية عميقة حتى نستطيع بنعمته أن نحقق رغبة قلبه المقدسة ، وأن نكون واحداً ليؤمن العالم به . وللآب مع الابن والروح المقدس كل عظمة ومجد وعبادة وإكرام من الآن وإلى الأبد امين .

بعض التواريخ والاحداث المهمة

٧٥٣	ق . م .	تأسيس مدينة رومه
٧٢١	ق . م .	السبى الاشورى
٥٨٦	ق . م .	السبى البابلى
٦٣	ق . م .	دخول الرمان الى فلسطين واستعمارها
٣٧	ق . م .	بداية حكم هيرووس الكبير
٤	ق . م .	ميلاد يسوع المسيح
٤	ق . م .	موت هيرودس الكبير
١٤	ب . م .	موت الامبراطور اغسطس طيباريوس
٢٧ — ٢٩		ظهور يوحنا المعمدان
٢٧ — ٣٠	ب . م .	ظهور السيد المسيح وعظاته .
٣٠	ب . م .	موت السيد المسيح .
٥٤	ب . م .	نيرون يصبح امبراطورا
٦٢	ب . م .	رجم يعقوب (اخو الرب)
٦٢	ب . م .	وصول مرقس الى مصر
٦٦	ب . م .	ثورة اليهود الأولى ضد الرومان
٦٧		استشهاد القديس مرقس فى مصر
٦٧		استشهاد القديس بولس وبطرس
٦٨		انتحار الامبراطور نيرون
٦٩	..	فسبازيان يصبح امبراطورا الرومه
٧٠	..	سقوط اورشليم

٧٤		سقوط قلعة ماسادا
١٠٠		موت القديس يوحنا الرسول
١٠٠		ميلاد القديس يوستينوس استشهد في ١٦٣ ب م
١٣٢		ثورة اليهود الثانية .
١٥٥		ثورة اليهود الثالثة .
١٦١		استشهاد القديس ابرليكاريوس . ولد حوالى سنة ٦٩
١٧٧	ب . م .	القديس ابرناوس يصبح اسقفا لمدينة ليون ولد بين سنة ١٣٠ - ١٥٠ . مات بين ١٩٠ - ٢٠٢
١٥٠		اكليمندس مات في سنة ٢١٧
١٥٥ - ١٦٠	ب . م .	ترتليانوس (مات) حوالى ٢٢٠
١٨٥	ب . م .	اريجانوس مات في سنة ٢٥٣
٣١٣		اصبح قسطانطين سيدا للغرب
٣٢٣		سنودس الاسكندرية والحكم على اريوس
٣٢٥		اول مجمع مسكونى : مجمع نيقية والحكم على اريوس
٣٢٨		القديس اثينا سيوس يصبح اسقفا للاسكندرية ولد حوالى ٢٩٦ مات سنه ٣٧٣
٣٥٥	ب . م .	موت اريوس (ولد حوالى ٢٥٨ - ٣٣٥)
٣٣٧	ب . م .	موت قسطانطين وبقسيم الامبراطورية بين اولاده .
٣٤٠	ب . م .	القديس جيروم مات حوالى ٤٢٠
٢٤٥	ب . م .	القديس يوحنا فم الذهب (مات ٤٠٧)
٣٥٠		ديودوريوس الطرسوس ولد في العشرات الاولى من القرن الرابع ومات ٣٩١ - ٣٩٢
٣٥٠		ثيودوربوس المبوسيوستى مات ٤٢٨
٢٥٤		القديس اغسطيوس مات ٤٣٠
٣٦٢		مجمع الاسكندرية
٣٦٧		موت القديس هيلر او هيليربوس
٣٧٦		القدس كيرلس مات ٤٤٤
٣٧٧		مجمع رومه والحكم على أبولوناريوس (ولد ٣١٠ مات سنة ٣٩١
٣٨١		المجمع السكونى الثانى في القسطنطينية

٣٨١	نسطورويوس (ولد حوالى ٣٨١ مات سنة ٤٥٠ أو حوالى ٤٥٩
٥١١	سنودس قرطاج والحكم على بيلاجيوس
٤٢٨	نسطوربوس يصبح اسقفا لمدينة القسطينية
٤٢٨	موت ثيودوريوس المسيوستى
٤٣١	المجمع السكونتى الثالث : مجمع افسس والحكم على نسطوريوس .
٤٤٠	ليون ينصب بابا لمدينة رومه
٤٤٤	موت القديس كيرلس .
٤٤٨	مجمع القسطنطينية وقضية اثحوس أو طيخة
٤٤٩	مجمع افسس الثانى
٤٥١	مجمع خلقدونية


Bibliotheca Alexandrina
0256942